

١ - عن « اتحاد الكتاب اللبنانيين »

في الشهر الماضي ، رفض الاتحاد العام للادباء العرب ، في جلستين عقدتهما الامانة العامة والمكتب الدائم ، استقالة اتحاد الكتاب اللبنانيين واستقالتي كامين عام مساعد لاتحاد الادباء العرب .

ومن حق المثقفين العرب بصورة عامة ، وقراء « الاداب » بصورة خاصة ، ان يقفوا على ما حدث ، بعد ان تابعوا طوال العام الماضي تفاصيل المعركة التي خاضها اتحاد الكتاب اللبنانيين بعد انسحابه من مؤتمر الادباء العرب في تونس واستقالته من الاتحاد العام .

فالواقع ان بعض الاتحادات العربية للادباء ، كاتحادات المغرب والعراق والبحرين واليمن الديموقراطية وفلسطين ، عبرت اكثر من مرة عن رغبتها في ان ترى اتحاد الكتاب اللبنانيين يعدل عن استقالته ويعود الى الاتحاد العام ، ليناضل « من الداخل » تحقيقا لمطالبه واقتراحاته. وكانت هذه الاتحادات تقر الموقف الاساسي للاتحاد حول ضرورة الدفاع عن حرية الاديب العربي في التعبير وحمايته من القمع والاضطهاد ، ولكنها ، لاعتبارات مختلفة ، تؤثر ان تتخذ اسلوب « النفس الطويل » في معالجة الموضوع . وكان بعض ممثلي هذه الاتحادات يرى لزوم تعديل نصوص النظام الاساسي واللائحة التنفيذية للاتحاد العام ، بما يتلاءم والروح الديموقراطية ويكفل للاتحاد فعالية اكبر في تحقيق اهدافه.

وفي الربيع الماضي تلقى الاتحاد اللبناني رسالة من اتحاد الكتاب الجزائريين يعلمه فيها بتكوينه ويعبر عن رغبته في اقامة علاقة تعاون بين الاتحادين ، فاجابه برسالة تهنئة وترحيبه بعقد اتفاق للتعاون واستعداده لايفاد ممثل له الى الجزائر لبحث تفاصيل هذا الاتفاق .

وفي شهر آب (اغسطس) الماضي ، تلقيت ، بوصفي امينا عاما مساعدا للادباء العرب ، برقية من الامين العام الاستاذ يوسف السباعي يدعوني فيها الى حضور « اجتماع الامانة العامة لاتحاد الادباء العرب الذي يعقد في الجزائر اول سبتمبر لبحث موضوع المؤتمر العاشر للادباء العرب الذي طلبت الجزائر عقده في عاصمتها في ربيع ١٩٧٥ » .

واجتمعت الهيئة الادارية للاتحاد اللبناني وتداولت في الامر . ومع تقديرها لبادرة الامين العام التي تدل على انه غير معترف باستقالة اتحاد الكتاب اللبنانيين او انه راغب في عودته عن استقالته، فقد قررت الهيئة الادارية الامتناع عن حضور اجتماع الامانة العامة في الجزائر ، لان الامانة العامة ليست هي « الجهة الصالحة » للبت في امر الاستقالة ، وانما المكتب الدائم للادباء العرب هو صاحب الصلاحية ، كما ينص النظام الاساسي للاتحاد . على ان الهيئة التنفيذية قررت كذلك وضع مذكرة تسلم الى الامناء العامين المساعدين الذين سيجتمعون في الجزائر ، وقررت ايفادي وعضو الاتحاد الاستاذ احمد ابو سعد لهذه الغاية ، ولغاية عرض مشروع بروتوكول للتعاون الثقافي على اتحاد الكتاب الجزائريين .

* * *

وفي الجزائر قدمنا الى الامناء العامين المساعدين او ممثليهم المذكرة التالية :

حضرة الاستاذ ... الامين العام المساعد لاتحاد الادباء العرب
تحية طيبة وبعد ،

تلقى الامين العام لاتحاد الكتاب اللبنانيين بصفته « امينا عاما مساعدا » لاتحاد الادباء العرب رسالة من الامين العام الاستاذ يوسف السباعي يدعوه فيها الى اجتماع الامانة العامة لاتحاد الادباء العرب في الجزائر يومي ١و٢ سبتمبر لبحث طلب الجزائر عقد المؤتمر العاشر ومهرجان الشعر الثاني عشر في شهر ابريل ١٩٧٥ بالعاصمة الجزائرية.

في هذه المناسبة يود اتحادنا ان يوضح ما يلي :

ان اتحاد الكتاب اللبنانيين حرصا منه على ان يظل في خدمة القضايا العربية المشتركة التي يعتبرها بمثابة الرسالة في لبنان ، وايمانا منه بوجوب المحافظة على المؤسسة التي تضم الادباء العرب وضرورة تطويرها لتصبح اكثر فعالية في حياة الامة العربية ونضالها من اجل حياة حرة كريمة ، واستجابة للجزائر البطلة التي يكن لها اتحادنا اسمى آيات الحب .

ان اتحادنا انطلاقا من هذه النقاط وافق على سفر امينه العام الى الجزائر يصحبه الاستاذ احمد ابو سعد ، امين صندوق الاتحاد .

ولكنه اذ يوافق على مبدأ السفر هذا يرى انه لا بد له من ان يلفت انظاركم الى ان دعوتنا هي دعوة لعضو مستقيل ، فنحن منذ مؤتمر تونس كما تعلمون منسحبون ، والمادة ٢٢ من النظام الاساسي للاتحاد تنص على ان انسحاب العضو من الاتحاد العام يسري بعد مضي ستة اشهر من تاريخ الطلب . فكيف نوفق بين نص هذه المادة ودعوتنا الى الحضور من غير ان يصدر قرار حول استقالتنا لا سيما وانه قد مضى عليها زهاء عام ونصف العام ؟

ثم ان الدعوة نفسها الى الاجتماع في الجزائر بقصرها الحضور على الامناء العامين المساعدين تخالف نص المادة العاشرة من النظام الاساسي التي تؤكد ان المكتب الدائم هو الذي يتولى من جملة اعماله

مكان انعقاد المؤتمر ووضع جدول اعماله وتحديد موضوعات البحوث وقبول المحاضرات والخطب وتعيين المحاضرين والخطباء وتشكيل لجنة تحضيرية لكل مؤتمر ... » بينما رسالة الامين العام تسند بحث شؤون المؤتمر القادم الى الامانة العامة ، فكيف نوفق بين هذا التصرف وبين مضمون النظام الاساسي ؟

وفي الدعوة الى اجتماع الامانة العامة اشارة الى ان مناقشة تقرير الامين العام عن الموقف المالي للاتحاد ستحصل في اجتماع الجزائر ، مع ان هذه المناقشة من اختصاص المكتب الدائم بحسب نصوص النظام الاساسي !

لا نحب ان نجعل من ذلك كله « قضية » حتى لا نبدو في نظر البعض « شكليين » كما لا نحب ان نلح دائما على وجوب مراعاة الديموقراطية والشرعية حتى لا نبدو وكأننا نحن وحدنا المسؤولون عنهما ... وجل ما نبغيه مطالبة الاصدقاء والزملاء ان يمارسوا مسؤوليتهم ازاء هذه الامور كلها بما يكفل الحفاظ على القانون الاساسي والنظام الداخلي .

ولعل المخرج في هذا يكمن في دعوة المكتب الدائم الى الانعقاد في اقرب فرصة للبحث في امر استقالة اتحادنا واستقالة الامين العام اللبناني المساعد ، وبحث شؤون المؤتمر القادم للادباء العرب .

ان اتحاد الكتاب اللبنانيين اذ يقدم مذكرته هذه واثق من انها ستلقى منكم كل عناية واهتمام ، ورائده منها العمل على تعزيز الاتحاد العام للادباء العرب بما يكفل له القيام بتبعاته في خدمة الفكر العربي وسائر القضايا العربية .

وتفضلوا بقبول الاحترام »

*   *   *

وبالرغم من تفهم اتحاد الكتاب الجزائريين لموقفنا ، فقد الح رئيسه واعضاء هيئته التنفيذية على ان نلتقي بالاستاذ السباعي الذي عبر فور وصوله الى الجزائر عن استعداده لبحث كل طلب يتقدم به اتحاد الكتاب اللبنانيين .

وقد التقينا فعلا الامين العام في جلسة غير رسمية ، فقال انه باسمه واسم الامناء العامين المساعدين يرفض استقالة اتحادنا ، ولا يتصور « اتحاد الكتاب العرب وليس فيه اتحاد الكتاب اللبنانيين » وحين صارحناه بان الامانة العامة ليست هي الجهة الصالحة .. قرر دعوة المكتب الدائم للادباء العرب يوم ٢١ ايلول الماضي في القاهرة .

وتجاوبا منا مع الروح الايجابية التي اظهرها الامين العام في تلك الجلسة الخاصة ، رأينا ان نحضر الجلسة الرسمية التي عقدتها الامانة العامة في الجزائر واتخذت فيها قرارا رسميا برفض استقالة اتحاد الكتاب اللبنانيين والامين العام المساعد .

ولدى عودتنا الى بيروت ، صدر عن اتحادنا البيان التالي :

« في اواخر اب الماضي سافر الى العاصمة الجزائرية وفد يتألف من الدكتور سهيل ادريس امين عام اتحاد الكتاب اللبنانيين والاستاذ احمد ابو سعد عضو الاتحاد . وقد قام الوفد بتهنئة اتحاد الكتاب الجزائريين بمناسبة تكوينه ، وتداول مع مسؤوليه الرأي في اقامة تعاون وثيق كان الاتحادان قد تبادلا الرسائل بضرورته . وقد تم الاتفاق على عقد بروتوكول ثقافي بينهما في اواخر هذا العام .

وفي اثناء اقامة الوفد اللبناني في العاصمة الجزائرية عقد اجتماع للامانة العامة لاتحاد الادباء العرب . وقد دعي الوفد اللبناني لحضور هذا الاجتماع فتمنع لكون اتحاد الكتاب اللبنانيين قد قدم استقالته من الاتحاد العام اثر انعقاد المؤتمر التاسع في تونس . فما كان من الامانة العامة الا ان قررت رفض الاستقالة بالاجماع لتزيل اي عائق دون مشاركة الوفد اللبناني في الاجتماع . غير ان الوفد اللبناني على الرغم من هذه البادرة الايجابية ، اكد على ان الجهة الصالحة للبت بالاستقالة هي المكتب الدائم للادباء العرب وليست الامانة العامة . وقد اقرت الامانة العامة وجهة نظر اتحادنا فاتخذت قرارا بدعوة المكتب الدائم للانعقاد في اسرع وقت ، وحددت لذلك يوم ٢١ ايلول الجاري ، على ان ينعقد في القاهرة ، ووجهت الدعوة بالفعل الى اعضاء المكتب الذين سيبتون في امر الاستقالة من بين موضوعات اخرى يبحثونها .

في ضوء هذه الوقائع التي تثبت مرة اخرى صلابة المواقف التي يتخذها اتحاد الكتاب اللبنانيين يهم الاتحاد ان يؤكد التزامه بالخط الذي انتهجه دفاعا عن حرية التعبير على الارض العربية عامة .

هذا ، ويسر الاتحاد ان يعلن ان « ندوة المجلات الادبية في اسيا وافريقيا » ستقام في موعدها في بيروت من ٢ الى ٦ كانون الاول القادم ، وقد وجهت الدعوات لاصحاب العلاقة من اجل هذه الغاية . »

*   *   *

وبمثل تلك الروح الايجابية ، مثلت الاتحاد في جلسة المكتب الدائم التي انعقدت يوم ٢١ ايلول الماضي ، وقرر فيها اعضاء المكتب ممثلو اتحادات الادباء العرب الرفض الاجماعي لاستقالتنا .

وفي تلك الجلسة ، القيت الكلمة القصيرة التالية :

« ايها الاخوة والزملاء

باسم اتحاد الكتاب اللبنانيين اشكر لكم بادرتكم الايجابية باتخاذكم قرار رفض استقالة اتحادنا من الاتحاد العام للادباء العرب وكذلك رفض استقالتي بصفتي امينا عاما مساعدا ، كما اشكر للامين العام مبادرته لدعوة المكتب الدائم لبحث هذا الامر مع امور اخرى تهم الاتحاد .

وسوف انقل للجمعية العامة لاتحاد الكتاب اللبنانيين قرار مكتبكم هذا ، وانا واثق من انها ستقدر هذه البادرة حق قدرها لان اتحادنا حريص « على ان يظل في خدمة القضايا العربية المشتركة والمحافظة على هذه المؤسسة التي تضم الادباء العرب » .

ولكننا كنا وما نزال نؤمن بضرورة تطوير الاتحاد العام للادباء العرب ليصبح اكثر فعالية في حياة الامة العربية ونضالها من اجل حياة حرة كريمة .

من اجل هذا ينبغي ان نتضافر من جديد وان نتعاون كاتحادات لتعزيز مؤسستنا ، وان نستخلص مما حدث في تونس ما يعود عليها بالمنعة والقوة والتقدير .

في هذا الاطار ، وبدافع من الرغبة المخلصة في القيام بمسؤوليتنا كعضو في المكتب الدائم وكامين مساعد للاتحاد ، نقدم لكم اقتراحين :

الاول نستوحي معناه من الفقرة الرابعة من المادة العاشرة من النظام الاساسي لاتحاد الادباء العرب التي تنص على ان من اعمال المكتب الدائم ان يتولى : « تشكيل اللجان اللازمة لتحقيق اهداف الاتحاد » ولما كان من اهداف الاتحاد ، كما تنص الفقرة الحادية عشرة من المادة الرابعة : « العمل على حماية حق الاديب في حرية التعبير .. » ، فاننا نقترح تشكيل لجنة دائمة من المكتب تسمى « لجنة حماية حرية التعبير » تكون مهمتها الاساسية المبادرة الفورية للدفاع عن حق اي اديب عربي تتعرض حريته في التعبير لاي اذى او ضيم . ونقترح ان تتكون هذه اللجنة من مصر والعراق والمغرب والبحرين وفلسطين .

اما الاقتراح الثاني فنستوحيه من ضرورة تعديل بعض النصوص في النظام الاساسي واللائحة التنفيذية للاتحاد العام للادباء العرب . ونحن نقترح تكوين لجنة من الامناء العامين المساعدين (او مندوبيهم) تكون مهمتها الفورية دراسة نصوص النظام الاساسي واللائحة التنفيذية وتقديم مشروع الى المكتب الدائم في دورته هذه (اذا امكن) يوافق عليه المكتب ويحيله على المؤتمر العام في دورته القادمة بالجزائر لاقراره ، وفقا للمادة ٢٤ من النظام الاساسي والمادة ٣٥ من اللائحة التنفيذية .

اننا نأمل من السيد الامين العام ادراج هذين الاقتراحين في جدول اعمال هذه الدورة واكرر لكم الشكر والسلام . »

*   *   *

كان واضحا من هذه الكلمة القصيرة ، ان اتحاد الكتاب

اللبنانيين اذا عاد الى صفوف الاتحاد العام للادباء العرب استجابة لرغبة معظم الاتحادات ، ان لم يكن كلها ، فانما يعود ليبدأ من الداخل نضالا جديدا من اجل حرية الفكر العربي وكرامة الاديب العربي. ان العودة اذن ليست ، بالنسبة الينا ، نهاية وضع خلق ازمة ، بل هي بداية وضع لكفاح جديد .

ونحن واعون ان امامنا صعوبات وعراقيل ليس اقلها ارتباط معظم الاتحادات بالسلطة « الرسمية » التي لا يهمها دائما ان تحمي «حرية» الاديب . اننا اذن مدعوون لمزيد من الكفاح حين نعود الى الاتحاد .

وقد بدأ هذا الكفاح فعلا في تلك الجلسة بالذات ، حين رفض الامين العام ادراج الاقتراحين المذكورين في جدول الاعمال بحجة ان الجلسة « غير عادية » ومخصصة لبحث شؤون المؤتمر القادم للادباء العرب في الجزائر وتصديق قرار الامانة العامة برفض استقالة اتحادنا ...

وحين عبر مندوبا الجزائر والعراق عن ضرورة بحث تعديل بعض نصوص النظام الاساسي والدفاع عن حرية التعبير ، وافق الامين العام على بحث هذين الاقتراحين في الجلسة القادمة للمكتب الدائم التي ستعقد في الجزائر بمناسبة المؤتمر العاشر للادباء العرب .

انني واثق من ان اتحاد الكتاب اللبنانيين سيمضي قدما في تادية رسالته ، وسيبذل كل ما في طاقته ليكتسب مساعدة اتحادات الادباء العرب التي عبرت عن تاييده في مواقفه حين رفضت استقالته واصرت على عودته الى الاتحاد العام .

٢ . الوضع الادبي في مصر

اتيح لي في زيارتي الاخيرة للقاهرة ان اطلع عن كثب على تطورات الجو الثقافي في مصر ، هذا الجو الذي كانت الصحف المصرية والعربية تصوره منذ حين بصورة كئيبة لا تثير الارتياح .

على ان الظاهرة الجديدة التي استرعت نظري هي ان الصحف المصرية اصبحت تتناول بالنقد - والتجريح احيانا - مختلف الاوضاع الثقافية في جمهورية مصر العربية ، مما يدل على ان الرقابة قد رفعت بالفعل عن هذه الصحف ، فاصبح يتاح للكتاب ان يتحدثوا بحرية عما يشكونه في الحياة الادبية هناك ، وان « شبح » الارهاب الذي كان مخيما على الاقلام قد زال .

وحين سمعت بان هنالك عددا من الادباء والكتاب ما زالوا ممنوعين من بعض اجهزة الاعلام كالاذاعة والتلفزيون ، سألت وزير الاعلام المصري في ذلك ، فنفى الامر نفيا باتا ، وقال ان ليس ثمة حظر على اي اديب في اجهزة الاعلام هذه . وهذا في الواقع امر يدعو الى الاغتباط ، لاننا نامل في هذا الجو الجديد من الحرية ان تستعيد مصر مكانتها فيميدان الثقافة العربية .

ولكن يبدو ان ثمة بعض التصرفات والمواقف في وزارة الثقافة المصرية بالذات تسيء الى هذا التطور الجديد . وهناك عدد كبير من الكتاب المصريين يعبرون عن هذا الاستياء بما ينشرونه في الصحف من دراسات ومقالات عن تردي الاوضاع الثقافية في قطاع المجلات والنشر والمسرح والسينما وسواها .

وقد كشفت ازمة مجلة « الكاتب » الستار عن هذه الاوضاع التي يكمن سبب ترديها في محاولة تسليط اقلام هزيلة على المجلات بصورة خاصة ، ومحاولة قمع اقلام قوية واعية تؤمن بالاشتراكية والتقدم .

ولذلك راينا ان نقدم في هذا العدد من « الآداب » ملفا خاصا عن ازمة الوضع الثقافي في مصر يتناول بالحقائق والوثائق مشكلة مجلة « الكاتب » ورؤية وزير الثقافة للثقافة المصرية ووضع المسرح المصري .

ولكي نعطي صورة موضوعية كاملة نشرنا عدة وثائق لبعض اولئك الكتاب الرجعيين الذين يحاولون تعويق انطلاق الثقافة المصرية ، الى جانب ردود الكتاب الوطنيين التقدميين .

ان « الآداب » تتبنى قضية « الكاتب » بالدعوة الى مواصلة اصدارها بهيئة تحريرها السابقة ، والى ضرورة ارتفاع وزير الثقافة عن موقف الانحياز ضدها لصالح التضييق على الفكر وقمع الاتجاهات التي قد لا يوافق عليها .

ان قضية « الكاتب » جزء من قضية حرية الفكر ، وهي القضية التي ستظل « الآداب » تدافع عنها ، في كل قطر عربي ، حتى النهاية .

سهيل ادريس

سامي خشبة

دروس من عصر عبد الناصر

ـ في ذكراه الرابعة ـ

يصدر هذا العدد من « الآداب »، بعد ايام قليلة من مرور الذكرى الرابعة لرحيل جمال عبدالناصر ، ذلك الرجل الذي نكأ جراحا كان يبدو انها اندملت ، وفتح جراحا جديدة كان الواجب ان تفتح لتهيء للدم الفاسد فرصة الخروج ، ونزع الضمادات عن جراح ثالثة كانت فاغرة الافواه لم تزل .

ولعل مرور الاعوام ان يكون قد خفف قليلا من الاحساس بوقع الكارثة ، او حتى يزيل عن وفاة الزعيم صفة « الكارثة » وان يفسح المجال لرؤيتها في منظورها الانساني والاجتماعي والسياسي والحضاري الطبيعي .

لقد اتاحت وفاته الفرصة لافاع كثيرة لكي تطل برؤوسها في وطننا العربي ، وفي مصر ، ولكن وفاته ـ او حتى « فقدنا » له ـ اتاح الفرصة لكي تتفتح طاقات وابواب كثيرة امام جماهير الشعب المصري ـ على الاقل ـ لكي تستعيد حقها في التساؤل عن مصيرها، وصنعه ، وتحرير الصراع الاجتماعي من عملية « تاميم » فرضتها « شخصية » الزعيم التي تكاتفت في صنعها عوامل فردية وحضارية وسياسية كثيرة ، ولكي تستعيد هذه الجماهير حقها ـ خطوة خطوة ولكن بتاكيد ـ في رفض الاكتفاء بكلمات من لم يكن يشك فيه احد او يشذ عن الثقة الاجماعية فيه مواطن « صالح » .

أطلت افاع كثيرة ، في مصر وفي خارج مصر ، بعضها يحاول ان يتطاول لكي يرثه ولكي يفرض على الامة ما يشبه القدر بان تظل ارادتها ، وحركتها الاجتماعية ، حبيسة ارادة « زعيم » يتوحد في وحدانيته الكل ، وبعضها يحاول ان يهدم المآثر الخلاقة التي قاد عبد الناصر شعبه في معارك انجازها التي دفعنا من اجلها الكثير من سنوات اعمار جيلين متتاليين ، والكثير من الدم والدموع والعرق والرخاء. والمدهش ان مدعي حق الوراثة وحاملي معاول الهدم معا ، لم يكتشفوا ان عصر عبدالناصر ـ لا حكمه ولا سلطاته ـ قد ترك بحكم المنجزات نفسها ، وبحكم تجارب المعاناة مع جوانب القصور والخطأ ، سمة اساسية من سمات الشعب العربي في مصر خاصة ، وسمة من سمات الامة العربية كلها في مرحلة تاريخية كاملة افتتحتها « ٢٣ يوليو ١٩٥٢ » ولم تنته بعد .

لم يعرف مدعو الوراثة ، كما لم يعرف المطالبون بهدم كل شيء والعودة بالتاريخ الى ما قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ان المعارك التي خاضها عبدالناصر ، انتصاراته او هزائمه ، الكاملة او الناقصة ، كانت الاولى فيها مكاسب حقيقية لحركة التحرر الوطني والقومي والتحول الاجتماعي المصرية والعربية ، فهي بالتالي في حرز لا يطال بين ايدي جماهير الشعب العامل نفسها ، وكانت ثانيها ـ الهزائم ـ تجارب حقيقية ، عركت الامة نفسها اكثر مما عركت عبدالناصر، خرجت الامة منها اكثر وعيا بحقيقة مصالحها وحقيقة الدور الذي ينبغي ان تلعبه قواها السياسية المنظمة في سبيل تجاوزالهزائم ، وتدعيم المكاسب المحققة ، والتمهيد للانتقال الى المرحلة التاريخية التالية الضرورية .

احداث الايام الاخيرة ـ او الاسابيع الاخيرة على اكثر تقدير ـ تثبت هذه الحقيقة على وجهيها . لقد تكرر من جماهير الشعب العامل في مصر رفض « وراثة » سلطان عبد الناصر ، او وضعه المتميز الذي املته عوامل خاصة كثيرة ، تكرر هذا الرفض اكثر من مرة وعلى اكثر من مستوى ، سواء جاء هذا الوارث المدعي من الداخل او من الخارج.

ولكن الاكثر اهمية هو تجربة الايام الاخيرة ـ من خلال المناقشات التي فتحت في مصر حول تطوير الاتحاد الاشتراكي ـ التي اثبتت ان جماهير العمال والفلاحين والطلبة والمثقفين الثوريين الحقيقيين ، هم القادرون حقا على حماية القاعدة الاقتصادية للتطور المادي للمجتمع المصري (القطاع العام) وعلى حماية اطار التحالف الوطني بين قوى الشعب العاملة حيث يتمتع العمال والفلاحون بنسبة النصف، وبالتالي اثبتت هذه القوى الاساسية الدافعة لحركة المجتمع انها الوريثة الوحيدة حقا « لسلطات » عبد الناصر ، ثم للمكاسب التي احرزت تحت قيادته لحركة التحرر الوطني والقومي والتحول الاجتماعي .

من خلال مناقشات تطوير الاتحاد الاشتراكي ، برزت كل اشكال الفكر الرجعي واليساري الطفولي ، تطالب بالسماح بتشكيل الاحزاب. وكانت القوى الرجعية تعرف انها هي الرابحة في حالة اطلاق حرية تكوين الاحزاب او حصرها في حزبين ، بينما لم يكن الفكر اليساري الطفولي قادرا على تبين ان استمرار فرصة الفكر اليساري في التعبير عن نفسه بوضوح واستمرار فرصة فرض نوع من الولاء لمكاسب الجماهير وللتحالف الوطني المعادي للاستعمار والصهيونية والملتزم عربيا ، انما هي فرص يتيحها في الحقيقة اطار التحالف الوطني نفسه. ان التحالف الوطني لقوى الشعب العامل ، المعادي للاستعمار والصهيونية والملتزم بالتنمية الاجتماعية وبحد ادنى من التضامن العربي ، انما هو تحالف « مفروض » على القوى الرجعية المصرية وضد مصالحها في الحقيقة ، وليس من صالح القوى العاملة ان تفكه باي شكل ، توهما منها انها

ستتمكن من تكوين احزابها الديموقراطية او العمالية وتشكيل «جبهة» جديدة ، تخلصها من القوى الرجعية وتؤمن لها طريق التقدم .. كل هذا بضربة واحدة وفي لحظات قصيرة .

وقد تبينت السلطة المصرية هذه الحقيقة من خلال الحوار حول التطوير ، الذي ارادت القوى الرجعية واليسارية الطفولية تحويله الى حوار حول الغاء التحالف اصلا . ولم تجد السلطة المصرية من تلجأ اليه حقا سوى جماهير العمال والفلاحين والطلبة : بخبرتهم التي كسبوها من عصر عبد الناصر ، تمكنوا من حماية المكاسب التي حققوها في معاركهم تحت قيادته . ولن تكون هذه بالتأكيد معركتهم الاخيرة من اجل حمايتها ، بل انهم لم يدخلوا بعد اولى معاركهم من اجل تطويرها .

* * *

ولكن هذه « المعركة » نفسها ، التي سبقت الذكرى الرابعة لرحيل عبد الناصر انما تؤكد معنى اساسيا من معاني « النقص » في تجربة الجماهير التي عاشت عصر عبد الناصر ، والتي تعيش وتواصل مسيرة التقدم الوعرة من بعده .

لقد اثبتت هذه المعركة ان المكاسب التي حققتها معارك عبد الناصر المنتصرة ، كانت تتعلق في الاساس بجانب من البناء التحتي للمجتمع : لقد ناضل العمال من اجل الابقاء على القطاع العام ومشاركتهم في الارباح والادارة وقانون العمل والتامين ضد البطالة والتامين الصحي: الخ . وناضل الفلاحون من اجل المحافظة على الارض التي عاد لهم نصيب منها (رغم خسارتهم المحققة من خلال عملية الاستنزاف التي يعرضهم لها ما يسمى بالتسويق التعاوني والجمعيات التعاونية .. الخ) . ولكن المعركة نفسها ، وشكل الحياة في مصر الان ، يثبت ان الابقاء على البناء الفوقي (الثقافي والايديولوجي) للمجتمع على حاله القديم ، انما يعرض جماهير المدافعين عن المكاسب المادية نفسها للتأثر الخطير بتضليل القوى الرجعية السياسي ، او اسفافها الفني، وللتأثر بمحاولات الهاء هذه الجماهير عن مصالحها الحقيقية باشكال الاعمال الثقافية والدعائية ، التي تستخدم كل شيء : من الدين الى الدعارة ، ومن منابر الوعظ في المساجد الى المجلات الثقافية ، ومن شاشات السينما ومنصات المسارح الى المطبوعات الرخيصة التي تباع في المواصلات العامة او توزع مجانا .. من اجل المحافظة على البناء الفكري للمجتمع في اطاره الغيبي القديم من ناحية ، واغرائه — اذا شاء التحرر من هذا الاطار — بالانحلال او التعصب من ناحية اخرى.

ان تغيير جانب محدود من البناء التشريعي (القانون التجاري والقانون الدستوري اساسا) لم يكن كافيا لتغيير البناء الفوقي (الثقافي والايديولوجي) كله للمجتمع ، لكي يشرع مجتمع ثورة التحرر الوطني والقومي ، الذي حقق تحويل جانب اساسي من بنائه المادي التحتي لكي يشرع في اكتساب بناء فوقي معبر حقا عن مستقبله ، وليس فقط عن حاضره القائم .

ومن هنا تبرز اهمية المعركة التي لم يخضها عبد الناصر بقوة في حياته ، والتي ربما يكون قد تجاهلها او لا يكون قد اكتشف اهميتها اصلا : معركة تغيير القيم الفكرية والاخلاقية السائدة عن طريق « اعادة التربية » ، واكتشاف ان القوى صاحبة المصلحة في تغيير البناء التحتي للمجتمع ، هي نفسها القوى القادرة على ان تتحرر عقليا وعلى ان تقدم للمجتمع « مجموعة قيمه » الجديدة المعبرة عن العصر المقبل الجديد .

لقد تحدث عبد الناصر كثيرا عن الطهارة الثورية وعن الالتزام الثوري ، وتحدث عن الاخلاق الجماعية وعن المحبة والتعاون ، وتحدث عن دور المثقف وريادة الثوري .. ولكن المشكلة كانت ان حديثه كان يتخذ طابع « الوعظ » الذي لا يستطيع ان يغير ما يفرضه الواقع نفسه ! والواقع كان يقول ان اصحاب المصلحة في تدمير منجزات معارك عبد الناصر والتهامها لصالحهم هم الذين يشكلون صلب وجماع الطبقة السائدة التي تمد المجتمع كله بقيمه من خلال اجهزة الدعاية والاعلام والتثقيف والتعليم .

وهذه هي القضية التي ربما كان على المثقفين الثوريين ان يواجهوها الان ، الى جانب مهامهم الاخرى الكثيرة .

لن يتأكد بناء عصر عبد الناصر في ضمير شعبنا سمة اساسية من سمات تكوينه ، الا اذا انجز مثقفونا الثوريون استخلاص « قيمنا الثورية العلمية » ، وتمكنوا من تحويلها بالنضال اليومي الى اسلوب للحياة تعيشه القوى الاجتماعية الاساسية صانعة الحياة والمدافعة عنها في بلادنا ، لكي تكون هي القيم السائدة بعد ان تكتسح قيم الطبقة التي تريد ان تلتهم مكاسب عصر عبد الناصر .

القاهرة

صبري حافظ

القضية الفلسطينية
في كتاب وفيلم ومجلة جنسية

صدر أخيرا في لندن كتاب بالانكليزية بعنوان « الارهاب السياسي في اسرائيل : حالة شوقي الخطيب » (١) . وفي هذا الكتيب مجموعة من الوثائق كنت أتمنى لو استطاعت أن ترى النور على نطاق واسع ، وان يتاح للقارىء الانكليزي العادي أن يقرأ بعضها في صحف الصباح التي تمتلىء صفحاتها بحالات اضطهاد اليهود ومعاناتهم في مختلف بلاد العالم .. لكن اذا اضطهد اليهود الآخرون وعذبوهم فان الصحف تصمت عن جرائم هؤلاء الصهاينة .. مرة اخرى هل نستطيع ان نوقف هذا الانحياز السافر للصهيونية في الاعلام الانكليزي ؟.. يبدأ الكتيب برسالة من شوقي الخطيب المسجون في سجن الرملة الاسرائيلي الى الذين تعاطفوا مع قضيته من الانكليز .. تكشف هذه الرسالة عن نضج تفكير هذا المناضل العربي الشاب وعن فرحته باهمية التحول في رؤية الغرب لاسرائيل وسقوط الاسطورة الاعلامية الزائفة .. يقول شوقي : « في الماضي لم تكن أنت وحدك ، بل العالم كله ، لا يعرف شيئا عنا نحن الشعب الفلسطيني .. وكما قلت فقد كانت اسرائيل هي التجسيد لعودة اليهود التي أنبأت عنها التوراة .. وكانت اسرائيل بعد ذلك هي « الكيبوتزات » و « الشعب الذي يحارب من أجل البقاء » .. أما نحن .. الشعب الفلسطيني فقد كنا في نظر العالم مجموعة من اللاجئين .. نوع من ضحايا حرب غير منطقية .. اما اليوم ، فقد بدأ العالم يرى ان كل شيء في دولة اسرائيل ليس سليما او نظيفا . لقد استطاع العالم أن يدرك ان هناك شعبا فلسطينيا . مليونان من الفلسطينيين يعيشون اليوم بعيدا عن وطنهم ، ونصف مليون آخر يرزح تحت وطأة الاضطهاد القومي الصهيوني . ومع ذلك فقليلون هم الذين يفهمون الصهيونية حقا في مختلف أبعادها » .. هذا ما يبدأ به شوقي الخطيب رسالته ، ولكن ما لم يقله في هذه الرسالة هو انه هو وأمثاله من المناضلين هم الذين يدفعون اليوم الثمن الباهظ لهذا التحول الذي بدأ يولد والذي يحتاج الى جهود الجميع حتى ينمو ويستمر .. شوقي الخطيب كاي مناضل حقيقي يتمتع بقدر كبير من نكران الذات ، ويهتم بان يشكر مسانديه في الغرب لانهم يمنحونه الثقة في الانسان ويساعدونه على الاستمرار في نضاله العادل الطويل . لكن الكتيب بوثائقه المتعددة يحاول ان يقدم للقارىء الغربي بعض ملامح الثمن الفادح الذي يدفعه المناضلون الفلسطينيون واليهود في الدولة العسكرية الصهيونية .

بعد رسالة شوقي الخطيب الى الراي العام الانكليزي يبدأ الكتيب بمقدمة عن الارهاب السياسي في اسرائيل ، يشير فيها الى الكثير من الحالات والى العديد من التقارير الرسمية التي أدانت هذا الارهاب الاسرائيلي وفصلت بعض ملامحه .. مثل تقارير لمنظمة (الصليب الاحمر الدولية) عام ١٩٦٨ و (للامم المتحدة) عام ١٩٧٠ و (لمنظمة العفو الدولية) عام ١٩٧٠ و (للجنة القدس) عام ١٩٧٠ و (لرابطة حقوق الانسان والحقوق المدنية في اسرائيل) عام ١٩٧٠ . ويتحدث فيها ايضا عن حالات اختطاف واختفاء بعض المواطنين العرب بواسطة أجهزة الامن الاسرائيلية . وعن (قانون العودة) المضحك المؤلم معا الذي اصدرته اسرائيل عام ١٩٥٠ والذي اصبح بموجبه من حق اي يهودي أن يحظى بالجنسية الاسرائيلية بمجرد ان يضع قدمه فوق ارض اسرائيل . بينما لا تزال السلطة الصهيونية ترفض ان يعود اي عربي فلسطيني الى أرضه ، بل وتعمل جاهدة ، مستخدمة كل الوسائل غير المشروعة لاجلاء بقية العرب واجبارهم على ترك بلادهم فلسطين . وعن سلسلة المحاكمات السياسية المعروفة باسم حلقات التجسس والتي أجريت في اسرائيل عام ١٩٧٣ وعن منظمة (الجبهة الحمراء) التي اتهمتها اسرائيل بتنظيم حركة للكفاح المسلح ضد الدولة الصهيونية .. وعن (المنظمة اليهودية اليسارية المعادية للصهيونية) .. وعن كثير من الوقائع والجزئيات التي تعد بمثابة تمهيد ذكي لحالة شوقي الخطيب .. يؤكد للقارىء ان ما سيقرأه عن عذابات شوقي الخطيب ليس مجرد حالة فردية ، ولكنه جزئية صارخة ضمن عشرات الوقائع والجزئيات .. وحلقة واحدة في كتاب طويل متعدد الصفحات والفصول هو كتاب العذاب والمقاومة الفلسطينية من ناحية .. وهو كتاب العسف والارهاب الصهيوني المتعصب من ناحية اخرى .

ومن صفحات هذا الكتاب يقدم لنا شوقي الخطيب بعض الوثائق.. ومن أبرز هذه الوثائق خطاب المحامية التقدمية فيليسيا لانجر الى ضابط البوليس ساسون في ادارة المهمات الخاصة بالناصرة . تحت عنوان (اعادة الشكوى فيما يتعلق باستجواب شوقي الخطيب) . وفيما يلي ترجمة لهذا الخطاب :

في ٢٥ يناير ١٩٧٣ قابلت في (معتقل ياجور الاحتياطي) المحتجز شوقي الخطيب ، بعد أن فوضني بموجب توكيل موقع منه ، وهو شيء اراد ان يفعله منذ فترة طويلة من الزمن ، للدفاع عنه . وقد سمعت شكايات مرة من موكلي تتعلق بالتعذيب الذي تعرض له أثناء

---

(١) كانت « لجنة العمل الفلسطيني » قد قدمت هذا الكتاب في مؤتمر صحفي عقدته في لندن منذ بضعة أشهر .

الاستجواب . ففي اليوم الرابع من اعتقاله ٨ ديسمبر ١٩٧٢ احضر مستجوبه الى الزنزانة التي اخذ اليها موكلي كابلا كهربائيا ذا لون ابيض ، كما احضر هراوة تشبه مضرب التنس . واخذ المستجوب (بكسر الواو) الذي لا يعرف موكلي اسمه في تجريد موكلي من ملابسه ثم اخذ يلمس خصيتيه بالكابل الكهربائي .. الذي لم يكن في البداية متصلا بالتيار .. وكان المستجوبون يقولون له : « سوف نقوم باخصائك ، وسوف ينام شخص آخر مع زوجتك » (احب ان اوضح هنا ان اصطلاح (ينام مع) هو تعبيري الخاص ، لان الكلمات القذرة التي استعملها المحققون لا يسمح المجال بذكرها) . وبعد ذلك سمح له المحققون بان يرتدي ملابسه ، ثم اخذوا يضربونه على راسه بتلك الهراوة . وبعد ان تلقى حوالي ثلاثين هراوة على راسه اجلسوه على كرسي ، وبدأ المحققون واحد من كل جانب ينتفون شعره حول اذنيه ومن صدغه ومن حاجبيه . وبعد فترة من الوقت جردوه من ملابسه ثانية وقال احدهما للاخر : « هيا .. وصل الكابل بالتيار الكهربائي.. لا بد ان نخصي ابن العاهرة هذا .. فقد وجدنا بالفعل من ينام مع زوجته بدلا منه » .. وعلى كل حال ، لم يوصل الكابل بالتيار وسمح لشوقي بان يرتدي ملابسه مرة اخرى . ثم بدأ المحققون يوسعونه ضربا ولكما في كل انحاء جسمه . وكان الاستجواب يدار بواسطة عدد من المحققين في وقت واحد . كلهم في ملابس مدنية واحدهم ينادى باسم مستعار (ابو جميل) والآخر (ابو عصام) وكانت الاسماء المستعارة تتغير باستمرار ، لدرجة ان موكلي لم يستطع ان يتبين اذا ما كانت هذه الاسماء المستعارة هي اسماء دورية أم اسماء محددة لبعض المحققين .

وفي ٢٦ ديسمبر ١٩٧٢ ، وبعد اعتقال رامي ليفنه ، يقرر موكلي ان فترة المعاملة الوحشية بدأت من جديد . واخذوا يستجوبونه مرة اخرى . وكان المحققون يجذبونه من شعره بينما هو جالس على كرسي حتى يرفعوه من على الكرسي معلقا من شعره بهذه الطريقة ، ثم يتركونه يسقط فوق الكرسي من جديد . وفي مرة اخرى لا يستطيع موكلي أن يذكر تاريخها بالضبط ظلوا يضربونه بهراوة غليظة قصيرة على راسه حتى اوشك على الاغماء ، ولما كاد يسقط امسكه محقق آخر ليمنعه من السقوط .

وبعد اعتقال رامي فان المحققين احضروا موكلي الذي كان محتجزا في (عكا) الى (ياجور) في محاولة لحث رامي على الاعتراف الى مستجوبيه . ولما فشلوا في ذلك فقد اعيد مرة اخرى الى (عكا) . وخلال هذه الفترة فان موكلي كان يلكم ويضرب بالعصي والارجل كل يوم بصورة منتظمة .

وفي الاسبوع الاول من يناير او حول ذلك التاريخ ، فان المحققين قد وضعوا موكلي في زنزانة واحدة مع رامي ليفنه ، كان ذلك في سجن (ياجور) .. وفي احدى الامسيات بين السابعة والثامنة مساء اخذ الى الاستجواب ، وجرده المحققون من ملابسه تماما ، ووضعوه تحت دش وفتحوا الصنبور فتدفق من الدش ماء بارد جدا اغرق موكلي .. وبعد فترة اخذ هكذا الى غرفة اخرى .. حيث عصب المحققون عينيه وهو عار تماما .. واحس بانهم يلصقون شيئا مثل شرائط البلاستيك اللاصقة في قدميه . ثم ما لبث نتيجة لذلك ان احس فجأة بتشنج رهيب واهتز جسمه كله ، وانفتح فمه على آخره كانه يريد أن يصرخ ولكنه لم يستطع . ووجد فمه هو الآخر قد اصيب بصدمة تشنجية مؤلمة . ويعتقد موكلي ان هذه صدمات قد أحدثت بواسطة الكهرباء . وهذه الصيغة من التعذيب ، بما في ذلك حمامات الماء البارد ، قد كررت في تلك الليلة ثلاث مرات .. بينما كان المحققون يقولون لموكلي انهم سوف يواصلون ذلك حتى يوافق رامي ليفنه على ان يتكلم . واثناء الاستجواب ، حاول موكلي ان يحتج على ما يفعله المحققون به فاجابوه : « نحن برلمانك .. ونحن قضاتك .. ونحن الهك » .. وأخذ احدهم قطعة من الورق وسحقها في يده ثم القاها في سلة المهملات وقال لموكلي : « هذا هو القانون.. بالنسبة اليّ » .

وقد هدد موكلي بان ضررا بليغا سوف يلحق به اذا ما فتح فمه او اشتكى مما جرى له . ولا يزال موكلي يعاني حتى اليوم من آلام في صدره نتيجة البرد الذي أصابه من جراء حمامات الماء البارد في يناير ، والتي تعرض لها لفترات طويلة .

انني اتوجه الى شرفكم ، كشخص مسؤول عن التحقيق مع موكلي، وارجو أن تبحث كل شكاواه الخطيرة تلك دونما ابطاء . واعتقد انه لا حاجة لي الى القول بان هذا الاسلوب الوحشي من الاستجواب ، الذي وصفه موكلي ، هو انتهاك خطير لمبادىء حقوق الانسان وازدراء لكل قانون أو عرف يتعلق بالتحقيق المبني على اشتباه من البوليس لا نفع فيه .. واني في انتظار جوابك في أسرع وقت .. المخلصة : فيليسيا لانجر » .

وبالطبع ـ كما تقول الوثيقة ـ فان فيليسيا لانجر لم تتلق اي جواب على خطابها هذا ، ولم يبادر البوليس باجراء أي تحقيق في الوقائع التي وردت فيه .. وفي ٢ فبراير ١٩٧٣ نشرت تقريرا اخر في صحيفة (هآرتس) عن الاسلوب الذي تعرض له رامي ليفنه في الاستجواب يؤكد ان كل ما ورد في شكاوى شوقي الخطيب صحيح .. وفي كتيب شوقي الخطيب وثائق وأحداث أخرى كنت ارجو أن يتسع المجال لترجمتها كلها للقارىء العربي .. وأهمها الوقائع التي ادين وفقا لها في المحكمة المضحكة التي اعتمدت كلية على شهادة البوليس وعلى اعترافات اخذت من شوقي الخطيب تحت وطأة التعذيب .. ومع انه نبه قضاته الى ان هذه الاعترافات لا اساس لها من الصحة وانها انتزعت تحت وطأة تعذيب وحشي وصفته محاميته في خطابات ووثائق عديدة كان الخطاب الذي ترجمناه قبل سطور واحدا منها ، الا ان القضاة لم يعيروا احتجاجه التفاتا وحكموا عليه بالسجن لمدة عشر سنوات .. مؤكدين ان موقفهم من القانون لا يختلف عن موقف المحقق البوليسي الذي سحق ورقة بين يديه والقاها في سلة المهملات وهو يقول : « هذا هو القانون بالنسبة لي » .

اقول كنت ارجو ان يتسع المجال لترجمة بقية وثائق هذا الكتيب الهام ، خاصة وان ثمة ملاحق به عن حالات اخرى .. ولكن ما ارجو ان نتنبه له اكثر هو ان نعمل على ان تصل الحقائق التي يحتويها هذا الكتيب وغيره الى أوسع قاعدة من القراء الغربيين .. لانهم في حاجة ماسة الى ان يعرفوا الجانب الاخر من الحقيقة . صحيح ان معرفتنا نحن العرب ببعض تفاصيل الثمن الفادح الذي يدفعه الفلسطيني من أجل بلاده تثير في اعماقنا الرغبة في التضحية والامل بالنصر ، لكن معرفة الراي العام الغربي بهذه التضحيات اهم من ذلك بكثير .. لانها ستحطم خرافة المثال الاسرائيلي الناصع البياض والذي عملت الدعاية الصهيونية في أوروبا على ترسيخه وكانه الحقيقة الوحيدة .. كما انها سوف تحثه على ان يعمل شيئا من اجل العرب بعد طول انحياز للجانب الاسرائيلي عرفت الصهيونية كيف تستغله وتستفيد منه .

الفيلم :

ان الحقيقة الفلسطينية تنعكس هذه المرة على مرايا يهودية ، ولكنها غير صهيونية في هذا الفيلم الوثائقي الشهادة (ان تعيش في حرية) والذي اعدته مجموعة من الفنانين الاسرائيليين اليساريين مع يهودية انكليزية يسارية وزنجي من جنوب افريقيا . ومع ان الفيلم ذاتي ، بمعنى انه اسرائيلي ، مهما كان حرصه على أن يقترب من الموضوعية ، وان يردد نغمة مغايرة اشد التغاير لتلك النغمة المكرورة الصهيونية المتغطرسة ، فانه برغم ذاتيته تلك ، وبرغم ما به من وجهات

نظر لا نوافق عليها ، يعد نقطة هامة على منحنى الرؤية اليهودية ، ينبغي العمل على تأييدها وتشجيعها على أن تصل الى أسماع العالم . فاهمية هذه الشهادة والرؤية التي يعرضها الفيلم تكمن في انها خارجة من قلب اسرائيل ، وانها تنطوي على معلومات مستقاة من مصادر أولية ومباشرة ، وعلى مشاهد وثائقية مصورة أقوى من أي محاولة صهيونية لطمس الحقيقة .

ومنذ العنوان الساخر (ان تعيش في حرية) يبدو وعي أصحاب الفيلم بضرورة أن يفيق الجمهور الاوروبي من اثر هذا التنويم الطويل الذي لقن خلاله مجموعة من الاوهام عن المجتمع الاسرائيلي .. ومن أول هذه الاوهام وأضخمها وهم الحرية .. فقد ظل راسخا في ذهن العالم الخارجي لفترات طويلة ان اسرائيل هي « واحة الديمقراطية في الشرق الاوسط » !! والفيلم يحاول منذ الوهلة الاولى أن ينقض هذا الوهم ، وان يعرض على المتفرج صورا من هذه الحرية ، وان ينبهه الى حقيقة صغيرة ، وهي هل باستطاعة الانسان ان يعيش في حرية في مجتمع يعيش على الاستغلال والمقت والكراهية ؟.. هل باستطاعته ان يعيش في حرية في مجتمع مبني اصلا على التعصب الديني والتفرقة العنصرية ؟.. هل باستطاعته أن يتمتع بحريته في مجتمع تسيطر عليه مؤسسة عسكرية ذات طبيعة فاشية ؟!.. وعلى فرض ان بعض افراد هذا المجتمع يعيشون في حرية .. فمن تراه يدفع الثمن الفادح للحرية التي يتمتع بها هذا البعض ؟!.. هذه هي بعض التساؤلات التي يطرحها الفيلم ، والتي يجيب على بعضها ، ويكتفي بانه اثار ببعضها الآخر الشك حول كثير من المسلمات السادرة. وعلى الصعيد النظري فان الفيلم يرى ان حل الصراع الذي لا يزال قائما بين العرب واسرائيل هو باقامة دولة ديموقراطية علمانية غير عنصرية في فلسطين يعيش فيها العرب الفلسطينيون واليهود تحت ظل مجتمع علماني يمنحهم معا حقوقا عادلة متساوية .. وهو الحل الذي تنادي به كثير من منظمات المقاومة الفلسطينية .. فكيف وصل الفيلم الى هذا الحل ؟

يعرض الفيلم من البداية لمحة تاريخية عن أصول المسألة اليهودية ، وعن الوضع الذي وجد فيه اليهود أنفسهم ابان الحرب العالمية الثانية ، وعن ظروف وملابسات الدعوة الى اقامة الدولة اليهودية في فلسطين ، وعن الوسائل التي تحولت بها هذه الدعوة الى واقع تجسد في قيام الدولة الصهيونية .. ويهتم الفيلم بابراز التناقض بين الدولة الحلم ثم الدولة الواقع .. جاء اليهود من كل مكان متوهمين ان الرب قد وهبهم بعد طول صلاة مكانا يجدون فيه الامن والسعادة .. ودفع كل من العرب واليهود ثمن هذا الوهم .. فها هم الفلسطينيون يفقدون وطنهم وأرضهم .. وها هم اليهود الذين يظنون انهم جاءوا الى أرض الميعاد يجدون انفسهم في ظروف من العوز والاضطهاد لم يتعرضوا لها في المجتمعات التي هاجروا منها ابدا .

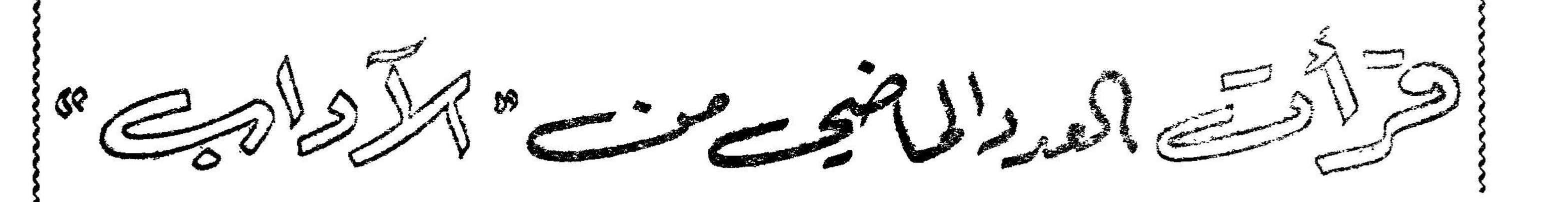
واذا كان ثمة الكثير من نقاط النقد والاختلاف في العرض التاريخي الذي قدمه الفيلم .. والذي جافى فيه بعض الحقائق الواضحة التي يعترف بها غلاة الصهاينة أنفسهم مثل حقيقة ان اسرائيل هي التي بدأت حرب يونيو ١٩٦٧ وليس العرب .. اذ يدعي الفيلم بصفاقة ان مصر هي التي بدأت هذه الحرب الاستعمارية التي خطط لها في أميركا أصلا .. الا ان الجزء الشجاع والذي يحظى بالتقدير هو المقابلات الوثائقية التي أجراها الفيلم عن الوضع في الاراضي التي احتلتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧ . ففي هذا الجزء يقدم الفيلم بصورة غير مباشرة ما ينقض زعمه بان مصر هي التي بدأت الحرب . حيث نتعرف فيه على رغبة اسرائيل الدفينة في التوسع ، وعلى نوعية الاستعمار الاستيطاني الذي تريد أن تفرضه على المنطقة .. وعلى الاشكال البشعة من الاستغلال .. وعلى المنطق الجائر والمشوه للعدالة اليهودية ..

والفيلم يركز على فئتين اجتماعيتين ليقدم لنا من خلال استعراضه لحياتهم ومقابلته لبعض نماذج واقعية منهم كل هذه المقولات .. هاتان الفئتان هما الفلاحون الفلسطينيون في الضفة الغربية المحتلة من نهر الاردن وفي قطاع غزة .. واليهود الشرقيون الذين هاجروا الى اسرائيل والذين يتمتعون بحق المواطنة الاسرائيلية ولكنهم في الواقع مواطنون من الدرجة الثالثة ان لم يكن من الدرجة العاشرة ... ومن خلال مقابلات مع فلاحي الضفة الغربية وقطاع غزة .. ثم عرض لجزئيات من الوقائع المصورة والاحداث تؤكد ما يقوله هؤلاء الفلاحون في مقابلاتهم .. نتعرف على أبشع صور انتهاك الحق الانساني .. فاسرائيل قد استولت بالقوة على منازلهم ومزارعهم التي هي من أخصب الاراضي في المنطقة دونما أي حق وبلا حتى أدنى تعويض .. وحاولت ان تجبرهم على ترك بلادهم والنزوح منها بشتى الطرق ... ويلخص عدد كبير من هؤلاء الفلاحين القضية في بساطة متناهية عندما يقولون انهم عانوا من ويلات الاحتلال الانكليزي ، ولكنهم لم يشهدوا اكثر وحشية ولامنطقية من الحكم الاسرائيلي .. انهم يقولون انهم مواطنون مسالمون يريدون الحياة في ارضهم وزراعتها والعيش من خيرها كما عاش آباؤهم الاف السنين .. وهم مستعدون حتى لان يدفعوا الضرائب للمحتل ما دام هذا هو قدرهم الغاشم .. لكن المستعمر الاسرائيلي لا يريد ذلك .. انه يريد تشريدهم وانتزاع أرضهم بالقوة وتحويلها الى مستعمرات عسكرية يهيؤها لايواء المهاجرين الذين يقيم الرأي العام الغربي ويقعده حتى يضغط على الاتحاد السوفياتي ويسمح لهم بالهجرة منه الى اسرائيل .

ويعرض الفيلم صورا متعددة لهدم بيوت العرب ونسفها ، والاستيلاء على أراضيهم بالقوة ، واستنزاف قوة عملهم بعد ذلك وقد أحالهم الى أجراء معدمين ، ويؤكد من خلال هذه الصور أمرين أساسيين : أولهما أن الوهم الذي بنت عليه الصهيونية دعوتها الى اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، على أساس ان فلسطين — كما قال هرتزل — وطن بلا سكان وان اليهود شعب بلا وطن ، وهم خاطىء من أساسه .. وان كل يهودي يهاجر الى اسرائيل يبني بيته هناك فوق أشلاء الضحايا العرب الذين تذبحهم المؤسسة العسكرية الحاكمة قربانا للمهاجر الجديد .. وثانيهما ان هؤلاء العرب الذين يطردون من بلادهم قد عاشوا فيها منذ آلاف السنين .. وان جذورهم تمتد في ترابها الى عشرات الاجيال .. وان ما يتعرضون له هو أقسى حلقة في سلسلة طويلة من القهر والاستغلال . وهذا يعني ان الحركة الصهيونية باعتبارها استعمارا استيطانيا ، هي أعلى واشرس مراحل الاستعمار التي عرفتها البشرية منذ بداية الصفحات الدامية في كتاب الاستعمار الطويل .

الفئة الثانية التي يركز عليها الفيلم ليقدم صورته الواقعية لوهم الحرية الذي يعيش فيه الاسرائيليون هي فئة المواطنين الاسرائيليين من الدرجة الثالثة .. وهم اساسا العرب الذين بقوا في فلسطين برغم عسف الصهيونية وارهابها ، واليهود الشرقيون الذين هاجروا من البلاد العربية الى اسرائيل .. هنا نتيقن مرة اخرى اننا امام مجتمع فاشي فالمقابلة الطويلة التي يقدمها الفيلم مع فوزي الاسمر الشاعر الفلسطيني الذي عانى الكثير لمجرد رغبته في الحياة في وطنه .. تقدم لنا الوانا من صور الحرمان من الحرية التي يتعرض لها قطاع كبير من هؤلاء الذين يتمتعون بحق المواطنة الاسرائيلي . فالاراء التي يقدمها فوزي الاسمر في شعره ، ويتبناها في احاديثه وكتاباته النثرية ليس فيها اي تطرف .. ولكن مجرد رغبته الصادقة في الحياة داخل وطنه هي بالنسبة للمؤسسة الحاكمة في اسرائيل قمة التطرف . اما بالنسبة لليهود الشرقيين فان الفيلم يقرر انهم يعيشون في اسرائيل حياة مواطن الدرجة الثالثة .. يستغلون وينهبون ويحرمون من كل المميزات التي يحظى بها اليهود

— التتمة على الصفحة ٥٤ —





الياس شاكر

القضية المركزية التي تدور حولها معظم ابحاث العدد السابق من « الآداب » ، هي مسالة الالتزام في الادب . ومعظم هذه الابحاث تطرح المسالة بغاية التوصل الى ما يخدم القيمة الفنية للعمل الادبي، بالعلاقة مع الالتزام السياسي والاجتماعي . من هذه الزاوية ، يضع الشاعر احمد عبد المعطي حجازي شاعرا اخر هو خليل مطران ، في المكانة التي يستحقها في تاريخ الشعر العربي الحديث ، ويتصدى الياس خوري لدراسة الادب الفلسطيني ، ويتحدث فيكتور شكلوفسكي « عن صعوبات العمل الادبي » ... ويتابع شفيق مقار غاية معاكسة هي اخضاع الادب لاهداف دعائية لا علاقة لها بالادب والفن ، في محاولته التعريف بسولجنتسين ، كما سنرى .

***

يبرز احمد عبد المعطي حجازي ، في الاساس من شعر خليل مطران ، كونه « الشاعر صاحب القضية » ، ويعقد لنا مقارنة بين مطران من جهة وشوقي وحافظ من جهة ثانية ، تنطلق من التفريق بين المواقع الايديولوجية والطبقية : وبنتيجة هذه المقارنة « يمكننا ان نقول ... ان الاسباب التي املت على مطران وصاحبيه مواقفهم من مسالة الشعب والوطن ، هي التي املت على الجميع مواقفهم من مسالة القديم والجديد » ، والمقصود بذلك « التجديد في منهج الكتابة وفي شكل القصيدة لا في موضوعها » .

ان اعادة مطران الى مكانته في الريادة الادبية ، حتى اعتباره « اول المجددين » لما يزعزع الكثير من التصورات والمفاهيم التي تسود كبديهيات بحيث يتم الانقسام والتحزب على اساس الشكل دون المحتوى . ولا يقتصر الامر على التعصب لهذا الشاعر او ذاك كما ينقسم الناس بين فرق كرة القدم . الامر اخطر من ذلك ، يشير اليه حجازي : « انها كارثة يمكن ان تقضي على الشعر ، ان يكون تجديدنا المعاصر موحيا للناس بانه منقطع الصلة بما سبقه من تراث الشعر العربي » . ان اهمية ادراكنا بأن « معرفتنا بالتراث غير دقيقة » تكمن في ان « المعاودة » المستمرة ـ وفي خليل مطران كما في دراسة حجازي عنه خير مثال عليها ـ هي معركة يخوضها الاديب في الحاضر من اجل مستقبل الادب لا من اجل ماضيه . وتصورنا للماضي ليس امرا مستقلا عن معرفتنا المتحولة مع تغيير العالم . ولعله كان اكثر انسجاما مع هذا المنطق الذي يقود مجمل التحليل ، لو ان حجازي اشار في قوله « ان امته (مطران) العربية كانت في اواخر القرن الماضي تمر بحال شبيهة بحال الشعوب الاوروبية قبل الثورة الفرنسية » ، الى ان هذه الفكرة تعود لمطران نفسه . ذلك ان ما كان مبررا بالنسبة لمطران من عدم رؤية خضوع البلدان العربية للامبريالية ، ليس مبررا في ايامنا . وتنتج عن ذلك عواقب لا تقتصر على الاختلاف حول الماضي ، بل تتعدى ذلك الى فشل قد يتجاوز في خطره فشل الثورة الوطنية الديمقراطية التي قامت في ايام مطران بقيادة العناصر البرجوازية التي كانت عاجزة عن معرفة طبيعة العدو الذي تحارب .

لكن ذلك لا يقلل اهمية ما ركز عليه احمد عبد المعطي حجازي في تحليله ، وهو ان تأثير الالتزام ، الاخلاقي او الوطني او الطبقي، في الادب ، لا ينفي اهمية الالتزام بالادب . ولعل هذا ما حدس به خليل مطران ، وحاول نحت مفاهيم للتعبير عنه من لغة المرحلة، حين ميز بين « شعر ادبي » و « شعر عملي » . وهنا ما يفسح في المجال لعدم الازدراء بالتجريب الشكلي شرط تملك المنجزات السابقة ، لا كاستظهار لها كما وصلت الينا ناجزة ، بل في سيرورة تشكلها، شرط امتلاك سر كلاسيكيتها وتجدد الكلاسيكية على الدوام . فكل تجريب شكلي بدون ذلك عبث .

***

هذا ما يريد قوله فيكتور شكلوفسكي ، احد رواد المدرسة الشكلية التي كان لها شان في النقد الادبي السوفياتي بعد ثورة اوكتوبر ، بالارتباط مع مجموعة الشعراء والفنانين المستقبليين الذين انحازوا الى الثورة وعملوا على تطوير انتاجهم في ضوء الماركسية . وهي المدرسة التي رميت بالانحطاطية في فترة معينة تلقب عادة بالجدانوفية . ان تعريب هذا المقال ـ الوصية الذي كتبه شكلوفسكي الان بعد الثمانين من عمره ، وعربته رندة حيدر عن مجلة « آثار واراء » السوفياتية ، يثير ضرورة التعريف بتراث شكلوفسكي وامثاله لازالة الكثير من الافكار المسبقة ، والتي تحتاج الى«معاودة»، لا فيما يختص بالادب السوفياتي وحده ، بل بتاريخ الاداب عموما .

يقول شكلوفسكي متحدثا عن جاك لندن « كان جاك لندن كاتبا كبيرا ولكن كانت له حقيقته الخاصة . وكنا اقدم منه بثورتين او ثلاث » . في ضوء مثل هذا الوعي الماركسي بنسبية « الحقيقة » ، يمكن في زمننا هذا التصدي لممارسة علمية في النقد الادبي، تساعد في تطور الادب ولا تقضي عليه ، وتساعد في الحكم على قيمة التجارب الشكلية باقل ما يمكن من احتمالات الخطأ ، كما تساعد في التمييز بين التمرحل على المستوى الاقتصادي ـ الاجتماعي وعلى المستوى الادبي ـ الفني ، بمراحل ، او « ثورات » تتفاوت في الزمان والمكان بحيث يمكن في ظروف معينة ان يتسارع تحول المستوى الادبي،ويسبق المستوى الاقتصادي ـ الاجتماعي والسياسي في بلد معين بالنسبة لبلد اخر وفي التاريخ امثلة كثيرة على هذا الاحتمال .

***

في ضوء كل ما تقدم نقبل على مقال الياس خوري « نقاط من اجل دراسة الادب الفلسطيني » ، فنجد ان الكاتب في تصديه لتاسيس قاعدة نظرية « تسمح بالشروع بدراسة الادب الفلسطيني بشكل جديد » ، وجد نفسه يتصدى لكثير من المسائل النظرية التي اثارها لدينا المقالان السابقان . فهو اذ يبدأ بتحديد منهجه برفض « منهجين » يشكلان طرفي « المنهج النظري المتعدد الذي يتخذ من الصفر منطلقا » ، وهما « نظرية الانعكاس الفج » و « افتراض الادب، خاصة الشعر ، عالما مثاليا لا علاقة له بشيء الا بنفسه الابداعية الخاصة » ثم يحدد منهجه باعتبار « الادب شكلا من اشكال الانتاج

الايديولوجي » ويعيد بذلك « الاعتبار الى التاريخ الادبي ... دون ان يصبح هذا التاريخ مدخلا للعملية النقدية ... فالحقل الايديولوجي يقوم باعادة ترتيب عناصره واضافة عناصر جديدة اليه بوصفه حقل صراع طبقي ... وهكذا يصبح التاريخ الادبي نقطة اضاءة للممارسة الادبية دون ان يحجب المدخل الاساسي للتحليل ، الذي يرتبط بالفهم المحدد للمرحلة التي تجري دراستها ثم يؤكد على نقطتين هما:

١ ـ « السياق الموحد للايديولوجيا العربية ...

٢ ـ « التأكيد على ان تعددية اشكال الممارسة الادبية الفنية ، تطرح من داخل اشكالية واحدة ، لها جانبان اساسيان . النموذج الثقافي والمسالة الوطنية الاجتماعية » .

لكن عملا بهذا المنهج ، وفي التحليل التاريخي وصولا الى هذا « التاكيد المنهجي » ، « قفزنا مباشرة الى البنية الايديولوجية العربية ، وخريطة الادب العربي ، مهملين خصوصية الايديولوجيا الفلسطينية » ، وهذا القفز ، رغم اهمية الاصرار على « الوحدة » ، يطرح منذ البداية بعض المحاذير التي تتعلق باستخدام المفاهيم . كما ان التبرير النظري العام لعدم جعل « التاريخ الادبي ... مدخلا للعملية النقدية » ، لا يكفي لتبرير صحة العرض التاريخي السريع لتطور الادب العربي الحديث ، الا اذا قبلناه كنموذج معرض لاعادة النظر ، كما يؤكد الكاتب نفسه نظريا ، وكما رأينا في المثال العملي الذي قدمه احمد عبد المعطي حجازي في مراجعة شعر خليل مطران .

وهنا تطرح عدة اسئلة :

ـ اليس اعتبار « الادب شكلا من اشكال الانتاج الايديولوجي » هو المسؤول عن وضع التطور الادبي والتطور « الوطني ـ الاجتماعي » في خطين متوازيين ، ثم المطابقة بينهما ؟ مما يستدعي اهمال « خصوصية الايديولوجيا الفلسطينية » ويسهل التوصل الى استنتاج اخير ، هو المحدد سلفا لسياق التحليل النظري ، بعد رفض خصوصية الادب الفلسطيني ؟ (فمجرد خصوصية « الصوت الفلسطيني » ناتجة عن اختلاف المكان ، مما يجعل الادب الفلسطيني المعاصر مجرد تنويع فولكلوري داخل الادب العربي) ؟

يعيدنا هذا الى مفهوم « الانتاج الايديولوجي » الذي يدمج فيه الياس خوري مفهومي الانتاج والايديولوجيا ، بحيث يطمس ان كل نتاج يخضع لايديولوجيا معينة ، بمعنى تصور وهمي للواقع ولعلاقاته، تتحدد فيه نسبية « حقيقة » المرحلة . ما الذي يجعلنا ندرك هذه « النسبية » اذا كنا لم نخرج عن المرحلة فنتوصل الى ما يشبه القول بان الشعر الفلسطيني لا يختلف عن شعر خليل مطران مثلا ؟ ثم اليس اعتبار ان « المدخل الاساسي للتحليل ... يرتبط بفهم المرحلة « مطابقة بين مراحل تطور مختلف مستويات البنية الاجتماعية او حتى مختلف مستويات البناء الفوقي ؟ وبالتالي الا يتطلب الفهم المحدد للمرحلة « فهما » للتاريخ الادبي بالذات في تميزه واستقلاليته النسبية عن التاريخ الاقتصادي ـ الاجتماعي ؟ ان الياس خوري يسقط هذا التميز سلفا ويؤدي به ذلك الى النكوص حتى عما حدس به خليل مطران بتمييزه بين « الشعر الادبي » و « الشعر العملي » كتناقض في الشعر لا يستقيم بدونه « تكامل الموقف الشعري » ووحدته .

وسؤال اخير : عندما نجد ، في التاريخ الادبي ـ النموذج ، الذي يقترحه علينا المقال ، تحديدا للحركة « الشعرية الجديدة » بانها « تفترض كسر الجدار البنائي القديم في الشعر » ، ثم عندما يبشرنا بتجاوز اطارات القصيدة الجديدة « وصولا الى بنية القصيدة ، او الى شكل القصيدة الخاص ، عبر التخلص نهائيا من المحلول الشعري ـ الكلام الشعري او الجملة الشعرية ، في سبيل تاسيس تكامل الموقف الشعري في القصيدة المركبة . هذه الانعطافة التي لا تزال في بداياتها التجريبية هي المؤشر الاساسي لخط التطور الذي يمر به الشعر المعاصر » ، السنا امام نموذج لتطور الشكل في القصيدة يضع هذا التطور في خط غير منقطع من التتابع الزمني ، يرسمه تحديد للشعر ، يوحي بانه شعر خالص يولده سحر ما في الشكل ، نتيجة « تكامل الموقف الشعري في القصيدة المركبة » ، « عبر التخلص نهائيا (ولنلاحظ نهائيا هذه) من المحلول الشعري ـ الكلام الشعري او الجملة الشعرية » ؟

اليس في اسقاط « المحلول ... الكلام ... الجملة » اسقاط للشعر من « الحقل الايديولوجي » بعد ان اعتبره الياس خوري « شكلا ايديولوجيا » ، واعتبر ان الادب « يحتل اساسا حيز اللغة ـ الدلالة » ، « داخل المستوى الايديولوجي » ، بحيث « يصبح الادب ـ الممارسة حقلا ايديولوجيا » ؟

لا مجال هنا لحل تناقضات المقال التي لا تقلل من الجهد الذي بذله الكاتب الذي انما طرح نقاطا اولية يرى ضرورة اخذها بعين الاعتبار في دراسات لاحقة قد تتحدد مفاهيمها ويتكامل فيها «الموقف» النظري .

اما فيما يختص بالاستنتاجات الاولية التي يستخلصها فتظل استنتاجات تجريبية ، ونرى ان الثورة الفلسطينية ، التي لم تعد مقتصرة على « الممارسة القتالية » ـ التي يرى فيها الياس خوري « الطريق الوحيد لاستعادة وتاسيس الرؤية العربية الجديدة » ـ ستعدل في مسارها الكثير من الاستنتاجات وتحل الكثير من القضايا النظرية العالقة ، وذلك بقدر ما يتكامل وعي طلائعها بوحدة حركة التحرر الوطني العربية والعالمية والحركة الثورية العالمية ككل ، وقد سبقت في ذلك الكثير من المنظرين . فاذا كان صحيحا « ان الشخصية الفلسطينية المستقلة ، بدأت عملية تحررها من الاندماج الكامل داخل الوعي القومي العام لتبحث عن صوتها الخاص » فليس هذا « الصوت » صوتا صارخا في البادية مثلما كان صوت « القديس البدوي » خليل مطران . ولا يعني « تحررها » هذا ، « على المستوى الادبي » مجرد عودتها « بحثا عن الثابت الفلسطيني في مرحلة صعود رومانسية على جميع المستويات » ، فحتى في مفهوم « الثابت » الادونيسي ليس الاصل ثابتا . ولم يغب ذلك عن الياس خوري في مقدمته المنهجية . ان ما يحرك هذا « الثابت » هو الصراع الدائر في الحاضر ، لا ضد عدو لا وجه له يجعل « الشخصية الفلسطينية » شخصية تمحو كوفية الفدائي قسماتها ، بل ضد عدو محدد لا يضير الشاعر ان يسميه باسمه : الامبريالية العالمية وركيزتاها في المنطقة ، الصهيونية والرجعية العربية . بل يؤسس الصراع الايديولوجي ـ حتى بالشعر ـ الذي تخوضه قوى التحرر، على قاعدته المادية التي ليس من الماركسية في شيء استخلاصها من القوى المنتجة المحلية ، لان « المرحلة » الامبريالية قد وحدت العالم منذ القرن التاسع عشر باخضاعه لعلاقة الراسمال على اساس تطور للقوى المنتجة ليس من الضروري ان يتكرر في كل مكان . ونحن الان نعيش الانتقال الحاسم من الراسمالية الى الاشتراكية على الصعيد العالمي ، ومن صالح العدو فقط ان يخفي وجهه بعدم تسمية « المرحلة » . فالتحرر من « الوعي القومي العام » هو بالاحرى تحرر من وعي قومي محدد ، برجوازي ، يحول الصراع الى مجرد صراع قومي ـ ديني ويطمس « المرحلة » التي يريدها الياس خوري مدخلا ، فلا يعود يرى ان « اشتداد اثر التيار الماركسي على المستوى الثقافي والسياسي عبر نقد ذاتي للممارسة السياسية السابقة » ، ليس مجرد رد فعل بين « ردود فعل مختلفة » على هزيمة حزيران ، الى جانب تيار « الحداثة » و « التيار السلفي المتخلف » .

وليس صحيحا ان هذه « التيارات » ، « لا تضيف ... جديدا على الفكر العربي » (كلمة تضيف ايضا غير دقيقة هنا) . بل الصحيح ان في ذلك دليلا على اشتداد الصراع الطبقي حدة ، وما انطلاق الثورة الفلسطينية سوى وجه من هذا الصراع ، وفي

استمرارها خروج مستمر من « المرحلة » التي اوصلت فيها قيادة البرجوازية حركة التحرر الى الطريق المسدود ، اي خروج من الماضي ، وهو خروج هذه المرة ، ولاول مرة ، من ماض تمتد جذوره الى اقصى واعمق ما تصل اليه ذاكرة البشرية جمعاء . انه حلول مستمر لزمن جديد يحدد ايقاعات « الصوت الشعري القادم من الارض المحتلة » عبر صراع مضن يعانيه الشعراء بين الشكل والمضمون ، ينبغي الا يحجبه عنا النقد الاكاديمي الذي يقف عند حدود اللغة وتستخدمه الرجعية في محاولات ايقاف الزمن القادم بالتفتيش عن نواحي الضعف الشكلية ، لتتهمه بـ « الشعوبية » وسواها من التهم ...

يقول الياس خوري « لا يوجد استقلال ادبي كامل طالما كانت الاسئلة النظرية واحدة . هناك صوت فلسطيني خاص داخل الادب العربي . يأخذ هذا الصوت خصوصية من المكان وليس من الزمن ». اما انه لا وجود لاستقلال ادبي « كامل » ، فهذا تحصيل حاصل لا يغير شيئا من خطورة ما يلي ، اي من التأكيد على ان هناك اسئلة نظرية واحدة . ذلك ان كل شيء هنا يتوقف على : من يطرح السؤال؟ ان بحث الياس خوري بالذات دليل ملموس على ان طرح السؤال ليس مسالة بسيطة ، فالصراع الطبقي « في الحقل الايديولوجي » لا يدور على الاجوبة بل على طريقة طرح السؤال . وعدم ادراك ذلك يعني الخضوع لايديولوجية البرجوازية المسيطرة . والقول ان «الزمن الثقافي العربي موحد . لان الهم الثقافي موحد في التحليل الاخير»، يخفي ازمة قيادة البرجوازية الصغيرة في وحدة « الثقافة » ، التي تكرر الدعوات الرجعية الى « وحدة الصف » الموجهة لاسكات صوت الثورة الفلسطينية داخل « الاجماع » العربي . وبالتالي فان ارجاع « الصوت الفلسطيني » الى « المكان » وليس الى « الزمن » ليس سوى تكرار الصدور من « نقطة الصفر » ، ولا يعود هناك اي معنى للقول بان « المكان الفلسطيني ، هو التجربة الجديدة ، حيث تاخذ اشياء الطبيعة بعدها لتشكل امتداد الانسان في الزمن » ، اللهم سوى الدعوة الى الصدور من نقطة الصفر ولا يتثور هذا الكلام بالقول بممارسة قتالية في المطلق .

ان « وحدة الادب العربي » ليست محصورة بالتالي في «الثابت الرومنسي» بل في الزمن الجديد ، زمن الثورة ورفض القول بصدور الصوت الفلسطيني عن خصوصية المكان وحسب ، هو تأكيد على استمرارية الثورة . والدفاع عن خصوصية الادب الفلسطيني ، في جدلية الزمان والمكان وليس في الفصل الميتافيزيقي بينهما ، هو دفاع عن وحدة الادب العربي الجديد ، ولعل مهمة النقد الادبي هي التعلم من الادباء والشعراء الفلسطينيين ـ وليس تعليمهم وحسب ـ ليتمكن من البحث عن الخصوصية التي يتحقق فيها الزمن الجديد في الادب العربي غير الفلسطيني ، لان رؤية التفاوت والخصوصيات هو الذي يسمح باستخراج وحدة ارقى ، في حين ان رؤية التماثل يعني البقاء اسرى الماضي . ان منطق الزمن الجديد يقوم على التفاوت في التطور ، ومنطق الثورة هو ان من يتاخر عنها يصبح رجعيا . والثورة دائما قادمة ، ومنطقها لا يرحم .

اخيرا تبقى امثولة خليل مطران الذي دعا الى « هدم العالم الظالم وانشاء عالم اخر اكثر عدلا وجمالا وحرية يضع اساسه هؤلاء المضطهدون » ، تبقى دليلا على ان الزمن الجديد بدأ يأتي ، تلتقطه هوائيات « الشعر الجديد » ، حتى قبل ان يصبح اسمه معروفا كما هو الامر اليوم . فباسم العالم الجديد يتحدد الزمن ولا زمن مطلقا مجردا ، ميتافيزيقيا . بل زمن مادي .

***

بعد كل ذلك نقرأ في العدد السابق الجزء الثالث من ثلاثية شفيق مقار المكرسة لسولجنتسين ، التي نشرت تباعا على مدى ١٠٧ و ١٣ صفحة من الاداب . والمقال بمجمله لا يضم سوى تنويعات التهجم على الماركسية والاتحاد السوفياتي ، ضمن تنويعات جهد كاتب المقال في اضفاء طابع الموضوعية والحياد على موقفه ، مستعينا بنقد تبريري لما اصبح لا يقبل الجدال من حقيقة الغرب الامبريالي ومن حقيقة سولجنتسين .

يقول مقار نفسه في نهاية القسم الاول مبررا اصراره على العودة الى الموضوع في الاعداد اللاحقة : « المسألة فيما يخصنا اهم بكثير من مجرد قضية ادبية ، او جمالية ، او فلسفية ، واعمق من مجرد مشكلة اخلاقية . » فيم تكمن المسالة اذا ؟

باختصار فيما يلي : كان مقار يعلق آمالا كبيرة على سولجنتسين في تفجير الوضع الداخلي في الاتحاد السوفياتي ، ويخلص العالم من الماركسية ، اذ يشبهه بـ « حكومة في المنفى » لكن سولجنتسين سقط فنيا وفلسفيا واخلاقيا ، ولا بد من عملية ترميم ما تصدع بذلك في الدعاية التي توجهها مطابخ الاستخبارات الغربية الى « المثقفين » العرب بشكل خاص . هل في هذا التلخيص مبالغة او تشويه ؟ لندع مقار يتكلم .

يتحدث مقار عن « الاجراءات الادارية » الموجهة ضد « المواهب المدفونة » في الاتحاد السوفياتي فيقول : « ما من شك في ان تلك الاجراءات ـ بالاضافة الى جمود وضيق افق وتعصب مدرسة النقد الارثوذكسية وقد اكتوينا بنارها هنا في العالم العربي امدا طويلا على ايدي المقلدين الكبار ـ ما من شك في ان تلك الاجراءات الادارية والنقدية تحمل قدرا كبيرا من وزر ذلك التخلف الادبي ودفن المواهب وقتلها . »

من حسن حظ مقار انه ليس « هنا في العالم العربي » ، واننا ، على كل حال ، لا نملك ان نتخذ بحقه اي « اجراءات ادارية » لان هذه الاجراءات كانت « امدا طويلا » تتخذ « هنا » بحق « مدرسة النقد الارثوذكسية » . فليتحمل ما شاءت الصدف ان نحمله من « وزر » عن طريق « الاجراءات ... النقدية » بحقه .

اولا : مقار يجهل كتابات سولجنتسين والحياة الفنية والادبية في الاتحاد السوفياتي . وما يملكه من معلومات ، يستقيه من مطابخ الدعاية الغربية التي اقامت الدنيا فلم تقم ، في الضجة المثارة في الفترة الاخيرة حول سولجنتسين في الصحف الغربية التي يهاجمها مقار متصنعا الموضوعية والحياد . بعض الامثلة :

ـ كل استشهاداته من الكتابات والصحف الغربية في الفترة الاخيرة .

ـ يقول عن الشاعر افتوشنكو انه « اعتذر (بعد ان تصدى للدفاع عن سولجنتسين) بقصيدة يتغزل فيها بمصنع للجرارات او سيارات النقل لا ندري » . قرأنا هذه القصيدة « هنا في العالم العربي » باللغة العربية . ولم نجد فيها ان الشاعر قد « اعتذر » او « تغزل بمصنع » . القصيدة عنيفة في النقد لكن يفتوشنكو لا يحتقر الطبقة العاملة الروسية التي يحتقرها سولجنتسين وامثاله (القصيدة معربة في نشرة « انباء موسكو ») .

ـ يثق مقار بنقد « المنشق » سخاروف (ويسميه «زخاروف» نقلا عن الصحافة الغربية) الذي يصف سولجنتسين بانه ليس اديبا بل مجرد « داعية » ، بعد طرده الى الغرب وبعد ان خجل اكثر اصدقائه رجعية في الغرب من تبني اقواله وسقطت الهالة التي حاولوا الباسه اياها بوصفه شهيدا في الداخل . ان سخاروف بذلك يحاول الدفاع عن هالته هو كشهيد ، وهو الذي عقد مؤتمرا صحفيا في منزله في موسكو منذ سنتين دعا فيه الغرب الى زيادة تسلحه لمواجهة قوة الاتحاد السوفياتي . هذا ما لا يذكره مقار . لكنه يمحض « زخاروف » ثقته دون تحفظ .

ـ يزعم مقار ان خروشتشوف حاول استخدام « سولجنتسين

ويفتوشنكو ومصور)) في نقد ستالين ، واستثناهم من هجومه على ((المجددين والمجربين من كتاب الاتحاد السوفياتي وفنانيه التشكيليين الذين ضلوا عن سراط الاشتراكية الواقعية المستقيم)) (لاحظ الازدراء الذي ينم عن ((موضوعية)) مقار) . وبصرف النظر عن رأينا بآراء خروشتشوف في الادب والفن ، نتساءل من هو ((المصور)) الذي نسي مقار اسمه ، واذا به ينسب الى خروشتشوف قوله : ((لوحة المصور جريجوري شوخاري ((السماوات الصافية)) . وقد شاهدت بيروت منذ سنوات عديدة فيلم ((السماوات الصافية)) للمخرج السينمائي السوفياتي غريغوري تشوخراي .

ـ يمكن الاكثار من الامثلة على ((الدقة الاكاديمية)) في دراسة مقار ، التي تبرر لهجة الازدراء بالواقعية والماركسية وتشويهه لهما. الواقعية تقول في زعمه ((ان الفن لا يكون فنا الا اذا رفع السلاح في خدمة عقيدة سياسية)) و ((العقيدة السياسية)) ، هي ((الدين (الماركسية))) الذي يطالب سولجنتسين بفصله عن الدولة ((طالبا العودة الى رحاب الدين واطلاق الحريات الى حد معين فهو لا يقر الحرية السائبة غير المنضبطة))، ومقار كذلك . ولعله مع سولجنتسين يتصور نفسه في الحكم . فكيف يوفق بين كل ذلك .

يضع مقار المسؤولية في السقوط الفني لاعمال سولجنتسين على عاتق النظام في الاتحاد السوفياتي . فسولجنتسين بالتالي قد استحق جائزة نوبل واصبح من اكبر كتاب العصر العالميين لان النظام تسبب في سقوطه الفني . لا يستغربن احد هذا المنطق فقد سبق لمقار ان نبهنا الى ان ((المسألة اهم بكثير من مجرد قضية ادبية)) . اذ ان الذنب في ذلك ((ذنب الجو الفكري المقفل المذعور من التعرض للتيارات الوافدة ومناقشتها ، وهو الجو الذي جعل من هذا الكاتب ما نصفه بانه تكرار متأخر زمنيا واخلاقيا ... ان ذلك الخطر الذي طرد بسببه كامن في ولعه باجترار التاريخ)) . ويحاول مقار ان يجد القيمة الوحيدة في ادب ((الرجل)) بمقارنته بأدب الغرب التشاؤمي قبل الحرب العالمية الثانية وابان ازمة ١٩٢٩ ، واعتباره تكرارا له. ويعتذر عن سولجنتسين بـ ((الجو الفكري المغلق)) .

لكن مقار يصطدم بعقبة ثانية هي كون سخاروف قد وصف سولجنتسين بانه ((داعية)) ، فيتصدى لتجاوز هذه العقبة ايضا . فبعد ايراد قصيدة لسولجنتسين يعلق قائلا : ((وقد لا يكون هذا الشعر جيدا ، وقد لا تكون فيه صنعة فنية حاذقة ... فالرجل كما وصفه زخاروف داعية ما في ذلك شك ... فهل يسير سولجنتسين في ظلال الواقعية الاشتراكية الوارفة اذن ؟ اطلاقا . فهو ابعد ما يكون عنها)) . قد يجد القارىء في هذا الكلام سذاجة من يصدق اكاذيب ((النقد غير الكاثوليكي)) عن الواقعية الاشتراكية . غير ان القارىء واجد بعد امعان النظر ان مقار نفسه غير كاثوليكي ابدا . لنر كيف : يتبرع مقار في تفسير ادب سولجنتسين فيقول في اتجاه تجاوز العقبة : ((وفي هذا التصوير للعالم كما هو يحل سولجنتسين مفهوم الصدق محل مفهوم الواقعية)) . ومنطق مقار ان ((الواقعية)) لا تعرف ((الصدق)) لانها دعاية سياسية . وسولجنتسين منها براء لانه ((صادق)) رغم تصويره ((العالم كما هو)) . وبريخت بالتالي غير صادق لانه ماركسي ولانه يملك عقيدة سياسية ، لان ((بريخت فعل نفس الشيء من موقف مضاد)) . وماذا فعل مقار ؟ انه يعرف ان الكثير من المثقفين العرب ، رغم انهم غير ماركسيين يعرفون القيمة الفنية لبريخت الماركسي ، فيحاول رد الاعتراض المحتمل ويتظاهر بمعرفة بريخت وبسكاتور ويخلط الاوراق ليفش . انه يخون منطقه من حيث يحاول ترقيعه فيصف ((صدق)) سولجنتسين((بالدوجماتية)) ثم يعود فيستخدم سولجنتسين لينسب ما علق به من ((دوجمانية)) الى كونه يمارس ((صدقه)) في ((جو فكري)) يتصف بالدوجماتية. وما هم اذا سقط ((الصدق)) من ادب ((الرجل)) فالمسألة ليست ((جمالية)) .

لكن مقار لا يلبث ان يسقط ((الصدق)) عن الرجل نفسه دون ان يدري . فهو سعيا وراء رسم صورة تضخم من تأثير الرجل يقول عنه انه في صراعه مع حكومة الاتحاد السوفياتي ((الكلبية)) قد ارتكب الخطأ في عدم عمله بالسر او في كشف اوراقه قبل الاوان . والموضوعية يقول مقار بدون اي ((كلبية)) : ((اخطأ النظام الستاليني ... فبدلا من التخلص من سولجنتسين اعطاه منحة ليواصل تعليمه ..)) . و ((للحياد)) يوازن مقار هذا الخطأ بخطأ سولجنتسين في انه ((بعد سذاجته الاولى ارتكب خطأه الثاني ، ودخل في اول تجربة له واول تعامل مباشر مع القوة التي قضي عليه بحكم اختياره ان يكون كاتبا وشريفا ان يظل ابدا في موقف المناوأة والمعارضة لها ، ونعني بذلك تجربة نشر روايته الاولى : يوم من حياة ايفان دنيزوفيتش فاذا بها تستخدم كمنشور دعائي في حملة ضد زعيم سابق ...)) ما لا يقوله مقار ، هو ان سولجنتسين في ((يوم من حياة ...)) يجعل بطل الرواية يتهم سجانيه بانهم غير شيوعيين لان اعمالهم تتنافى مع المبادىء التي يدعون الايمان بها . في حين ان الكاتب يدافع في مؤلفاته الاخيرة عن النازية وعن الخونة المتعاونين مع هتلر ويعبر عن احتقاره لشعبه . والسؤال : من الذي كان ذا وجهين يوم صدر ((يوم من حياة ...)) ؟

لا شك ان من صالح مقار ان يجعل القضية ((اعمق من مجرد مشكلة اخلاقية)) .

ثم تفشل ، بنفس المنطق ، محاولات جعل ((الشوفينية)) تنقذ الرجل من لا وطنيته ، وجعل تعصبه الديني ينقذه من حقده على الانسانية ، وجعل ((تدريبه العلمي ودراسته للرياضيات)) ينقذه من ((تورطه)) في العداء للتقدم العلمي والتكنولوجي ...

لا مجال للدخول في التفاصيل ، لكن لا يستغربن القارىء ((فالمسألة فيما يخصنا اهم بكثير من مجرد قضية ... فلسفية)) . واخيرا يسقط سولجنتسين ويبقى امامنا مقار .

كل ما في الامر ان سولجنتسين عبر عن حقده على حكومته لانها تساعد العرب ، فاراد مقار ان يدافع عنه بمهاجمة ردود الفعل على اللاسامية في الغرب ثم وضع الشرق والغرب في وعاء واحد وتغليف كل ذلك بالثرثرة ((الكلبية)) (والكلمة له) ، لرأب ما يمكن ان يتصدع من الدعاية الامبريالية المعادية للاتحاد السوفياتي والشيوعية وحركة التحرر الوطني ، نتيجة تنفيس بالون سولجنتسين .

***

في عدد الاداب الاخير ، زمن يأتي ، وزمن يمضي .

والزمن الجديد يحرك الرواسب في الاعماق فتتصاعد فقاقيع ايديولوجية لتنفقىء مع سولجنتسين في بون وواشنطن ولندن ...

بيروت





د . مناف منصور

لعل أول ما يطالع الناقد ، عند قراءته لقصائد العدد الماضي من مجلة ((الآداب)) شعور قصاراه ان الشعر العربي الحديث يعاني علة تصدر هذه المرة من صميم حضوره . لماذا الشعر ؟ ماذا يريد ((العرب)) والشباب من هذا الميدان التعبيري الذي كان قديما وجه ضميرهم الابداعي في امتياز ؟ هل القصيدة الحديثة ((متجمع)) صور غريبة مدهشة أو قصيدة ممتعة وحسب ؟ ان واقع المجتمع العربي هو في

معاناته المعاصرة لا يمكن ان يقبل بالشعر الوهم ، بل هو خلاف ذلك يفترض شعرا يصدر عن موقف أصيل وعن خلفية واضحة منتظمة الاصول والاهداف ويتجه في آن الى رؤى كيانية فاعلة ومحولة . ليس الشعر اضافة على العالم ، انه طريق معرفة العالم .

* * *

واذا استثنينا قصائد نينو نيكولوف Nino Nikolov الاربع والتي ترجمتها أديل الخشن ، فأي حديث عنها حديث في التالي عن المترجمة وأسلوبها ايضا . فلقد حافظت أديل الخشن على قدرة القصائد الايحائية :

« قدما طفل حافيتان
تخطوان ببطء في العتمة
هزيلتين ومقوستين
كعلامتي استفهام حول مستقبل العالم ؟ »

فان القصائد الثلاث الاخرى : « للوجه الذي تعشقه حمامات البراري » لعبد الكريم الناعم ، و « نقوش على باب كيسان » للحجام علال ، و « ثلاثية الملك والحضور » لعمر حميدة ... تصدر عن نفس شعوري واحد وعن منظور فني مشترك . فيتحدد عالم هذه القصائد بمعطيات مناخية متميزة تبقى على الاطلاق متصلة بمناخات الحركة الشعرية العربية المعاصرة التي طلعت بعد الحرب العالمية الثانية .

ففي قصيدة « للوجه الذي تعشقه كل حمامات البراري » تعيش مع « البراري » و « الطفولة » و « البحر » و « الريح » و «الانجم» و « العشب » والارتماء في أحضان الذاكرة رجاء البحث عن « الزمن الآتي » عن « الحلم » و « اللهفة » التي تكون جميعا « ماء الحياة » الذي يظهر الواقع من شقائه ويصفي الرؤى من وساوسها ، وتعيش مع « الغربة » والرحيل في فصول الامس والحزن والنفي لالتقاط « الضوء عن الآخرين » ... كل هذه العناصر هي « جراحات حكاياه » مع « هذا العالم » .

وتتخذ قصيدة « نقوش على باب كيسان » محاورها من « الاطفال الجوعى » و « جنون الريح » و « البكارة والعذرية » و « الاحزان » التي هي « أبواب الآتي في خارطة الاسى العربي » .

وتدور « ثلاثية الظهيرة والملك والحضور » حول « التغرب » مع « مواكب الريح » التي تحتم العودة الى الصحراء رمز البكارة فيؤكد صاحبها انفصاله عن مدائن الانتظار والنعمة : « وانني قد اتخذت البيد داري » .

ان هذا الشعور بالغربة - اي بمأساة الواقع - يقوى عبر تجربة عبد الكريم الناعم ، كلما أدرك « انفصاله عن اول خطوة » وليس له اذن من شفاء الا العودة الى « النهر الطفولي » . وقد وفق في هذا التعبير كي لا يساء فهم دعوته للعودة الى الزمن الاول على انها دعوة الى تقليد الماضي او الانغلاق ضمن اساره وقواعده المتوارثة بل باعتبارها رمز التحرك الدائم والحيوية المستمرة المتجسدة في الماء - النهر الذي لا يمكن ان يرتد الى الوراء . وهو شعور يصدر عن سام من الحياة الراهنة ومن أشيائها وعالمها ، سام متحصل من استنفاد « هذا العالم » لنفسه ومن ادراك الانسان لخواء « هذا العالم » الذي « لا يعطي(٤) غير الحزن » .

« ظمئت كل جذوري فاسقني من راحتيك
أيها النهر الذي رافقني لحظة جئت الكون
قل لي :
لم لا تاخذني بين يديك » .

وامله في ذلك ايضا يؤكد قيم الريف وأخلاقياته : فداخل اطار من النهر والزورق والموج والحصى والانجم والعشب والاوجه الجذلى يلح على ان التحية رباط عضوي بين الناس على عكس أبناء المدينة الذين يتدافعون على الشوارع ويتقابلون بغير ان يتبادلوا اشكال الترحيب أو السلام في حس الشاعر . هنا يتداخل السماع والرؤية ليؤلفا حالة واحدة من الشعور تمحي في اطارها «مايزات الحواس : « قل لي مرحبا حين تراني » .

الا اننا نلحظ قابلية الشاعر على الاجترار وعلى اعادة تناول اللقطة الشعورية الواحدة ، انه يعجب بلمعته الشعرية فيراوح في ترداد أطرافها حتى ينهكها بعد ان تستنفد هي الاخرى عصبه ، فكأن المقطع الشعري عنده مراوحة ذهنية ضمن مساحة شعرية معينة ، وهذا هو في الواقع ما ناخذه على أشعار القصيدتين الاخريين ، اذ غالبا ما يسقط شعراؤنا في التقريرية والتعبير المباشر والاستعمالاتالنثرية فتقرأ قصيدة الحجام علال « نقوش على باب كيسان » وتدرك - وهو يتحدث عن النضال العربي مع الواقع السياسي وعن استثارة القيم العربية المميزة - تدرك ان هم الشاعر محصور في نقل الافكار والمعاني وكأنما الفن الشعري عنده ان تجمع أفكارا قد تبدو الواحدة منها مستقلة عن الاخرى . معه تحس ان الشعر كلمة ذهنية لمعان طريفة وليس توالدا عضويا للصور . غير انه في مواضع اخرى يكثر من الثورية فيجهد لجعل القصيدة بدقائقها وبمناخها الموحي عالما استعاريا يتولد من مزاوجات تعبيرية مكثفة ، ومعظم صوره مبنية على الجملة الاستعارية :

« ما في البرد بين غروب شمس هواي والظلمات
الا مدية في الظهر
يرسم حدها المشحوذ خارطة الاسى العربي » .

تبقى ان هذه القصائد الثلاث تدور حول صراع الانسان مع الواقع وأعبائه وهمومه . ففي « ثلاثية الظهيرة والملك والحضور » استحالت الظهيرة الى رمز الحاضر الذي يصارع حضور الانسان الحي . واذا أقام الفصل بين الطريق والميعاد فالهم عنده « العودة » لانها رمز « الصفوة » . وتتحقق هذه العودة بالانتفاضة من « زمان الخرافة » ، من « الزمان النشاز » ليتشح « بالعراء » أي بالبراءة والاصالة ، فيتخلص من آفة الانتظار ، من مدائن الحلم التي تتهاوى مهمومة عن المدائن التي تولد بالسحر او بالرقي ، فيتمرد على الزيف الاجتماعي والسياسي والحياتي القائم في « المدن العربية » التي « احتواها قلبه حبا » .

بالرغم من تعدد أشكال التعبير التي طرحتها تجارب الجديد فاننا نؤكد ان امثال هذه القصائد لم توفق الى البحث عن بعد جديد يتخطى ابعاد الحركة المعاصرة التي عرفنا مع الرواد كمثل السياب وحاوي وادونيس ...

واذا ادركنا ان جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية قد جهد في معاناته لتفسير العالم عن طريق النبوءة والرؤى النافذة (السياب) ، أو الى اعادة تركيب العالم عن طريق العودة الى زمن البكارة والدفع الحيوي (حاوي) ، أو الى الكشف عن عالم آخر (أدونيس) ، فان هذه الاشعار لا تستطيع في المقابل ان تطرح بعدا اخر ولم تجرؤ ان تجد لها لغتها الخاصة . ان الجيل الجديد امام تحد عنيد يصيبهذه المرة الكيان الشعري نفسه : هل يقدر شعراؤنا على ان يضيفوا الى تراث المعاصرة ؟ ان هذا يفترض اولا اعادة النظر في مجمل البنية الثقافية القائمة .

بيروت



عايدة مطرجي ادريس

ثلاث قصص فحسب في هذا العدد من « الاداب » . ومع ذلك، فكم من الجهد بذل « التحرير » في اختيارها ، وكم من الساعات قضينا لفرزها من عشرات القصص الواردة من جميع البلاد العربية. ان « البريد » المكدس يوميا ، يتطلب قراءة متأنية وضميرية . فمن بين هذه الوجوه العديدة ، المجهولة ، غالبا ما يبزغ وجه جديد واعد .. والبحث عن الجديد الواعد ، الصبر الواعي ، هو غايتنا الرئيسية.

وفي هذا العدد اكثر من وجه جديد تحمل ملامحه الوعود .ولكن، هل هي الصدفة التي جعلت الاختيار يقع على ثلاثة وجوه عراقية ؟ ام انه اختيار مقصود ؟

ان الجودة الفنية هي المعيار الاول . لا الاسم ، ولا الشهرة ، ولا البلد ، يدخل في عملية النشر . وحين نقرر نشر هذه القصص الثلاث ، فوجئنا بان كتابها كلهم عراقيون ... وقد يؤكد هذا ، مرة اخرى ، ان العراق ، على صعيد القصة ايضا يفرض نفسه .

وهذه ثلاثة نماذج ، لثلاثة كتاب شباب ، يسرني ان اتحدث عنهم ، بصفتي شريكة في مسؤولية الاختيار ، بعد ان انجزوا بنجاح عملية « العبور » الاولى .

ما هي السمات الرئيسية التي تميز هذه القصص ؟ ان الوعي القومي لوضع الانسان العربي في موجهته ماضيه وحاضره ومصيره يطرح هنا طرحا عميقا ومسؤولا ، وليست المعاناة ، والتردد، والقلق، والتأزم الذي يعيشه ابطال هذه القصص الثلاث الا مرآة تعكس هذا الوضع العام وتعبر عن التململات الراكدة في الاعماق ، محرضة لها لكي تتفجر ، وتثور ، وتنطلق نحو افاق جديدة .

والقصص تحمل جديدا في التقنية والرؤية الحياتية .عند جليل القيسي مثلا ، يمتزج الواقع القصصي بالرؤية العلمية المستقبلية « Science-fiction » . وعند حميد ناصر الجلاوي يتصاعد النفس الملحمي ويشمخ موضوعا واسلوبا ليمجد تفاؤل الانسان ، وعند محسن الخفاجي تنحصر القصة في اطار لوحة تتحدث فيه ، بمستوياتها المتعددة ، عن مطامح الجيل الثوري الجديد .

« اغنية للهواء اغنية للانسان »

حميد ناصر الجلاوي في هذه القصة يبدو كاتبا موهوبا من حيث انه يملك ، قبل كل شيء . هذا الجو المشحون المتوتر الذي يحاصر القارىء ويدفعه الى عالمه ، ويظل يجذبه حتى اخر نفس في القصة ، وهو يملك الى ذلك نفسا ملحميا مميزا نادرا ما نجده في القصص . نرى عبدالله الفاضل ، بطلا يحمل في قسماته ، على الصعيد الفردي ، جروحنا وامالنا ، وعلى الصعيد العام ، الوطني، ملامح هذه الامة الجريحة ، المنتهكة ، الطامحة مع ذلك الى الخلاص. ان الكاتب يطرح المشكلة ـ على الصعيد السياسي والاجتماعي ـ طرحا سليما معافى : اذا كان عبدالله الفاضل مريضا ، متروكا ، فليس معنى ذلك انه مقضي عليه . باستطاعته ان يداوي جروحه بالمعاناة ، باستعادة امجاد الماضي ، بالحلم بمستقبل افضل ثم بتحقيق هذا الحلم .

هذا هو الاطار العام للقصة ، وهو اطار ، كما نرى ، واسع قد تضيق في حدوده قصة قصيرة ، ومع ذلك ، هنا تبدو قدرة القاص في البناء الفني التي ساعدته على ان يستوعب مجمل هدفه . لقد جعل بطله ، منذ السطور الاولى ، ودون مقدمات يواجه مصيره .. « نحن في حل عنك » « انهم مفارقوك يا عبدالله » ، « نحن ذاهبون يا عبدالله » . عبدالله متروك ، تخلت عنه عشيرته . ولكن الكاتب يحدد شخصيته ، منذ المقطع الاول ايضا . صحيح انه وحيد ، ولكنه ممتلىء بحس العزة والكرامة . عبدالله يواجه مصيره ، ولكنه لا يستسلم له «ذاهبون» . قالها بحزن..« اعرف انكم ذاهبون !لا ضير ذاهبون » . ـ « الى الخابور » ـ الى الهدف الذي سيسعى اليه عبدالله في رحلته برافقه كلب ، يظهر عبدالله ، في تساؤله له « لماذا تئن » سمات انسانيته .

تلك هي مقدمة القصة ، والمدخل الجامع المدهش لهذا العالم المتأزم ، ولتلك الشخصية التي ستنمو وتتطور خلال يوم وليلة وحتى بزوغ اليوم التالي . هنا يلجأ الكاتب الى التلاعب بالزمن ، ان الزمن العادي اصغر من ان يستوعب هذا التطور . ولذلك كان الزمن البسيكولوجي هو الاساس . عبدالله الفاضل متروك في الصحراء ، بلا ماوى ، فخيمته قد عصفت بها الرياح ، وتركت الشمس اللاهبة « تسقط في عينيه » وتكوي راسه كالسياط وتتغلغل لهيب الرمل بين اصابع قدميه فيشويها . عبدالله الفاضل مريض ، تجتاحه الحمى وبثور الجدري تنفزه كالابر الحامية « ود لو يعد هذه الابر ويعد معها عذاباته الرهيبة » ثم ان الصقور تطارده وتمعن في البثور جراحا حتى ينزف الدم ، وهو يحس بالجوع القاسي يعصره ، الرياح المجنونة مزقت عباءته وتركته عاريا . ان عبدالله يحس هذا الزمن، دهرا . فهو لا يفتأ يردد « بعد كل تلك العذابات » . ولكن في هذا الحاضر الاليم ، يعيش الماضي . انه لا ينفصل عنه ، بل لعله هو الحاضر الحقيقي المعاش . انه لا يتفجر بتداعي الصور والافكار، بل هو يستمر ويتطاول بفعل الحنين والالتصاق .. ووهم التجدد واضح في هذه الطريقة من التحليل : رائحة القهوة المرة تملأ انفه ـ العطر الانثوي يحرك اشجانه ، الاولاد يراهم يحومون حوله ، البسمة الرائقة ، العيون الكحيلة ، الحنان الزوجي ، كل ذلك هنا ، يناديه، بلهفة وفرح . وهذه المسرات الصغيرة ، تتاصل وتعمق حين تتراءى له العشيرة « احبائي ، اهلي » ، ايام البطولة والفروسية والسهرات والحداء البدوي والعتابا ... لقد انطلق البطل من الذاتي الى العام ، وزاوج بين الزمنين مزاوجة موحية ، حتى اصبح من الصعب الفصل بينهما على ما في الماضي من رقة وحنين وفرح وعلى ما في الحاضر من الم ومأساة . وانطلاقا من هذا التلاحم ، نفذ البطل الى المستقبل ، الذي هو امتداد للماضي وللحاضر عبر الحلم . ان الخلاص ، لا يجد منطلقا له بغير الاحلام ، اذ انه لا يعقل ، لمثل عبدالله ان ينجو . كم استمرت فترة الحلم ؟ انها ايضا كزمن المعاناة، تقاس بزخم الاحداث وتصاعدها وتأزمها . وحلم عبدالله لم يكن حلما رائقا ، كان تتويجا لعمله ، ثمرة للثمن الذي دفعه من وحدته ، من عريه ، من اكتواء جروحه في اللهب ، من نزيف دمه ، من غوصه حتى اعماق الذات ليكتشف طريقه . الحقيقة الوحيدة التي يعيها عبدالله ، هو انه في عرض الصحراء . ولكنه يحلم « بامتداد ظلال النخيل ، واحة من واحات الاحساء ، الظلال الرحبة تمتد كانهار عذبة والسعف يلعب به النسيم . الظل يمتد ويعمق .. قمرية تغني ، يسمعها تغني ، فيفتح عينيه ، يجافي النوم ويشاركها الغناء بروحه». انه حلم اليقظة ، حلم الوعي هذا الذي يعيشه عبدالله ، وعي يتخطى الحاضر الرهيب ، فيما هو يعيشه ، يتخطاه بالحلم : الافعى تستحيل الى حيوان خرافي يحاول الانقضاض على اهله وعشيرته . على انه لا مجال للتردد امامه . ها هو يطير نحو المضارب ، يقاوم ، يظل يركض حتى يبلغ المرحلة النهائية ! وعي الذات وعيا عميقا ، ثم وعي الهدف. اذ ذاك تخفت الحمى ، وتتسرب الاوجاع . عندها يدخل عبدالله مرحلة العمل ، وتتصاعد انفاس القصة ، ويشمخ البنيان القصصي حتى يبلغ ذروة التالق والوهج والغضب والثورة . بالرغم من الحمى، من البثور ، بالرغم من الوحدة ، بالرغم من الذئاب الوحشية

الصحراوية يتصلب عبدالله لان العشيرة ، لم تبرح نفسه ، من اجلها تعذب ، ونظر وثار . انه اليوم انسان اخر ، ولكنه سيعود، سيركض مع الفجر « الى الاصوات التي تنبعث كالشوق واللقاء في اعماقه »، يطير ، بعد ان يتطهر من جديد ، فيتمرغ بالرمل عاريا ، ثم يرمي عباءته على كتفيه « كالشراع » ، وينطلق نحو الناس .

بتداخل الازمان حقق الكاتب ، بطريقة تحليلية ، مسيرة بطله. والى جانب هذا البناء الفني الراسخ ، تظهر ايجابية القصة – على الصعيد الايديولوجي – وايمانها العميق بالانسان الثائر . والاسلوب غني متنوع ، شاعري مفعم بالحنين ، والرقة والعذوبة ، حين تنبعث الذكريات الحبيبة ، واقعي ، مأساوي ، كئيب ، حين يصور الحاضر المليء بالبثور والقيح واللهب والسياط ، عنيف ، ساخط ، قاتل عند الثورة . مشرق ، مريح ، باسم عند اللقاء . هذا الاسلوب الفني بتموجاته وفق الحالات النفسية المتداخلة التي يمر بها البطل، تظهر اصالة الكاتب ، وتطويعه للكلمة وفق مقتضى الحال والضرورة الفنية .

كذلك تتميز هذه القصة بالتقديم الفني عن طريق الديالوج الداخلي . ان الكاتب يحدث نفسه ، وهذا ليس بالجديد في تاريخ القصة. اما ما يبدو جديدا ، فهو محاولة تشخيص الذات وتجسيدها وكانها شخص اخر . والحوار مع الاشياء ، او مع عناصر الطبيعة التي يبعث فيها الحياة ويلونها وفق تقلبات مزاجه . على ان المحاور الرئيسي هو الكلب ، صديق عبدالله في رحلة العذاب حتى ليغدو ضد نفسه . انه الاسقاط النفسي لحالات عبدالله ، الرمز المجسد لروحه ، لتقلباته ، لضعفه ، لحنينه . ويخيل الي ان الكاتب لم يحضر الكلب في القصة ، الا ليحلل شخصية بطله ، تلك الجوانب الشفافة ، القائمة ، الهاربة التي لا يمكن لعبدالله ان يلتقطها . ان وجه الكلب هو امتداد لوجه صاحبه وتعبير مادي له . فهو رمز يتحدى دور الاسقاط . ولعل هذا التفسير يتلاءم مع روح القصة التي تعتبر خلاص عبدالله في مواجهته قدره وحيدا في حالة التطهر: « وحيدا يا عبدالله الفاضل في هذه اللحظة ، كائن سقطت من السماء او انشقت عنك الصحراء ، لا ام ، لا اب ، لا ولد ، لا وشائج قربى ، امك الصحراء والريح والليل البهيم . »

ان حميد ناصر الجلاوي « بقماشته » الفنية يشق طريقه بخطوات طموح ، مشرعة كطيران بطله .

* * *

احلام الفارس الحزين دون كيخوته .. لجليل القيسي .

هذه القصة تندرج تحت القصص المسماة بالقصص العلمية المستقبلية ، او الادب الاسطوري ذي الطابع العلمي . كما تندرج في القصص ذي الطابع الخرافي ، وفيه يتحدث الابطال عن مواقفهم في الحياة وعلاقاتهم الاجتماعية ، وانتقاداتهم . وقد كتب هذا النوع من الادب في عصور كانت حرية الانتقاد تعرض كاتبها للهلاك . اما القصص المستقبلية فقد كتبت للتشويق ، واستباق الزمن ، انطلاقا مع خيال لا رابط له ، واستجابة للشوق الانساني في كشف المجهول وهتك اسرار الكون وصولا الى المعرفة .ولقد كان هذا الادب المجنح ،او حلم الانسان ، المنطلق الرئيسي للرغبة العلمية في ارتياد الافاق وزيارة الكواكب : حتى الاكتشافات العلمية المدهشة في هذا العصر كالمراكب الفضائية والصواريخ والطائرات ، قد وجدت خطوطها الاولى في البسط السحرية والاسهم النارية الخارقة والشهب وانتقال الجن والعفاريت قبل ان تطرف العين مما يملأ الادب الشعبي الاسطوري .

واننا نتساءل ، ما الذي دفع جليل القيسي للجوء الى هذا النوع من التعبير ؟

ربما رغبة في التشويق . فما زال هذا الاسلوب يستهوي، لانه يتجاوب مع رغبة الانسان الابدية في استباق الزمن واستشراف المستقبل . ثم انه يقضي على « الجفاف العلمي » في انتقاده لمظاهر المجتمع . وبالفعل ، فان هذا الحوار الذي دار بين البطل وبين تلك المخلوقات الخرافية قد ساهم في تجسيد افكاره ونظرته الى الوجود الانساني ، ساهم من غير ان نشعر بالضيق والملل والاستعلاء الذي يصاحب غالبا ادب التوجيه .

فالبطل – مثلنا – يطرح اسئلته ، وينتظر ، مبهورا ، الاجوبة. مثلنا ، يعيش عالم « المستحيل » ويتشبث باهداب المنطق والمعقولية. اننا نشارك بلذة في الرحلة الخطيرة مع الزمن ، بدءا من الافكار الدونكيشوتية المثالية الحالمة حتى عالم الارقام ، والازرار والاسلاك والحبوب .

هل ينبغي ان نناقش الكاتب في افكاره ؟ هل هو مع هذا التقدم الهائل الذي يصوره هاتكا حدس الانسان قبل ان يحدس ؟ هل هو الى جانب الالة التي تسجل ما يراود خاطره والى الفطرة التي تقضي على الجوع والقرص الذي يزيل الموت . هل هو مع كدح الانسان في سبيل العلم ، ام مع تعبئة المعلومات دفعة واحدة ، عن طريق الالات؟

يبدو الكاتب ، للوهلة الاولى ، غير منحاز . يكفيه ان يسأل ، وان يتلقى الجواب . على ان هذه البساطة تفضح نظرة له في الحياة ان « انساننا » الارضي ، يضيع وقته في الاكل والنوم والراحة والثرثرة والقتل والتلاعب بالالفاظ والتشبث بكلمة مستحيل . ولكنه لا يعترض . ولا يناقش . ولا يدافع عن افكاره ، ولا يبدو ميالا الى العالم الجديد ، ولا كارها له . كل ما هنالك ان هذا العالم الاسطوري الذي احتك به قد هزه وجعله يتذكر ، – في النهاية – انه قد نسي رواية « دونكي خوته » داخل الاسطوانة الغريبة .

ايمكننا ، في هذه اللقطة ان نلمح ايحاءه بزوال او ضرورة زوال العالم الدونكيشوتي ؟

ان الكاتب ، باسلوب جذاب وطريف ، يعبر عن قلق الانسان الوجودي ، ذلك القلق الذي يفاجيء البطل ويقضي على حياته الهادئة ، الناعمة ، النظامية . ان نهاية القصة ، الموجزة ،الموحية – تتضمن مأساة الحياة وذلك بالتناقض مع المقدمة الرومنطيقية الحالمة . أن عالم الواقع ، المنطقي ، يصطدم داخل الانسان المعاصر، مع عالم اللامستحيل ، اللامنطقي ، مع الوهمي والخرافي والتخيلي، الذي سيصبح ، مع التقدم العلمي الهائل ، واقعا منطقيا مضجرا .

ان هذه القصة المستقبلية ذات الطابع « المبسط » تحمل اعماقا مرهفة .

« المظاهرة » لمحسن الخفاجي

كاتب هذه القصة يتبع طريقة اخرى في الخلق ، لا هي قائمة على التحليل ولا على تتابع الاحداث . انها عبارة عن لوحة ،عن صورة « المظاهرة » ويقف ، هو ، في الخارج مراقبا ومشاهدا . انه لا يتدخل ، الا حين تقضي الضرورة الفنية للمشاهدة ان يمعن النظر ليرسم مزيدا من التفاصيل الدقيقة المتانية ، الخاصة بفن تخطيط المظاهرات وفن التقدم والتاخر وارتفاع الاصوات او انخفاضها ، وتوقيت الهياج او ركوده .

وتتضمن اللوحة عدة مستويات . النظرة الاجمالية لها تعطي انطباعا عن حشد من البشر لا شيل له. من الاعلى ، وبطريقة مسطحة، لا يرى منها سوى الايدي والرؤوس التي تختلط لتصبح غطاء غير مميز . عند الاقتراب ، تبدو الصفوف الامامية : اللافتات ، من الداخل ، تتحدد التفاصيل وترسم بطريقة هندسية مدهشة : توافق الخطوات ، تشابك الاذرع ، احتقان الوجوه . وبمزيد من الدقة ، يتميز شاب في الحشد هو روح المظاهرة وقائدها . الكاتب يكتفي بالتصوير ؟ ولكن ليس التصوير حبا في التصوير هو مبتغاه . ان القصة تفضح التزاما بقضية وطن . لئن اختفى الفنان – ظاهريا – فقد تغلغلت آراؤه ومواقفه ونظرته الى المجتمع من خلال التصوير

– التتمة على الصفحة – ٩٤ –

محمد ابراهيم ابو سنه

مشاهدات دامية في مدينة لا مبالية

بارده ميتة كنت تنامين
يرحل وجهك في سحب الانهار
تكتبه فوق الريح الاحجار
وتغيبين ...
وجهك يشحب
جسدك لا ينبئني عنك
نظرة عينيك الفافيتين
لا تقدر أن تعطيني تفسيرا للطاعون
كنت تنامين
ينحسر الثوب عن الثديين
ينحسر الثوب عن الفخذين
تنهمر دماء سوداء
تتجول فوق العشب المسموم
لا يسمع نبض في القلب المحموم
لا يسمع نبض في القلب المحموم
يسألني السائح ...
عن اقدم قبر لعظيم
بين مقابرك الشاهقة البنيان
ـ والتفتت نحوى غابات التاريخ
« كانت لافتة تومض في قلب الليل
تصرخ فوق ضريح
« هذا قبر الحرية »
ـ يسألني السائح
عن معنى حكمتنا التأريخية ؟
« ورأيت عجوزا يسقط بين العجلات
دون مبالاة ...
يمضي المارة
امرأة تلد على قضبان قطار
لص يتبول فوق جدار المسجد
كان القاتل يصعد
والمقتول تصافحه الاقدام »
يسألني السائح
ما نـوع الاسلحة السريـة
في دهليز التاريخ المترنح ؟
ـ ويفرقع صوت فوق الميدان
« الاضواء الليلية
تكتب في العيد الالف
لصمود الدمعة في اعين آلاف الجوعى
كلمات صفراء
كلمات حمراء
اتبين منها وسط ضجيج الليل
بضع حروف .. تهمس في خجل واستحياء
الصبر سلاح الضعفاء
الصبر سلاح الضعفاء
يسألني السائح
ما اسمي ؟
كان الخنجر فوقي
كان المنقار الاحمر يدخل جمجمتي

اسمي ؟ ـ شجرة دم
اسمي ؟ ـ قنديل يتهشم
اسمي ؟ ـ ماذا تعني الاسماء
اني اقتل
. . . .
لا تسألني .. من يقتلني
الحقد ؟
ـ منتشر في هذا الموسم
اليأس ؟
ـ سيد هذي العاصمة الخرساء
الحب ؟
ـ لم يدخل قلب مدينتنا منذ احتلته البغضاء
الليل ؟
ـ مذ رحل العشاق ومات الشعراء
لم تسكنه غير خفافيش الدم الحمراء
المخوف ؟
اغلب ظني ان الخوف هو القاتل
اغلب ظني ان الامن هو المقتول

يسألني السائح
هل ما زالت تتبرج للغرباء ؟
هل ما زالت تأكل خبز الحسرة
من مائدة التاريخ المهجور
هل ما زالت تتنفس وسط مقابرها
هل ما زالت تحلم ...
برجوع الفردوس ؟
باردة ميتة كنت تنامين
نظرة عينيك الفافيتين
لا تقدر ان تعطيني تفسيرا للطاعون
كنت تنامين
ينحسر الثوب عن الثديين
ينحسر الثوب عن الفخذين
تنهمر دماء سوداء
تتجول فوق العشب المسموم
لا يسمع نبض في القلب المحموم
يسمع صوت في قلبـي
« من يبعثها ؟
من يعشقها حتى الموت ؟
كان المنقار الاحمر يدخل جمجمتي
كنت وحيدا .. ..
كنت تنامين .. ..
كان السائح يمضي ...
واللافتة المرتفعة فوق الميدان تصيح
دون مبالاة
تحيا او تقتل
دون مبالاة
تحيا او تقتل
يا لله يا لله
كيف يكون الزمن المقبل

القاهرة

د . انور عبد الملك

هل مات الاستشراق ؟

نكتب صحيفة « الموند » الباريسية : « لقد مات الاستشراق » . وتعلن جماعة من المؤتمرين في المؤتمر التاسع والعشرين الدولي للمستشرقين : « الازمة سياسية : انها قبل كل شيء نتيجة تغير علاقات القوى على المستوى الدولي وتطور نضال الشعوب في آسيا في سبيل تحررها » . ثم ، هناك بالطبع جوقة الاحتجاجات ضد عدم تماسك المنظمة والتعملق وقضايا أخرى .

غير ان الامر الجوهري ليس هنا . انه على وجه الدقة في القرار النهائي الذي اذ يضع نهاية لحقبة ، يقرر أن يطلق على المؤتمر القادم لـ « الاستشراق » اسم « مؤتمر العلوم الانسانية في آسيا وافريقيا الشمالية » . فهل يعني ذلك ان مستشرقي الغرب قد أعلنوا موت « الاستشراق » ؟ وفي حال الايجاب ، لاي سبب فعلوا ذلك ؟..

بانتظار مكسيكو عام ١٩٧٨ .

ماذا يعني ذلك ؟

منذ مائة وخمسين عاما كان الغرب يدرك الهدف الاساسي من هجمته المتسلطة التي باشرها منذ القرن الخامس عشر : الاكتشافات البحرية الكبرى ، صعود البورجوازية الاوربية ، الفلسفة العقلانية ، الثورة الصناعية ـ بانتظار انبثاق الاشتراكية . كان العصر عصر المشاريع الاستعمارية الكبرى التي كانت تذهب للتمهيد للغزو الامبريالي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. كان هناك عالم يفتح ابوابه بعد أن كان يعتبر مغلقا . عالم محبوس في حصونه ، مرغم على ان يكابد في لحمه ما يمليه عليه الغرب المتسلط ، ملزم في أغلب الاحوال على أن يحد من هويته الوطنية ـ الثقافية .

كان هذا الهجوم الشامل بحاجة للمعرفة. وكان ثمة فئتان سوف تهتمان بتقديمها : هناك أولا مؤرخون وفلاسفه وعلماء آثار واختصاصيون بالاديان ، تجمعهم مؤسستهم العلمية . ونحن نعرف الاسماء الكبرى التي تميز اسهام الفئة الاولى في اثراء المعرفة : من جان ـ فرانسوا شامبوليون حتى جوزيف نيدهام ، تمكن مطلب رفيع جدا من أن يبني بصورة بالغة الاختلاف ، لا بد ان نشير الى ذلك ، رقعا كاملة من المعرفة التي بحوزتنا الآن عن التاريخ الذي عاشته أقدم الامم والحضارات الاصولية لعالمنا .

ومع ذلك ، فان أيا من هذه الاسماء الكبرى التي استشهد بها هنا لم تطرح نفسها ولم تكن تعتبر نفسها بوصفها « مستشرقة » .كان شامبوليون مؤرخا ولغويا وعالم آثار وخليفة الموسوعيين والارسالية العلمية لنابليون بونابرت الذي صحبه قديما لدراسة مصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) : ان علم الاثريات المصرية سوف يتكون تماما في ظل الثورة الفرنسية والنهضة الوطنية لمصر مع محمد علي والطهطاوي (١) . أما جوزيف نيدهام Joseph Needham عالم الطبيعيات والاجنة ومؤرخ العلوم والموسوعي الكبير في عصرنا ، فانه يقيم هذا النصب الهائل **«العلم والحضارة في الصين»** (٢) انطلاقا من الثورة الصينية ، تحيطه صداقة السلطات العلمية والسياسية وتعاونها الكامل في صين المسيرة الطويلة و « الثورة الثقافية » .

ومنذئذ ، اين هو هذا « الباقي » كما يقال ، اين هو

---

(١) راجع رسالتنا الرئيسية لدكتوراه الدولة في الآداب «الايديولوجية والنهضةالوطنية : مصر الحديثة» ـ باريس١٩٦٩ التي ستصدر قريبا باللغة العربية بعنوان « نهضة مصر » .

(٢) مشروع ضخم وضع في عام ١٩٤٢ وظهر اول جزء منه في عام ١٩٥٤ ، ونشر منه حتى الآن سبع اجزاء من أصل حوالي اثني عشر جزءا .

حقل المعارف هذا الذي سيطلق عليه اسم «الاستشراق» ؟ ومن هم النـــاس الذين يعرّفون انفسهم بوصفهـــم « مستشرقين » ؟ ـ ما دامت الاشكال الرفيعة من المعرفة والفكر لا تتعرف نفسها في هذه التسميات التي نقـول عنها « علمية » بمعنى انها صحيحة عالميا ؟

هنا تتدخل الفئـــة الثانية ، هذا « الخليط مـن جامعيين ورجال اعمال وعسكريين وموظفي ارسـاليـات ومعلنين ومغامرين (...) ، اولئك الذين كان هـدفهم الوحيـد تعرف الارض المعده للاحتـلال . ولغزو وعي الشعوب لضمان خدمه القوى الاوربية بشكل افضل » . ازاء « الباقي » ، ازاء « الآخر » ، ازاء هذا العالم ، هذه العوالم ـ ثلاثه ارباع الانسانيه ـ التي ليست هي بالعالم القديم « أوربا » ولا بالعالم الجديد « أميركا » ، كان لا بد من اعادة التجميع : في البـــداية (القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) ، كان الشرق ، الشرق في نظر المستشرقين بالطبع ، لا الشرق الذي كان يعيش النهضة والثوره ، شرق محمد علي وعبد الكريم ، شرق ميجـي والتايبنغ (٣) و « تركيا الفتاة » والعصيان الهنـــدي الكبير . ثم في المرحلة الثانية الاكثر معاصرة فقد غـدا « العالم الثالث » .

يكتب جاك بيرك بحق : « اما الغرب فانه يعمل على اقناعهم ببطلان التنوع . بدونه هناك العدم ! (...) . انه يحشو هذا الدرج بكل ما صنع وما بحث بمعزل عن أساليبنا . ولكن ما الذي سيفعله بالباقي ، أريد ان اقول بالكل تقريبا ؟ وهل يملك الغرب في أن يسمي هذه الاولية في النتاج ، التي يتكلم من فوقها ، حضارة وان يطابقهـا على العالم ؟ (...) . كذلك فانه يضغط هذه المجتمعات ضمن كتلة فيما أسميه العالم الثالث بالتضاد مع المتغيرين ، حسب تعليلي ، الاشتراكي والبورجوازي » (٤) . وعلـى السفح البريطاني هذه النزوة :

« Européan music is of course music . all other music is antropology » .

هذا الباقي كله ، هذه الموسيقى الاخرى ، هــذه العوالم الناهضة والثائرة هي الشرق ، وعلى وجه الدقة شرق الشعوب والامم والثقافات والحضارات الممتزجـة بقوه برياح التاريخ الكبرى في هذه الحقبة التاريخيـــة التي نعيش فيهـــا ، حقبة الثورات الوطنيـــة الكبرى والاشتراكية .

اننا ندرك ان هذا « الآخر » الذي عرف ان يحقق الانبعاث ، وان يناضل لاسترداد هويته اكثر مما يناضل لمجرد احتلال مــكان بسيط تحت شمس الدبلوماسيه الدولية بادئا اليوم ـ بواسطة الثورة الثقافية للحركـــة الوطنيـــة ، والبترول العربي ، والصناعة اليابانية ـ بالفيام بدوره في المبادرة التاريخيــة ، اننا ندرك اذن ان بوسع هذا « الآخر » أن يتمتع بوسائل وعي ومعرفــة نفسه ، تلك التي لا وجود له بدونها تحت الشمس اللاهبة لعالم في أوج تحركه .

كان ذلك اكثر مما يستطيعــه « الاستشراق » . وكان لا بد من القبول بالتحدث عن « علوم انسانية » كما لو ان مجتمعات الشرق المعاصر ـ آسيا حول اطار التحرك الصيني ، افريقيا الشمالية وآسيا الغربية والجنوبية من حول اطار التحرك الاسلامي والعربي ـ كان بوسعها ان تكون مقبولة كموضوعات للدراسة على اقل تقدير . لاننا في الحقيقة نستمر في التصرف كما لو ان الجهد الضخم الذي حقق في الثقافه والبحث العلمي والاعداد النظـري في بلاد الشرق معد للاحصاء فقط . فأي دراسة لنقـل حول نظرية الدولة والظاهرة القومية قبلت باسهام المؤرخ التركي نيازي بيركيس والجغرافي السيـــاسي المصري جمـــال حمدان وعالم الاجتماع الهندي رام كريشنـا موكيري ؟ اننا نستمر في العناد : فالاشخاص المستشهد باسمائهم (في الهوامش) سيكونون اولئك الذين سيقبلون دراسة نهضة أممهم وثوراتهم ومجتمعاتهم وفق المصطلحات والاطر النظرية للامبريالية الاميركية المهيمنة («تثاقف» ، « البناء الوطني » ، « التحديث » ، «تطوير» ، «التعدد» ، « التنضيد الاجتماعي » ، الخ) . وستظل النظريــة «النظرية الكبرى» ، تالكوت بارسونس Talcott Parsons سليمة ، نقية من اي تلوث يحـــدثه بها الآخر . فلكل نصيبه ، وبايجاز ، ذلك هو التدبير الالزامي الاعتباطي .

لم يكن هناك سوى صدى ضئيل لكل ذلـك ، كمـا قيل ، في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمستشرقين الذي عقد في باريس بين ١٦ و ٢٢ تموز (يوليو) ١٩٧٣ . النقد العلني الوحيد الذي صدر عن المؤتمر كان موجهـا ضد الاستاذ غافوروف Gafourov والاتحاد السوفياتي بسبب مشكلة تأشيرة خروج ليهود الاتحاد السوفياتـي بايعاز الاستاذ الصهيوني الرائد برنار لويس . وكـــان المقصود منه في الواقع رفض الدعوة السوفياتية لعقـد المؤتمر القادم فيه، (وهنا ايضا كان يجب اقتراح طشقند أو سمرقند أو باكو ، لا موسكو ، التي كانت مقر انعقـاد مؤتمر سابق) . بدلا من ذلك ، وبدلا من عقد المؤتمـر

---

(٣) Taiping جماعة سياسية دينية قامت بثورة (١٨٥٠ ـ ١٨٦٤) ضد تخلف النظام الاقطاعي الملكي القائم انذاك فـي الصين بالاستناد الى جماهير الفلاحين ، ومنها نشا حـزب الكومينتانغ برئاسة الزعيم صن يان تسن .

(٤) « الشرق الثاني » ـ جاك بيرك ـ باريس ١٩٧٠ . راجـع ايضا كتاب جمال حمدان العظيم « شخصية مصر : دراسة في عبقرية المكان » ـ القاهرة ١٩٦٧ ، ثم « استراتيجية الاستعمـــار والتحرير » ـ القاهرة ١٩٦٨ ، وكذلك راجع ايضـــا : Raghavan Iyer (éd) : The Glass Curtain between Asia and Europe , London , 1965 .

(٥) « الموسيقى الاوروبية هي الموسيقى بالطبع ، اما انواع الموسيقى الاخرى فهي انثربولوجيا » .

القادم في واحد من بلاد الشرق (حيث لم يسبق ان عقد فيها سوى مؤتمرين – دلهي والجزائر – من تسعة وعشرين مؤتمرا) او الغرب حيث تتوفر دراسات ضخمة في هذه المجالات ، فقد فضلت اميركا اللاتينية ، وبالتالي مكسيكو ، القريبة جدا من الولايات المتحدة الاميركية ومن كوبا .

« علوم انسانية » اذن لا « استشراق » . هي ذي صفحة قد طويت . ولكن ، أية « علوم انسانية » ؟.. اقتصاد ، تاريخ ، لغويات ، انثربولوجيا ، فلسفة ، علم اجتماع ، علم البيئة ، علم السياسة ؟ بالتأكيد . ولكن بأي شيء تختلف هذه الدراسات اذن في الميدان العام لعلم الاجتماع والاقتصاد والفلسفة المشترك بين كل المجتمعات ؟

الآن اللغات والثقافات هي « اخرى » ؟ « اخرى » بالنسبة لماذا ؟ بالنسبة للغرب ؟ ولكن أوليس الغرب نفسه « آخر » بالنسبة للشرق ؟ وما تسميه أوربا وأميركا الشمالية « الشرق الاوسط » ، أوليس هو في آسيا « آسيا الجنوبية الغربية » ؟ وبأي شيء حقا تعتبر دراسة التصنيع في مصر والعراق والجزائر ، أو دراسة الشعبية في اندونيسيا او المغرب ، أو دراسة الدين الوطني في العالم الاسلامي وفي اليابان ، أو دراسة نمط الانتاج الإشتراكي في الصين وفي فيتنام وفي كوريا ، أو دراسة الاندفاعة السكانية في علاقاتها مع البيئة والماء والتغذية في بنغلادش وفي تركيا وفي تايلاند – بأي شيء تعتبر دراسة هذه المشكلات « أخرى » بالنسبة مثلا للاقليمية في ايطاليا ، والتوحيد الوطني في الولايات المتحدة ، والتصنيع والاستقلال في فرنسا ونمط الانتاج الاشتراكي في دول أوربا الاشتراكية وغيرها ؟ ألأنه يجب التزود بلغات ومعارف ثقافية « اخرى » كالصينية والعربية واليابانية والهندية والشواهيلية ؟.. ولكن أليس على علماء الشرق الذين يدرسون المجتمعات الغربية أو المذاهب العلمية القائمة أن يتقنوا الانكليزية والفرنسية والروسية والالمانية والايطالية والاسبانية هم ايضا ؟ أليس عليهم ان يتكلفوا تكاليف باهظة للاطلاع على مختلف المعارف في الغرب وفي أوربا وفي اميركا الشمالية ؟

هل سيكون علينا من أجل ذلك ان نؤسس « مؤتمرا للعلوم الانسانية في أوربا وفي اميركا الشمالية » وان نطلق على المختصين الذين سيهتمون بهذه العلوم اسما جديدا هو « المستغربون » ؟

أولم يحن أوان العمل باتجاه ما أطلق عليه الجدلية الاصيلة للحضارات ؟ « ربما كانت المشكلة كلها تقتصر على الممارسة الفعالة للتواضع وللحب الاخوي .اننا بحاجة الى قناعة حقيقية تقوم على أساس ان كل عنصرية وكل العقائد المتعجرفة القائمة على التعالي الثقافي تشكل انكارا للعالم بوصفه مجتمعا جامعا » .

ذلك ما يدعونا اليه أستاذنا الجليل جوزيف نيدهام (*) .

(*) فصل من كتاب « الفكر العربي في معركة النهضة » الذي يصدر هذا الشهر عن « دار الآداب » ، ترجمة بدر الدين عردوكي .

علي جعفر العلاق

مرثية الاخطاء المتكررة

لثيابي ، العشيـة ، رائحة الجرح
في الماء ،
رائحة الورق الرخـو اذ يتساقط
في الريح ،
أو يتساقط حين اصطدام العصافير ،
حين ابتعاد العصافير
عن بعضها ،
.. ان هذي الكآبة
منحدر الفقراء المهانين ،
(هل كنت تحمل
غير التراب ودشداشة
تشبه الرمل ..؟)
هذي العشية ، تفسلني الذكريات
الخفية ،
والندم العذب ،
ينسحب الاصدقاء المحبون ،
والاصدقاء المعادون ،
لا شيء يرسب في القلب
غير التردد ،
والهفوات الصغيرة ،
(يا سيد الوحشة الباهظه ،
آه .. لو تعبر النهر المر
تختار ماضيك ،
تختار
أيامك الغامضه ..)

* * *

مثلما تهجر الحنطة الساحلية ،
ها انني مهمل ،
ذاهل : مثلما يعلق القش بالريح ،
أو مثلما
تعلق الريح بالقش ،
منكسر ..
(أتسمين هذا الذهول
المعلق في الوجه ثرثرة ،
أو غموضا ؟)
سأحتاج شيئا من الخبث ، والماء ،
ان الطريق الى حوضك ، الآن ،
مكتئب ،
حيث لا عشبة تتنزه ،
لا حجر يتغنى ،
وما بين وجهي
وكفيك خفق الطيور المباغتة ،
الذكريات الخفية ..
.. من ورق الفقر ،
والمطر ، الطائش ، الفظ ، أصعد

هل كان لي
غير هذا الجبين المبلل
بالخوف ؟
(ذي وحشة الفقراء المهانين ،
تحتل ذاكرتي ،
تختفي :
في ثنايا الليالي البطيئه)
لم يزل في يدي
غبار الحقول المحاطة بالريح ،
والذكريات الرديئه ..

* * *

أذهب الآن ،
ما بين ثوبي والقلب : جبهتها
الوطن ، الذكريات ، التغرب
عن شجر الاهـل ، والنوم
من دونما
امرأة تتشكى ..
(انتهى زمن
تحضنين نعاسي فيه ،
وتنمين كالعشب خارج بيتي ،
تشيلين من تعبي حفنة ..)
.. سوف أركض ،
في مطر آخر
(في الطريق اليك
تخطيت أشجار أهلي ،
وأمي المسنة ..)
.. أركض
للريح بين ثيابي همهمة ،
وعصافير أنهكها البوح
(لا تلمسي عطشي
ان وجهك ، كالشجر الكث ،
ينهشني ..)
سوف أركض ،
في وحشة ، لينه ،
(أتوزع ما بين ذاكرتي
ودمائي التـي تشحب الآن ،
يا نبتة العطش المزمنه :
آن بي
من غبارك رائحة ،
مرة ،
محزنه ..)

* * *

انهـا أول الهفـوات ، المؤجلة ،
الهفوات التي
كنت ادفع غربانها ، وتعاساتها ،
وأغني :
أيا زمن الهفوات الصغيره
لا ترح ، ان للخطأ المر ،
أو للنوايا المريره
وطأة ، لست أقوى على حملها ،
ابتدأ الفيض ، والليل نافذة
تغسل الخطأ العذب بالندم العذب ،
والاصدقاء المحبين ، بالاصدقاء
المعادين ،
والماء بالماء ،
.. تركض ، هذي العشيـة ، في
تعبي امرأة ،
تتعثر ،
ـ كيف اقتربت
من الشجر الموحش ،
الشجر الواقف ، اليـوم ،
ما بين أيامه
كالذبيحه ؟
حائرا بين :
نباته ،
وقصائده ،
وقصائده ،
وخطاه الجريحه .

* * *

أيها الخطأ المتكرر ،
والوحشة المتكررة ،
الندم المتكرر :
ما زلت تركض
بين النوايا الميتة والبرد ،
ما زلت تحتاطني ،
تتوطن ما بين ثوبي والقلب :
ـ يا زمن الهفوات الصغيره ،
في ثيابي رائحة الفقراء ،
وفي قدمي ،
كآبة أشجارهم ،
.. كل شيء سيشحب ،
يا زمن الهفوات الصغيره ،
حين يختلط الاصدقاء المحبون
بالاصدقاء المعادين ،
والماء بالماء ،
والندم المر بالهفوات المريره

بغداد

كاظم الاحمدي

سقوط حصان حسن المشاي

١ ـ المرأة

يكبر قرص الشمس في الافق ، ويسقط مدمى تحت حواف البيوت الطينية الآيلة للسقوط بينما تظل كتل الدخان تتصاعد عابرة رؤوس النخل ، فتختلط بصبغة حمراء مفروشة على وجه السماء ، الوجه المقابل لبيت حسن المشاي . يهبط لون داكن ، هو خليط من الدخان ولون الشفق يفترش الارض الترابية المقابلة لبيت حسن المشاي ، ومن حين لاخر كانت ثمة اقدام حافية تعبر مسرعة نحو البيوت ، كانت الريح تحمل اصوات الرجال العائدين ، يتخللها سعال حاد ياتي الى اذني « زينة » زوجة حسن المشاي ، وهي جالسة تنتظر عند عتبة الباب . في كل مرة كانت تحدق في الاجساد التي تلفها الظلمة « يا زينة ، الذي باطراف الدنيا حملته الظلمة الى البيت وحسن المشاي لا ياتي ، لا ياتيك حسن المشاي » ، تعبر الاصوات اذنيها لتغيب في مساحات خالية بين النخيل والبيوت الطينية .

كانت كتل الدخان المتصاعدة فوق رؤوس النخيل والبيوت تأسر عينيها وتشدهما في امتدادات لا نهائية ، حيث تتشكل الكتل اقواسا، وتتناثر ثانية على حواف الصرائف ، ويسقط بعضها في الارض الترابية ، تتابع « زينة » حركة الدخان الخفيفة ، وعندما تتكور فوق الارض تتراءى لها ثمة اجسام متحركة ، ولو لم تكن زينة زوجة حسن المشاي لخدعتها تلك الاجسام ولظنت انها اشباح تخرج من مقبرة اليهود القريبة تماما من الارض الترابية ، شعرت زينة كما لو انها مخدرة تماما . ورغم انها طردت عن ذهنها كل تصورات النساء بما فيهن ام العبس جارتها ، فلم تستطع ان تسحب عينيها من نقاط الدخان التي بدأت تقترب منها ، ثم تتلاشى في مكان ما ، وتعود ثانية كما لو انها تريد ان تقترب اكثر فاكثر ثم تتلاشى ايضا ، بقيت زينة عند عتبة الدار . وكانت ترسم على مدى عينيها جسد المشاي ، سوف يظهر من بين تلك الاجساد المتعبة ، ليملأ عينيها . لكن المشاي لم يأت، حدقت في الاجساد التي مرت في الظلمة وسمعت نباح كلاب متقطع ، ياتي من بعيد يغزو اذنيها ، يملأهما بدبيب كائن ما ، كانت تعرف ان مقبرة اليهود لا يحيطها سياج ، انها مهجورة منذ زمن ، ولكنها الان تعرف قبور الموتى واحدا واحدا .. فقد عاشت قريبة منها . وكانت تمر عليها نهارا ، الرجال وحدهم يستطيعون ان يمروا من بين تلك القبور ليلا . لا بد ان يمر حسن المشاي على قبر « عدس » . روى لها المشاي قصة هذا اليهودي الذي كان غنيا وخائنا ايضا ، والذي ما زال قبره للان مغطى بالمرمر الاسود « يا زينة الذي بأطراف الدنيا حملته الظلمة الى البيت وحسن المشاي لا ياتي . لا ياتيك حسن المشاي » .

الظلام كان قد سقط في كل المسافات التي تحيط بيت حسن المشاي وما زالت زينة تحدق في صورة المتوقع الاتي . سقطت نجمة من بعيد ، فهزت زينة يدها ثم قالت ! ان الشيطان قد مات وان الملائكة سوف تحرسك يا حسن المشاي ، جاء صوت من عمق الظلمة البعيدة، خمنت انه صوت جارها ابو العبس وكان ينادي على ابنه ليساعده في حمل الاكياس ، سمعت زينة الباب يتحرك ببطء وهو يصر صريرا مخيفا ثم انفرج قليلا ، فتسربت منه دفقة ضوء الفانوس ، تحلقت امام الباب دائرة من الضوء ، كان عباس يتحرك داخلها ، اخذت دائرة الضوء تبتعد ، ثم عادت مرة اخرى لكنها كانت مفتتة ، عرفت زينة ان ابا العبس اصبح داخل الدائرة ايضا فقامت زينة ، تركت الباب مفتوحا إتجهت نحو الدائرة الضوئية . قال ابو العبس :

« هذه انت يا زينة ، ما بك » ؟

« لم يأت المشاي » قالت ذلك وبدأ صوتها حزينا .

« المشاي تركته في السوق » ثم نادى ابو العبس على زوجته ، وكأنه كان يعلم ان ام العبس تراقبه واقفة عند الباب ، اقتربت ام العبس بخطوات بطيئة وهي تجس الارض بحذر وخوف ، قالت زينة لام العبس :

« يا خيتي ، لقد تأخر حسن .. »

وردت ام العبس بصوت ثقيل مبلل بالتعب اليومي (لقد كانت هي الاخرى تنتظر) :

« لا تخافي يا زينة ، سيأتي المشاي ، انه لا يتاخر ابدا » .

دفع عباس الفانوس قليلا كما لو كان يتعمد ذلك ، فالتفت عيناه فجاة ببريق يتساقط من عيني زينة ، تأكد ان ذلك كان دمعا تيبس على جفنيها ، كانت قامة ام العبس الملفوفة بالعباءة السوداء قد غطت جسد زينة ، قالت ام العبس لابنها :

« أنزل الفانوس يا عباس » ثم التفتت الى زينة متممة كلامها « لا تخافي يا خيتي » .

« انا لست خائفة عليه ، انما الحصان ، الحصان يا خيتي ، لقد كان البارحة مهروشا » .

دقت ام العبس على صدرها ، فعلت ذلك كما لو كانت في مأتم، بينما تحرك ابو العبس وابنه عباس تجاه البيت ، طلبت ام العبس من زوجها ان يدبر عشاءه وحده ، لانها سوف تبقى مع زينة . عادت ام العبس مرة اخرى ودقت على صدرها مرتين ؟ ثم قالت :

« يا زينة ! يا خيتي ! كان مهروشا ، ماذا نجني من الخيول غير التعب ؟! » .

« اي والله ، ولم ينم حسن البارحة ، لقد ظل ساهرا على حصانه حتى الصباح » .

« قال ابو العبس ، انه سمع حصان المشاي يطحر ، اراد ابو العبس ان يأتيكم ولكنني منعته يا خيتي ، قلت له ، يا رجل كل الخيول تطحر في الليل ، حتى حصان حسن المشاي » ..

***

جلبت زينة الفانوس النفطي وكان قد امتلأ باب حسن المشاي

بالضوء الخافت ، ومن بعيد كان راس الحصان وراس المشاي يتعانقان في الظلمة كعاشقين هائمين ، انتفض جسد زينة كان هاجسا اشعرها بحركة الحصان ، او كان رائحة الحصان كانت قد سبقت المشاي الى البيت ، ارتعش الفانوس بيد زينة وهي تدفعه ليكشف امامها مسارات في الظلمة ، قامت زينة ووقفت ام العبس بحذائها ، كان الجسدان يمتدان حتى قارضة الباب ، قالت زينة :

« انه حسن .. »

قالت ام العبس « الم اقل لك يا زينة ان المشاي لا يتاخر كثيرا ؟. »

ودون ان تدرك زينة انها قد تركت جارتها ، اسرعت نحو المشاي، كانت ام العبس قد تبعتها ، قالت زينة :

« ها يا حسن ، تاخرت » .

قالت ام العبس : « لقد جاء يا امراة ، قولي له سلامات » ثم اردفت قائلة « سلامات يا حسن » .

« يا ام العبس ، الحصان ، الحصان اتعبني كثيرا » .

« بعه واشتر غيره ، غدا الجمعة ، وكما قال ابو العبس ، من يضمن لنا الخيول في هذه الايام ؟ انها تكلفنا كثيرا يا حسن المشاي ».

« صحيح . ولكن من يشتريه يا ام العبس وهو على هذه الحال ؟ »

لاحظت زينة انها لم تقل شيئا ، وان ام العبس قد غطت على لحظة الانتظار بحديثها الطويل ولكن لم يتسرب الى قلبها شيء ما ، فهي تعرف طيبة ام العبس ، اما حسن المشاي فقد لاحظ بريقا يشتعل في عيني الحصان كوقدة نار ، شعر ان حصانه كان يبكي « ان الحصان يا حسن المشاي لم يخذلك ، الخيول لا تخذل اصحابها يا حسن المشاي » قال متمما كلامه :

« لا استطيع ، لا استطيع ان اراه بيد الدلال يا ام العبس » .

قرب الحصان راسه الى راس المشاي ، وكما لو كان يهمس في اذنيه شيئا ، هز المشاي راسه مؤكدا رفضه « لا استطيع ان اراه بيد الدلال يا ام العبس » . تحركا معا ، ودخلا البيت مبتعدين عن عالم الظلمة .

***

ربط المشاي حصانه ، وجاء بسطل الماء والجت . كان المشاي وحصانه في حضن الليل كموجتين يتصاعدان في بحر من الهم . ظل رأس الحصان منتصبا كانه كان يحدق في اللاشيء المترامي عبر ظلمة السطوح والبيوت والنخيل ، كانت زرقة السماء تسقط في عينيه ، تكشف اسرار الزمن الاتي ، سحب المشاي تنكة سويت على شكل مقعد ، جلس امام الحصان وجها لوجه ، كان يتفرس في الوجه التعب الثقيل « انه وجه الزمن الطويل يا حسن المشاي ، الوجه الذي رأت عيناك العالم من خلل عينيه » .

جاءت زينة بالفانوس النفطي الخاص بالحصان ، علقته على عمود بجدار السوباط ، سقط ضوء الفانوس في عيني الحصان ، فلاحظت زينة ، ان الحصان كان يبكي ، وتيقنت انه كان يتصبب عرقا ايضا فغمرتها لحظة مبهمة ، لحظة امتلأ قلبها بالخوف والعطف، وتركت لعينيها ان تلتقيا بعيني المشاي فراته يتابع راس الحصان الذي ظل منتصبا ، حاولت ان تخبره بمخاوفها ، لكنها ارتات ان تترك المشاي وحده يكتشف عرق حصانه ، تراجعت وهي تحمل هما وحبا « يا زينة ، الذي باطراف الدنيا حملته الظلمة الى البيت وحسن المشاي لا ياتي ، لا ياتيك حسن المشاي » فشعرت انها بقيت وحيدة ، ارتضت ان تبقى وحيدة من اجل حصان المشاي ، لقد احبت هي الاخرى هذا الحصان ، وكانت تخاف عليه من الموت في لحظات يكون المشاي فيها بامس الحاجة الى من يعينه « يا زينة ، الرجال لا يتركون الخيول تموت وحدها فالخيول كالنساء تمنح الحب والعطاء »

دلفت زينة الى صريفتها ثم خرجت ، القت نظرة على المشاي وحصانه ثم صعدت فوق « السوباط » وبقيت تنتظر . كانت النجوم الصيفية تلتمع في عينيها وحسن المشاي لا ياتي .

***

٢ ـ حوارية الجوع والمرض :

قال حسن المشاي :

« اذا لم تاكل الجت ولم تشرب الماء ، سابيعك غدا ، انت تعرف الساحة المقابلة لبيتنا ، غدا سيحضر عدد كبير من الخيول ، سترى بنفسك ، ايها الحصان ، كم هي مطيعة لاصحابها . ومع ذلك فسوف يبيعونها ويشترون غيرها ، سابيعك غدا ، اذا لم تاكل الجت ولم تشرب الماء » .

قال الحصان :

« يا حسن المشاي ، انت صاحبي ، الا ترى انني لم اعصك خلال السنوات الخمس الماضيات ، لكنه المرض يا حسن المشاي ، فاجاني بغتة ، وانت ادرى مني بالمرض . ان السنوات مرت ولم تمنحني شيئا . تستطيع ان تبيعني ، لكنني لم اعد اساوي شيئا » ،

قال حسن المشاي :

« لكي تتغلب على مرضك ، لا بد لك ان تاكل ، اننا نفعل ذلك من اجل ان نقوي اجسادنا وتكون لدينا القوة على تحمل المرض ، كل شيئا . انك جائع ، انا اعرف انك جائع . لقد رفضت ان تاكل في السوق ، انت الان في البيت . فكل شيئا لكي ارتاح . الا تريدني ان ارتاح قليلا ؟ »

قال الحصان :

« يا حسن المشاي ، انت انسان طيب ولكنك لا تعرف مرضي ، لا فائدة من الاكل يا حسن المشاي ، انني احس باقتراب نهايتي ، لقد اتعبتك كثيرا هذا اليوم ، انا اعرف ذلك واعرف انك لا تستطيع ان ترسلني الى الطبيب كما يفعل اصحاب خيول السباق ، ان تلك الخيول تدر على اصحابها الارباح الكثيرة ، وانا لم اعطك شيئا ، يا حسن المشاي ، غير رفقة السنوات الخمس الماضيات ، .. لقد حملتك على ظهري في الصيف والشتاء ، ان ازقة المدينة ما زالت تحتفظ برائحة عرقنا ، ارايت انسانا طيبا يبيع رفيقه في ظروف قاسية قاهرة ؟ ان الصديق يحمل هم صديقه ، الا تحمل همي يا حسن المشاي ، لقد كافحت معك سنوات القهر والموت ، آه . انني الان ، لا استطيع ان اواصل الطريق .. ستظل وحدك يا حسن المشاي ،

قال حسن المشاي :

« ان معاينة الطبيب تكلف مالا كثيرا ، وسواك انا لا املك شيئا، على كل حال يبدو انك لا تريد ان تاكل . لا تدعني اجبرك على فعل ذلك ، انت تعرف الجوع ، وانا جائع وتعب ايضا ، انها لحياة قاسية جدا ، لقد تحملت معي ردحا منها ، فهل تريد ان تتركني وحدي ؟ لا ، لا تفعل ذلك ، انا لا اقوى على الحياة ، كل شيئا . سوف يمنحك الاكل قوة ، اننا نفعل ذلك من اجل ان يستمر هذا الجسد . كل شيئا اذا ، ان لم تاكل ، آه ايها الحصان ، لا اريد ان اهددك ايضا ، انت تعرف انني لا استطيع ان ارسلك الى الطبيب ، اذن لا بد ان اعمل شيئا ، بامكاني فقط ارسالك الى سوق الخيول ،.. لقد باع ابو العبس جارنا حصانه ، ان ابا العبس لا يحب حصانه كمثل حبي لك ، ومع ذلك فانا ـ يا حصاني العزيز ، لا استطيع ان ارسلك الى الطبيب . »

قال الحصان :

« دعني اذا يا حسن المشاي اموت في بيتك ، انني اشعر بانتماء قوي الى هذا البيت . المنتمون الى بيوتهم لا يموتون في الخارج يا حسن المشاي ، لا يموت المنتمون خارج بيوتهم » .

قال حسن المشاي :

« لقد اتعبتني ».. تعبت ، انا جائع ، سارى ما تركت لي زينة ، ساكل ، انا لا استطيع ان اتحمل الجوع مثلك ».. يمكنك ان تموت الليلة من الجوع ، ولكن في الغد ساخذك الى ساحة الخيل ، على كل حال فهذا الجت الاخضر يكفيك اذا ما حاولت ان تاكل ، وها هو الماء في السطل ... ساتركك الان ... »

***

٣ ـ نهايات الليل الصيفي

لمح المشاي ضوء القمر يغسل وجه زينة ، وكانت البراءة نجمة تتلألأ بجانبه ، الليل اخذ ينهمر في شعرها الاسود صورا تعبر خيالات المشاي نحو الزمن الذي كان مشعا ولما طرح جسده بجوارها شعر بدفء لذيذ يتسرب الى جسده « يا حسن المشاي الخيول كالنساء تمنح الحب والعطاء » اتسع الزمن داخل لحظات الصمت ، كان الليل صيفيا . علق عينيه في زرقة السماء ، وسمع الحصان يصعد زفرات حادة تخترق اذنيه . تتحول الى انات متتالية ، تقترب ، يقترب الحصان ، المشاي يسقط متعبا في عمق الليل .. عيناه كانتا مثقلتين بدبيب ناعم ، يرى الحصان يصعد ، يقف عند رأسه ، يفرش جناحين ابيضين « يا حسن المشاي الخيول لا تخذل اصحابها ، آه انني اقترب الى الضفة الاخرى ، لا استطيع ان اواصل الطريق معك ، ساتركك انا ايضا » اندفع جسد الحصان مرتقيا زرقة السماء .. ضاعت نجمة الليل فجاة ، ثم انهمر ضوؤها ساقطا في عيني المشاي ، فلم يحرك المشاي يده ، لم يقل شيئا ، كان فقط غارقا في الليل . والحصان ، كان يرتفع ويهبط كما لو كان يحوم فوق جسد المشاي . شعر بهزة عنيفة تدفعه في متاهة خوف ، امتدت يد مجهولة الى جسده ، مرت على صدره باردة كالثلج ، اهتز جسده فتح عينيه ، كان جسد زينة طويلا ، منطرحا بجانبه ، يسبح في حلم خاص وسري .

وكانت الشمس بدت كطائر ذبيح عند حواف البيوت الطينية ، تنزف دما « انه حلمك يا حسن المشاي ... الحصان يموت ! » اسرع هابطا السوباط ، وقف مباشرة امام حصانه ، الفاه منتصبا .. ومن وراء الجدار ، كان صوت ابي العبس يخترق الغبش حادا كلون الفجر :

« يا حسن المشاي ، بعه اليوم . ان هذا الحصان لا ينفعك بعه والا ! »

« والا ماذا يا ابا العبس ؟ »

« الا ترى انه يموت ببطء ؟ »

***

في الوقت الذي كانت فيه قطرات الندى تتعلق بسعف النخيل ، سمعت زينة وهي فوق السوباط ، الباب يصر ، رفعت رأسها ، استطاعت عيناها ان تبصرا رأس المشاي ورأس الحصان يخترقان ضلفة الباب ، كانت تنصت الى ضوء الشمس وهو يدق الاشياء بانامل ناعمة ، لتصير كبيرة في عينيها بينما يخلف المشاي وحصانه دفء اللحظة الاخيرة امام الباب ، ظلت زينة مرة اخرى تنتظر ... في هذه اللحظة لم تفعل زينة شيئا سوى انها اخذت تراقب الشمس وهي تصعد فضاء الساحة المقابلة لبيت حسن المشاي .. ومن خلل ضوء الشمس الساقط في عينيها ، ابصرت ثمة طيورا آتية من بعيد وكانت قد حطت على سعف النخيل فتساقطت قطرات الندى وامتلأ الصباح باجنحة الطيور .

***

٤ ـ الساحة والموت

الى هنا تأتي الخيول .

ومن هنا يتجذر العطش في الارض السبخة والخيول .

وكذا المشاي لم يفعل شيئا سوى انه اخذ يطيل النظر الى وجه الحصان ، وكان الحصان هو الاخر يحدق في البيوت الطينية ، وحينما اخترقا مقبرة اليهود ، صعد الحصان رأسه نحو بيت المشاي ، رأى المسافة تحط فيها القبرات ، وعندئذ اخذ الخوف يعكس من بين الاثار المتباعدة في قلبه شعاعا اصفر ساكنا ، وقد خيل اليه انه يسمع نداءات تترى من داخل المقبرة . كانت الشمس تسكب النور في عينيه ترك راسه يسقط ذليلا منقادا لحركة المشاي ، ومع ذلك فقد شعر بلذة الالم تندس في مكان ما .

« هذه الجمعة التي تحدث عنها ابو العبس ، وقال انه باع حصانه في يوم الجمعة » .

« وكان الناس يعرفون الجمعة من رائحة الخيل والرجال » .

« يا حسن المشاي ، هل تعرف انت يوم الجمعة ؟ سل حصانك اي يوم هو الجمعة ؟ »

« في السنوات الخمس الماضيات لم يكن ثمة يوم جمعة يا حسن المشاي » .

« ما كان ينبغي ان يكون هذا اليوم يا حسن المشاي » .

الى هنا كانت الخيول تاتي ومن بينها كان حصان المشاي ياتي ايضا .

يقف حسن المشاي بحصانه عند حافة الساحة ، وامامه كانت الرؤوس تمتد ، يلمح « اليشماغات » تلوح بها رياح هادئة ، كانت تمر على انفه عابقة برائحة صهيل الخيل . وكما لو كانت قوة خارقة تجذبه ، اندفع المشاي نحو عمق الساحة . اختلط بين الاجساد ، كان رأس الحصان منتصبا فوق رأسه ، كانت الرؤوس الاخرى ذات الاشكال الخيالية ، حمراء وبيضاء ، تحوم فوق رأسه ، ورأس الحصان ، فتمتلىء عيونهما بانعكاسات وبريق وسرعان ما تحول خوفهما الى واقع رهيب ، كانت الاصوات تتمطط في الهواء ، وصهيل الخيول يمتزج بحرارة الشمس . تقدم احد الدلالين غارسا عينيه الحادتين في لحم الحصان :

« بكم تبيع الحصان ؟ »

« بخمسة واربعين دينارا . »

« حصانك مريض ، يعرق كثيرا ، فهو لا يساوي غير عشرة دنانير » .

اهتزت الارض تحت قدمي المشاي . وتمشت في مفاصله رعدة ، كان الحصان قد نتر الحبل من يد المشاي ، وانفرجت الرؤوس ، تاركة فسحة لجسد الحصان ، اعلن الحصان راسا تمرده واحتجاجه ، وكما لو كان يريد ان يبرهن على قوته ، دار حول نفسه دورتين ، ثم علا صهيله في فضاء الساحة ، ودار دورتين اخريين وكانت الفسحة قد انفرجت اكثر ، فانطلق الحصان ، لم يفعل شيئا ، سوى انه وسع من دائرة تحركه . اصبح الان يحيط ظهور الرجال بدائرة غير مرئية ، ظلت العيون تتلقى غبار حوافره اختنق صوت المشاي داخل الدائرة ولكنه طفق يركض وراء حصانه . كانا يركضان .. كان الحصان يدور دورة كاملة ، لم يلحق المشاي به ، شعر ان ثمة اجسادا اخرى ، تتبع الحصان ، تفحصها بنظرات سريعة ، كانت الخيول كلها تدور وكانت « اليشماغات » تتطاير في فضاء الساحة كما لو كانت اعلاما وبيارق قبيلة خرجت توا لتؤدي طقوس الموت ..

مر الحصان مسرعا على مقبرة اليهود ، كان قبر « عدس » وحده يحترق تحت الشمس ، لم توقفه التماعات المرمر الاسود ، عبر المقبرة متجها صوت بيت المشاي ، ما زالت زينة تنتظر ... ادركت انها لم تستطيع المرة الثانية ان تقوم بعمل ما ازاء الحصان ، فقط كانت تلحظ الحبل يتدلى من رقبة الحصان ، ظل جسد الحصان قريبا من البيت ، تماما تحت حواف عباءة زينة السوداء ، يرغي ويزبد .. وكانت الخيول تدور على امتدادات عينيه المحلقتين في جسد زينة المتجمد لصقه .

البصرة (العراق)

ممدوح السكاف

حوار الصوت ... والصدى

... وأنا الآن ملتهبٌ بالغوايات
والترّهات
أموت بلا شجر في جنازتي
أو حديقه ...
نازفٌ .. نازف ، وقلبي صلاة
ادلهمّ الحريق فيهـا
واعشبت حولهـا السواقي
ونامت عليها الغصون
وأنا دفقة الشجون ..

***

من رفيقي الى رحلة الموت
« ـ كنا التقينا زمانا .. أتذكر ؟.»
« ـ طبعا .. وأبكي .. »
والحب والخمر والمرأة القاتله ؟
من يُعرّي اخضرار قلبي من الافول ؟..
أسرعت ساعـة الوصول
أسرع الثلج في الهطول ..
وأنا واقف هنا ..
تحت نفسي شقاء
وفوق نفسي بكاء
وفي العميق منها صراخ
وفي العميق منها اشاره ..
انني واحد المفاره ..
« ـ اجلسي .. اجلسي صامته ..»
« ـ مرّ حين من الزمـان
كنت ابكي .. وكنت احكي
وانـا الآن صامته .. »
من رأى منكم المغني
في ساحـة القصر يومـا
من رآه يموت ؟؟..
كأن صوتا ، وارضا ، وفراقا ابديا
ولقاء عربيـا
ولهفة فائته ..
كان كلا حميما تعضى بجزء ، أسرج
النور في الظلام ..
كل ايامه كلام ..
وهو الان باقة من ورود المصانـــع
الموشـاة باللون ميتا
اخرس كالجثة الساكته ...

***

لا تقولي اذا التقينا : ـ انتهينا
بيتنا الان قنطره ..
أعبر اليوم جسرا اليها
وغدا اعبر القنطره

واذا ملت أو هوت قدمي
او توازنت
أو سرت كالقلعة الجاثيه
فأنا واصل اليك حتما ..
بيدي كلمتي ، وصمتي بقلبي
وحبي باليد الثانيه ..
وطريقي اليك
الفناء فيك
العنـاق
البكاء ،
السلام
اللغة الحانيه ..

***

جرّبيني ، أكن عبدا مطيعا اذا شئت
او رايـة نكست في الغروب ..
شمعة يغمض النهار عينيه عليها
يوشي ضياءها بالطيوب
اقبليني ، ادخل الى ملكوتك طفلا
جائعـا ، يطلب الخبز والنبيذ
والنومة الهادئه ..
ويصلي على ركبتيك ، يعبد الجسد
العشتار ..
يرتع في الحلم ههنا ، وهنـــاك ،
يبكي طويلا
عند رؤية المستحيل
آه لو متّ فجاة وانا أعتلي الجـواد
الاصيل ..
اقبليني ، ولن تندمي ابدا
عندي البشاشة والرقص والصدق
والضياع في الشوارع ليلا ، والسكر
ظهرا
وعندي حنين الى اللّذات ، والرفض
، صعب
وشهوة للتشرد حرّى
وقلبي مُعرّى
ودمي أسود
ونومي صحوٌ
وعندي سلالة من الاثم قد أدلك يوما
على مفردات التصعلك فيها
وعندي شفافية البوح والنزف
والكلام الجميل
واذا بت جائعة ، فعندي انا
وعندي بصّارتي

وعند شباك بيتي
وزيتونة الدار
والحارس المفلس
ولص الكنائس
صمتٌ طويل .. طويل ..

***

ـ صامت انت والكتابه ..
لغة من لغات الصحابه ..
ـ ظامىء أنت والشراب
بين نهريك سلسبيل
ـ راحل انت في الصباح
معك الوهم والغرابه ..
ـ قل لنا كيف تعتريك
حالة الوجد والصبابه ..
قل لنا كيف تعتريك ؟..

***

اشتريني من الممات
ـ اذا اسطعت ـ
اقبضي على قلبي الراحل في الخرافات
والمسافات
والقطارات
والمزق شلوا على القارعه.
واحملي دمعتـي الثقيلـة كالموت ،
وكالسندباد
اكتبي بالاعاصير قصتي ، ناوئيني
او صالحيني ، فأنا شمسك الطالعه
وارقصي في المحطات ، عند منتصف
الليل ونامي على الارصفه ..
« ـ هل نمت نوما جميلا ؟ ..»
« ـ طالعت حتى الصباح
قصيدة مستحيله ..
ونمت دون وشاح
أخذت بردا قليلا »
ثم بيعي الجرائد ، نادي عليها وقولي:
ـ أتينا . أتينا ، واجمعي الارغفه ..

***

انها جنّتي ، ادخليها .. ادخليها ..
وطوفي على الملائك صفًا فصفًا
وصافحيهم جميعا
وقبّليهم سريعا
واركبي البحر والشراع ..
وارفعي راية الوداع ..
ولوّحي للحقيقه ..

حمص (سوريا)

احمد يوسف داود

تاريخ مختصر للمدائن المقيدة

النشيد الثاني من « الذكريات العربية »

ـ ١ ـ

الدراويش على خيل الحكايات يجيئون ..
وبغداد (١) سراب وظنون
... صهلة الشوق !..
وتمتد الى الخلف .. الى الخلف ، الجياد
يطرق « الموتى » على الابواب ..
ـ لا ابواب للدنيا !
وتنهار الاحاديث ، واشواق السنين

. . .

وهم ساعات الدنو انهار ..
بغداد استراحت
في حميا لولب الضوء ، وابراج الحساب المشرعة
وكمال الشهوة العابق في الديوان ..
بغداد تضيء .
وصهيل يعبر الرمل .. الى الرمل ..
صهيل الموت في حزن المنافي الاربعة
والى الخلف .. الى الخلف تدور الارض ..
والريح .. وآلاف الجياد
والدراويش على هم افتراع الحمأ المسنون ...
ماتوا يرقصون :
حربة للعين .. للقلب !
« هنا الارض ، كما لم تكن الارض ولا خصر
الحبيبة »
ومن الجسر الى النهر وصال الشعلة العذراء بالليل
الذي يمضي ..
وتمضي الاشرعه
وصهيل كلما يقترب الوهم ، وبغداد ، يطير
والدراويش على بوابة الدنيا ينامون :
« اذن هذي هي النار ؟..
وسوط الحارس الليلي ؟
ساعات الدنو المستعاد ؟ »

. . .

من كمال الشهوة اللاذع في الاعصاب ، حريفا ،
الى خمر السرير ...
« صندل » (١) يوغل في صمت امير المؤمنين
بين رعش الارض والساقين تمتد التواريخ ..
ونهد كلما اهتز استدارت زوبعه
وانبثاق طالع من وحدة الفتح الى نار اللقاء :
ـ « قمر الاغفاءة الناعم منذا أطلعه ؟ »
فجأة .. ينسدل الشَّعر .. تمر النار من عرق
الى عرق ..
وبغداد تضيء
شعلة في تعب العينين بغداد .. ونار ورماد
ـ « كأس بغداد !! » ..
ففنوه ، وهاتوا الشعراء !
آه بغداد !! وخلف الرمل رمل اخر :
الحراس .. والليل .. وابواب المدينة
ودم العالم !
والخيل التي تصهل في وحل « السواد »
صوتها يصبح رنات صنادل
كلما جاء امير المؤمنين انسدل الشعر ،
وغاب القمر العاري بخصلات الجدائل

ـ ٢ ـ

عابق وجدك بالخوف على بغداد ـ قالت شهرزاد ـ
والمرايا مثلما كانت تكون .
احتمل حزنك حتى اخر الدنيا ، ولا ترجع !
فوحل الكلمات ...
قد تواصلنا عليه دونما قاع
تواصلنا .. فماذا بعد ؟ قل ..
ماذا عن الفتح المعاد ؟
موحلا كان المطر !
.. وهج بيتين عن الحب . وكل الواجهات ..
تبدأ العرض عن اللذات :

---

(١) بغداد في التاريخ الرسمي مركز العظمة العربيــة في عصرها « الذهبي » وهي في الفلكلور الحلم السحري الرائـع ـ ولكنه المستحيل ـ بالنسبة لفقراء الامة .

(١) نوع من الاحذية ، وهو هنا نسائي

منديل .. هوايات طوابع
صور نافرة للجسد العابق بالوخز ..
وميدان الجدائل !
موحل هذا المطر .
من ، ترى ، يمسحه فوق الزجاج ؟
وهج بيتين عن الموت الجديد :
« مطر ناعم في خريف بعيد
أنا آت الى ظل عينيك آت » (١)
امس قال الخليفة انتظروني
حارة ، حارة .. بعد المواويل !..
« والخصيـان » ذاقـوا مرارة الجمـر ..
ذاقوا ..
خنجر العقم في الاسرّة..ما بين احتراق الظما ،
وخوف الجواري
مطر قاتل في طريق بعيد
ما يقول السياف حين يجيء النطع ؟!..
هيهات يا بغداد يا سرة الزمان الجريح
كل ريح تجيء من قدم السياف !
تحصى المواويل ..!
والموت ، والشوق : ريح !
مطر ناعم في الصحارى البعيدة
صندل ناعم يمر على الديوان ، فالناس :
وصيف .. او منشد وقصيدة !

— ٤ —

قال عيسى بن هشام :
ـ ليس لي عقد على نقد !..
أنـــا ...
كلما أوشك ان امضي يقد الجوع اوصالي !..
أنـــا ...
بين كلماتي وبين الله خوفي والزحام !

— ٥ —

ـ « امطري .. امطري يا سحابة »
مطر ناعم في المنافي البعيده
غزوة في الأسرة البيض .. ثم النطع
ـ « او فاذهبي بعيدا ، بعيدا »
كل درب تقود .. حتى كؤوس الشراب
= لا تقبّل ! ـ تقول جارية ـ فالحب يا سيدي صار مرا
المحبون متخمون من اللذات !! فاعذرني »
وينهد في السرير الخليفه :
جسر بغداد لا يمر على النهر ..
وبغداد قربة دون ماء
ـ « هم عينيك والممالك يا هذي ، معا ؟؟

(١) محمود درويش .

آه .. كم تدور بنا الدنيا !!
وآه كم الاسى يتشابه
ما الذي ظل للممالك الا ..
مطر ضائع في رمال بعيده ؟ »
. . . .
. . . .
جسد ناعم يفر من القبلات فالناس :
وصيف او شاعر وقصيده !

— ٦ —

قال عيسى بن هشام :
حيثما تظفر بمن جاء يغذ السير من اقصى «السواد»
فتقبل رحمة الله ، فرزق الله لم ينفد ..
وان قال العباد !!
اعمل لرزقك كل آله   لا تقعدن بذل حاله !!
ضحك الخليفة من ملاحتها
والنهر سار الى الامام .. الى الامام
قمر .. شراع ..
ـ « من يسامر ايها الخصيان ؟..
آه .. أتيت يا عيسى اتيت ؟؟!
فلتملأوا فمه جواهر ! »
ظل عيسى لا يموت ولا ينام
وتغامز السياف والسجان ...
والنهر استمر الى الامام

— ٨ —

آه مولاي !! ما تقول المواويل ؟؟
على مفرق الزمان الى « بغداد » ..
كل الدراويش ماتوا
جائع ، جائع .. يخوضون في عرق الفتح .. دم الفتح ...
والخوف دونها والشتات
عبثا خيلهم تروح الى الابواب !...
بغداد قربة دون ماء
= « لا تقبّل !! »
يذوب مولاي وجدا
ـ « هم عينيك والممالك يا هذي معا ؟؟
آه علمتني شهوة الدم !
ايهذا السياف !! »
ترتعش الريح على النهر ...
و « السوادي » في الظلام تقدم
« امطري » ، قالت الدماء .
لم تعد نجمة تسافر في الماء ..
ولا الجسر متعب وطويل
وتلوى في صمت ذاكرة الاضواء والذعر ...
مستشارا طعينا
فتوارت من ذلها الكلمات ...

دريكيش (سورية)

رندة حيدر

القصة الفلسطينية الجديدة عبر تيارين

دراسة مقارنة لمجموعتي نواف ابو الهيجا وعلي زين العابدين الحسيني

يشغل الفن القصصي اليوم دورا اساسيا وبارزا في الادب العربي مشاركا الفنون الادبية الاخرى في البحث عن خلاص جديد للشخصية العربية يكمن فيه ميلادها من جديد ، وذلك عبر رؤية متجذرة لمشكلات المجتمع وآفاته الحقيقية في محاولة للكشف عن افاق مستقبل جديد .

ويشكل النتاج القصصي الفلسطيني شريحة تعكس خصوصيات هذا النتاج من حيث المضمون والتقنية الفنية ، هذه التقنية التي توزعها تياران ، تيار قاده الرمز والبحث عن الصورة المطلقة الى الوقوع في الشكلية ، واخر استطاع ان ينهض بالكلمة الموحية الشعرية الى مجالات الرؤى الحلمية المشبعة بالايحاء ، مفجرا الواقع الثوري، طارحا تطلعات لغد اكثر اشراقا .

تمثل مجموعة نواف ابو الهيجا القصصية « الضرب في الراس » مثالا على التيار الاول ، بينما تشكل مجموعة « خميس يموت اولا » لعلي زين العابدين الحسيني مثالا على التيار الثاني .

وقراءة لمجموعة « الضرب في الراس » تجعلنا نصنف اقاصيصها ضمن ثلاثة محاور رئيسية ، ان من حيث المضمون ، او من حيث التناول الفني له .

المحور الاول : رؤيا حادة لواقع الحضارة العربي في محاولة للكشف عن زيف الحياة العربية ونقائصها مع بعض الاشارات الخفية الرامزة الى تلك العلل التي تكمن وراء ذلك الزيف وتلك النقائص ، وذلك عبر الاقاصيص التالية :

« الشلل » : لوحة تشخيصية لمرض الانسان العربي الذي يورثه العجز والشلل ، هذا المرض الذي لن يبرأ الا بمساهمة من الذات على تخطيه . وتعمل اللوحات المتعاقبة على توضيح حقيقة العلة، وتتوضح الصورة شيئا فشيئا ، فالانحراف يبدأ منذ الصغر عن طريق الاساطير والخرافات التي تمتلىء بها الاذهان ، وتتطور الصورة فيبرز الكبت الجنسي كعامل جديد من عوامل التخلف والتاخر ، ويتبلور المرض ، اجتماعيا في فوضى مسائل الزواج والطلاق ، ويزداد المرض تعقيدا مع بروز مشكلة الثقافة ، فالمؤسسات التربوية تلعب دورا مضادا لميول الطلاب ، وتفضح الممارسة الحياتية تناقض الواقع وتذبذبه ، مؤكدة مرة اخرى على ضرورة الموقف الايديولوجي ، وعلى تلاحم الموقف الطبقي والموقف القومي ، غير ان نهاية المشهد تبرز ، بشكل حاد ، غياب الوعي الثوري الحقيقي القائد نحو الالتزام ، فاضحا تحكم الكبت والعجز في الانسان العربي ، مما يورثه حالة من العجز المرضية .

وتتميز هذه الاقصوصة بعمق الرؤيا وشمولها ، ولا يعوزها الربط ، والتعقيد الظاهري لا يلبث ان يضمحل مع تواتر المشاهد التي تضيء الخط العام للرؤية الفنية .

وتحمل اقصوصة « رسائل مجنون الى البحر » فرار الانسان من اتون المدينة العمياء الظالمة الجاحدة ، الى عالم البحر الذي قد يحمل شيئا من الطمانينة والسلام لذلك الوجود الانساني المعذب ، غير ان قانون الاقوياء هو الذي يتحكم ايضا بعالم البحر ، فالسقوط هنا ياخذ طابعا اكثر ماساوية . والاقصوصة بمجملها رؤية عبثية للوجود، وهي تطرح الجنون كمخرج لمازق الوجود الانساني . لكن الجنون في الاقصوصة ليس فرارا فرديا من مواجهة الفساد وانما تحمل الرسالة الاخيرة ، صورة من الرفض والتمرد الجماعي حيث يشارك « البائعون الصغار ، والطلبة الصغار ، والشحاذون ، وارباب الاعمال الحقيرة ـ الزبال والكناس ـ .. الخ » هؤلاء جميعا يشاركون المجانين مسيرة الرفض في سبيل عالم اكثر عدلا واحقاقا للكرامة الانسانية .

والاقصوصة بمجملها تحمل طرحا جديدا لمعطيات الواقع في محاولة يائسة لتفجير الموقف الثوري المرتقب .

اما اقصوصة « شخصية تراجيديه » فهي رؤية جديدة مرضية للنفس العربية من داخل واقع الهزيمة ، وتدل على تفتت الذات وتآكلها وضياعها بين ماضيها الذي ليس سوى صور متعددة لانواع الكبت ، وبين حاضر مهزوم ، ونفس تحاول ان تخرج من منفاها وعجزها، وتعمد من جديد الى تحقيق ذاتها ، ولكنها في النهاية تفشل .

ناخذ على هذه الاقصوصة تاكيدها الاحساس بالمرتقب ، فالاشياء تبدو مربوطة بحتمية صارمة ، والمرض يبدو مستعصيا فلا امل في النجاة ، وهذا نتيجة انعكاس حاد لما خلفته الهزيمة من يأس في النفوس .

اما اقصوصة « الجبل » فهي اعادة طرح جديد لغربة الانسان ووحدته في عالم المدينة ، انها صورة اخرى لضياع الذات ولبحثها عن هوية ، قبل ان يبتلعها جبل الخوف والرعب ، وتصبح فردا من قطيع الرهبة . ان الخاتمة لا تاتي بنتيجة ، فهي ابتلاع اخر ، موت جديد للتحدي ، لتبقى الوحدة والعزلة والخوف .

واقصوصة « من سيد الجيرك الجديد ايها الملك السعيد . » مزج للحكايا الشعبية ، ولصور الحياة الصاخبة ، ولاقوال اذاعية متفرقة عن قضية الشرق الاوسط وفييتنام ، كل ذلك في اطار من التداعيات غير المترابطة ، والاقصوصة بمجملها تفتقد وحدة السياق وغائيته ،

فهي تحمل انتقالا انتقائيا من موضوع الى اخر مما يضعف من القيمة المعنوية والاسلوبية للاقصوصة في آن معا .

هذه الاقاصيص تكشف ميل الكاتب الى الاغراق في التعقيد والبحث عن الصورة السريالية التي تتخطى المالوف والتي جاءت في معظمها على حساب المغزى ، وحدت من التاثير المرجو بسبب تخليها عن المعنى في سبيل الاسلوب . غير ان هذا ليس حكما مطلقا ، فلقد نجحت للكاتب بعض هذه الاقاصيص لتلازم مغزاها واسلوبها ،

اما المحوران الاخران فهما يشكلان رافدين لتيار واحد، فالموضوع المطروق هو قضية الاغتصاب والارض والنضال ، لكن تناول الكاتب لهذه الموضوعات تواتر ما بين الشكل الروائي المعقد المعتمد على التداعيات والرؤى الحلمية المتشابكة وعلى تقاطع صور الواقع وتيار اللاوعي ، وما بين السرد الروائي الذي يعتمد على بناء الحدث وتناميه حتى نقطة الذروة .

يلعب الرمز في النوع الاول من الاقاصيص دورا جوهريا ، ففي ((بنادق)) غوص جديد في حنايا المأساة منذ الاغتصاب حتى الفداء . تمثل ((سكينة)) الارض ، اما ((سعد)) فيمثل الثورة التي تحارب ببندقية قديمة : وفي هذا اشارة الى ظروف القهر والضغط التي تحيط بالثوار اما تاجر البنادق الجديدة فاشارة اخرى الى تلك الفئات المستغلة التي تعمل بدناءتها على اجهاض الثورة وتساوم على الارض، وهذا ما نلمسه في حوار التاجر مع ((سكينه)) . وتختلط في الخاتمة صورة استشهاد ((سعد)) برؤى مضيئة للمستقبل تلتمع ثم تغيب من جديد في طيات الكآبة المسيطرة على هذه المرحلة التي تعيشها الارض، والتي ما زالت مرحلة انتظار ، انتظار التحرير الشامل .

يرتفع الكاتب في اقصوصته هذه الى ذروة الاداء ، فيخطو خطوة ثابتة على طريق البناء الدرامي الجيد .

اما اقصوصة ((اسير العالم المقلوب)) فهي تعكس صورة ذهاب الارض عن طريق غريب ، وشخصية الغريب هنا تتكرر في اكثر من اقصوصة ، وفي ذلك تركيز على مغزى الوجود الدخيل الذي مارس عملية الاقتلاع بحق الشعب الآمن ، هذا الغريب يدخل مجتمع القرية الساذج ، فيستحوذ على العطف والحماية وينتهي به الامر الى الاستيطان مع اهله وعشيرته في الارض بعد استئصال سكانها الاصليين، كل ذلك عبر مشاهد تروى رواية ، وهذا مما يعمل على تقريب الصورة من الاذهان ، وجعلها نوعا من الانبثاق الطبيعي البعيد عن الانفعال ، وهذه الطبيعة تتبلور في الخاتمة التي تنزع الى الحكمة الشعبية .

وتمثل اقصوصة ((طقوس انفعالية)) لوحة صادقة عن مشاعر الغربة والحنين الى الارض التي يعيشها كل من خاض تجربة الاقتلاع والتشرد والضياع ، انها افتقاد هوية يتمثل في الاقصوصة في ذلك البحث عن الام (الارض) التي تتنكر لولدها لانها فارقته منذ زمن طويل ، فلقد محا الاغتصاب معالم وجهه . والاقصوصة بذلك كابوس مرعب ، وحنين قاتل الى حضن الام ، وبحث محرق عن الحنان والدفء من جديد . لكن اللقيا لن تتحقق الا من خلال القتال واستمرار النضال .

وتمثل اقصوصة ((الولد الفلسطيني)) رؤية جديدة لمأساة فلسطين من منظار طفل عاش فصولها ، وتتميز هذه الاقصوصة بتلك الدهشة الطفولية ، والنزوع الرومانسي الشاعري ، بالاضافة الى ما تحويه من صور لحياة الاقتلاع والمقاومة .

يطبع هذا النوع من الاقاصيص بشكل عام ، ذلك الصدق في نقل المشاعر وتصوير المأساة ، يسيء اليه احيانا استرسال الكاتب وراء اصطياد الغريب من الصور ، وافتعال التعقيد .

اما بالنسبة لاقاصيص النوع الثاني ، فتبرز اقصوصتا ((الرجل الفلسطيني)) و ((الضفتان)) على غيرهما من المجموعة لتعكسا صفات الكاتب وخصوصيات فنه الروائي .

ترسم اقصوصة ((الرجل الفلسطيني)) صورة حية عن حياة النضال والمقاومة التي يخوضها الفلسطينيون ضد الغزاة المحتلين، كما بين كيف ان النضال فرق الاب عن اسرته ، فالتحق بصفوف المجاهدين، ليعود بعد سنين طويلة من الفراق الى بيته واسرته ، كل ذلك يتم صدفة ، وضمن سياق روائي يتدفق عاطفة وتاثرا ، محاولا رسم صورة مشرقة عن المستقبل ، فتجدد اللقيا يجدد الامل في امكان العودة والتحرير . ولقد املت طبيعة الموضوع جوا من الحساسية والعاطفة ، جعل اللغة تكتسي رداء من الشاعرية الموشحة بالايحاءات .

وتقفز اقصوصة ((الضفتان)) الى الصف الاول بين الاقاصيص جميعا ، لما تميزت به من جودة في القصد وقدرة على الاداء تصل في بعض الاحيان الى درجة الابداع . وهي نوع من الحوار الداخلي المتعدد الابعاد لشخصيات خمس هم : ((ابو الليل)) احد الفدائيين ، ((عطوان)) ملازم في الجيش ، ((شهلا)) حبيبة الفدائي ، ((فطوم)) زوجة الملازم، ((النصب)) الذي احتوى جثتي ((ابو الليل)) و ((عطوان)) ، وتمثل الاقصوصة وحدة المصير العربي ، فالموت هو الذي يوحد في النهاية بين الفدائي الذي قتل برصاص الجندي ، وما بين هذا الجندي نفسه، وهو الذي يصفي ما بينهما من احقاد مصطنعة املتها السلطات الفاسدة، فالدمار يلحق بالطرفين ولا مصلحة لاحد في هذا الاقتتال الا لبعض خونة الامة العربية . من هنا كانت المصالحة ما بين الاثنين بعد ان اكتشفا وحدة الرباط الذي يجمع ما بين العرب اجمعين . نتسمع على لسان النصب ((اراهما يتاملان بعضهما بعضا .. ثم ... يتقدمان احدهما باتجاه الاخر .. يحتضن احدهما الاخر ... ويدخلان المثوى الاخير .)) ص ١٩٣ .

اما بقية الاقاصيص فتتحمل كل منها معاناة اخرى للهزيمة والفداء:
تعكس ((العالم الثالث)) رؤيا الهزيمة من خلال ربط لموقف الانسان العربي منها وموقفه من جهة ثانية من المراة ، وهو في مجمله موقف متذبذب ، عاجز ، فطابعا التردد والعجز اللذان طبعا هزيمة حزيران ، هما اللذان يتحكمان سلوك العربي باكمله .

اما اقصوصة ((الاشياء الحية)) فتحمل صورة نابضة عن حياة الفداء ومجموعة المقاومين ، فهي توغل في صدور هؤلاء الذين وهبوا انفسهم للارض ، في محاولة للكشف عن دوافع نفسهم الخفية التي تقودهم دوما الى المزيد من الفداء والتضحية ..

اما مجموعة ((خميس يموت اولا)) لعلي زين العابدين الحسيني، فهي تشكل مرحلة متقدمة في العمل الروائي الملتزم المبدع .

لقد اراد المؤلف ان يكتب عن تجربة الموت الكبرى في سبيل الوطن ، وذلك عندما قال في اهدائه : ((الى كل الرفاق الذين عرفوا مني وكيف يكون الموت عظيما اهدي هذه المجموعة)) . فجاءت كتابته تجسيدا مليئا بالنبض والايحاء ، والدفق الشعوري المطبوع بغزارة التجربة وغناها .

تأتي الاقصوصة الاولى ((نبي بلا احزان)) لتجسد مأساة الاغتصاب الكبرى التي تعرضت لها فلسطين من خلال حادثة اغتصاب زوجة البطل على ايدي جنود يهود على مرأى من عيني الزوج الذي لم يحرك ساكنا للدفاع عن شرفه ، فتحمل المراة طفل الخطيئة ، ويدين الزوج المراة ويدفعها تحت وطأة الذنب الى الانتحار احتراقا وفي هذا دليل جديد على الهزيمة والعجز . والاقصوصة في مجملها عرض لموقف بكائي تفجعي يفتقر الى الحس الثوري ليغرق في رؤى السقوط السوداوية ، واحاسيس الالم والعجز .

اما اقصوصة ((هو)) فتطرق موضوع الكيان الفلسطيني الضائع الذي فقد هويته بفقدانه ارضه . من هنا كان ((هو)) انسانا غريبا مقتلعا خارج مسيرة الزمان والمكان ، دلالته الوحيدة شجرة برتقال تمثل مؤشرا لامل مرتقب ، هذه الشجرة التي لا تحمل ثمارا الا عند عودتها من جديد الى التراب الذي اقتلعت منه ، فالخير لا ياتي الا

بالعودة الى الارض . و ((البرتقالة)) تحمل نبوءة الثورة المرتقبة التي يجب ان تتحقق باسرع وقت ممكن وقبل ان يزحف النمل الاصفر على المدينة من جديد فتكرر المأساة .

والاقصوصة اعادة للمأساة في نغمية شاعرية مطبوعة بمشاعر التحسر والحنين .

وترسم اقصوصة ((الفتى الذي لم يقتلوه)) لوحة مأساوية مروعة لعملية الذبح التي تعرضت لها الامة الفلسطينية ، فالمقاومة اجهضت في مهدها لان البندقية كانت بلا ذخيرة ، والمجزرة كانت حتى الاستئصال بحيث لم تترك وراءها سوى شاهد واحد ، كان عليه ان يطيع حتى يموت . وهنا تبرز مقدرة الكاتب على الغوص ضمن هذه الشخصية ليكشف عبر تداعيات صور الماضي وتقاطعها مع معطيات الحاضر، حقيقة عمليات التعذيب الرهيبة التي كان يمارسها الغزاة ضد الشعب الفلسطيني ، غير ان الخاتمة تحمل انتفاضة شرسة ضد قوى الوحشية والعدوان ، فالاسير يغرز اصابعه في عيني حارسه ويواجه الموت بشجاعة مؤذنا بولادة المقاومة الفعلية وروح النضال .

وتمتاز اقصوصة ((هذا الشتاء)) بانها تشكل مرحلة متقدمة من مأساة الرعب التي عاشها ويعيشها الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة ، وتاريخ الاقصوصة يرجع الى ما بعد الهزيمة الاولى عام ١٩٤٨، فهي بذلك تجسيد للواقع الفلسطيني المشروخ الذي عانى الخيانة والقهر ، فالمجتمع غير واع ، والحقيقة ضائعة ، من هنا كان الخائن في نظر الناس هو القاتل الحقيقي ، والفدائي هو الخائن ، اما الذي يعرف الحقيقة فهو مجنون في نظر الناس ، غير ان هذا كله لم يمنع من ظهور صور المقاومة الفردية ضد كل عوامل الفساد هذه .

اذا كانت الاقاصيص الانفة الذكر اوردت صورا للمقاومة الفردية، فانها في ((خميس يموت اولا)) اضحت التحاما مصيريا بين الافراد ، بحيث يضحى للاستشهاد لذة من نوع جديد شبيهة بخلق من نوع اخر . كما نلمح في هذه الاقصوصة عطاء فريدا يرتفع بالمعنى والاداء الى درجات عليا من الجودة والابداع ، فتاريخها يعود الى زمن قريب (يناير ١٩٧٣) مما يجعلنا ندرك مقدار التقدم الذي استطاع ان يحرزه هذا الكاتب في فنه الروائي ، حيث رأيناه يسخر كل التقنيات واساليب التشكل الفني في خدمة فكرته ، انطلاقا من تيار التداعيات الى تقاطع صور الماضي والحاضر ، الى المنالوج الداخلي والمزج الوحي بين العالم الداخلي للشخصيات والعالم المحيط بحيث يغدو الكل جزءا من سمفونية مترابطة تشد القارىء منذ الكلمة الاولى حتى الاخيرة .

في ((خميس يموت اولا)) حتى اشجار البرتقال تشارك في النضال وتضحي كائنات ترفض وتقاوم . ((كان يدرك ان الاشجار كالناس مخلوقات ، تحس ، وتسمع ، تبكي ، وتحب ، لكنها لا تخون ، الشجر لا يخون الشجر)) ص٥٧. من هنا كان التحام البطل بما حوله : ((ازداد التصاقه بالشجرة ، عندما سرى اليه الدفء . وبدا معها كتلة شجرية واحدة .))

حتى العشق الذي يجمع بين ((خميس)) و ((سهيله)) يتحول الى نوع من الجبهة المقاومة العنيدة التي لا يفتت من عضدها لا الضغط ولا الارهاب . وتذوب في العشق كل المخاوف ويتحد المصيران ، ليواجها بشجاعة الموت العظيم ، ومع تعاظم الخطر واقتراب الموت يتم اتحادهما في لحمة لا تعرف الانفصال ((سرت في جسدها برودة السلاح، تاملته في وقفته المعتدة ، للمرة الاولى يداهمهما خطر واحد ، ودت ان يمتزجا تلك اللحظة معا ليصبحا كيانا لحميا واحدا . واجتاحها احساس عنيف بحب لا مثيل له لخميس)) ص ٦٢ .

هذا الاتحاد ما بين الروحين يتجسد اعمق التجسد عند اصابة خميس . ودت ((سهيله)) : ((لو انها بداخله لتشاركه الاحساس بالنزف وبعذوبة الموت معا)) . عندما تتوحد الاشياء وتندثر الحدود يبدو للموت طعم اخر ، انه طريق اخر للقيا .

استطاع الكاتب ان يبلغ في المقطع الذي يرسم استشهاد البطلين ، وفترة ما قبل الاستشهاد ، حد الروعة المعجزة ، بحيث يضحي النقد هنا من باب الاشياء النافلة ، لما في اسلوب الكاتب من براعة في فن القص والوصف والاستقصاء عن طريق اللمح ، والايحاء، والغوص في اعماق النفس حتى ان فنه القصصي يصبح دفقا شعريا من النوع الذي يصعب تصنيفه .

ونستطيع ان نوجز الفوارق بين الكاتبين في النقاط التالية :

١) تتدرج اقاصيص الحسيني في خط من التنامي التصاعدي، بحيث نلمح تطورا بنيويا من اقصوصة الى اخرى ، بينما تأتي اقاصيص ابو الهيجا بشكل انفلاشي ، يفتقر الى ترابط في السياق ، مما يقلل من التأثير العام للمجموعة ككل .

٢) نجح ابو الهيجا في تصوير حالات الغربة والحنين والاقتلاع التي خلفتها المأساة ، لكنه لم يستطع تجسيد واقع الرفض الجديد بكل تشعباته ، بينما نجح الحسيني في نقل الرؤيا الثورية المقاومة المناضلة بكل غناها وتوثبها وحرارتها ، مما اضفى على مجموعته هذا الطابع الحي المتدفق .

٣) امتاز الحسيني على زميله بتلك القدرة على الاداء ، وتلك السلاسة والطواعية في تصوير اكثر المواقف تشابكا وغنى وتعقيدا ،كل ذلك ضمن اطار من القص يتعدى نطاق الاخبار ليصعد الى مجالات الخلق الشعري المكثف بالايحاءات ، فيبدو الرمز والصورة الشعرية انبثاقا طبيعيا ، يفرضه الحدث . من هنا نجاح ((خميس يموت اولا)) في ابداع فن قصصي ملتزم ، دون السقوط في متاهات التشكيل المعقد الذي لمسناه في مجموعة ((الضرب في الرأس)) .

بيروت

حلمي سالم

مقدمة .. للغضب

ـ ١ ـ

تنفلت الليلة مهرة نار ، ميعاد جحيمي يزحف نحو شراييني كالريح المنفكة من زمن القيد وزمن العار.

ـ ٢ ـ

عرتني اوجاعي ، عرتني ، فتكشفت عن القاتم والناصع ، وتكشفت عن العاجز تحت ثيابي والقادر، وعن القاتل والمقتول . فآه يا دورة موتي خلقي جدبي مطري ، الليلة موتي يأتي خلقي يأتي ، أتشكل كيف ؟ عقيما وسكونيا سأكون ؟ ام النطفة بالخصب المنجب ستعمدني الصيرورة ؟

ـ ٣ ـ

مجزرتي مقبلة ، والشجر الواقف يتطاعن ! والوادي ممتلىء جثثا ودماء ! والشجر الواقف يتهاوى ! كيف يكون خلاصي ؟ هل في جسد امرأتي الدافىء ام في الركض الملتاث على جثث المطعونين ! اثبت يا مخي اثبت !! فطويلا رجراجا دغليا سيكون الميدان ! ويا قدمي الفصنين اندقا في الارض اندقا في الارض فلحظتنا الآتية جنون زلزالي ، واشحذ يا جسدي شهوتك المكبوتة للرقص رماحا وسكاكين فدامية ستكون الرقصة !

ـ ٤ ـ

هذي مملكتي المسبية ، تلك حقولك فائرة كالبطن الخصب ، وذلك قمحي ، عنبي ، ورجال يتخفون بسروال الذراع وشال الحصار الليلة يجنونك ثمرا وثيابا ! وانا عريان اتقلص جوعا فوق ينابيعك آه وانت البطن الفائرة الخصب ، وآه يا اوجاعي عرّيت المدثر فاختمري ما شئت اختمري ما شئت اختمري ، وانفجري قيحا في وجه القتله !

ـ ٥ ـ

لست ـ كريح الصيف البهتانة ـ وقتيا . زمن الارض انا ، وفصول الغضب ذراعاني وهذي مملكتي احرث ثدييها الضرعين غلالا ساخنة تتقلب تحت ضلوعي سرّتها الساخنة المتلئة . وذراعاي فصول الجوع فقولي الان : لمن سرّتك الساخنة المتلئة ؟

لا ترتجي صمتا او هربا ، ثدياك الضرعيان الليلة تحت حبالي ، هي لحظة شنق فاعترفي قبل جنون الحبل السكيني ولست كريح الصيف البهتانة وقتيا اني زمن الارض .

ـ ٦ ـ

كالارنبة المسلوخة تتلوى الدلتا في رئتي ، وفي حلقي يافا واقفة بالدم مضرجة ، وعلى صدري وشم حفرته بخنجرها زنبقة طردت من بند الاسلاك الشائكة وجرحا دخلتني ، ونمت في حمولا من تفاح يعرف فاسه المعطب ، وعظامي في النيل الجاهل لؤلؤة يحقنها الصياد الاسود بالصمت ، وموعد افراخي يقبل موعد افراخي يقبل موعد افراخي يقبل يا تفاحا حفرته على عنقي عاشقتي فانتفض الان مخاضا عصبي الرعشة وانطلق انتفض الان مخاضا عصبيا .

ـ ٧ ـ

اخرج يا غضبي مسنونا كالحربة . واشتعلي ـ يا مملكتي المنطرحة فوق زنود النخاسين حريقا، فأنا امشيك زمانا للحزن وللشهوات المجهضة وانت البطن الفائرة الخصب وحقلك ملكي، اعنابك زرعي، هذي الانهار الدفاقة عرقي الناضح من جلدي منذ مواسم لهثي المحموم بواديك ! فلا تسقيهم مني اني اكره من شربوك وحرموني .

ـ ٨ ـ

ساخنة رئتاي وعاشقتي ساخنة ، والمهرة في يافا مترهلة الساقين ومقصلتي مقبلة ، وعن اللعنة والطوفان تكشفت الليلة ، والليلة يتعرى فخذا سيناء لتجار قدموا من كل اقاليم النهش الشبقي فقولي الان : لمن سرتك الساخنة انفرطت ؟ قولي : سرتك الساخنة لمن ؟ في حلقي صخر الغابة ، وعلى صدر الصبية صخر ، وعلى الرمل الشرقي جماجم تزحف في ارصفة القاهرة وفي شرياني تزحف كالقيىء الدموي ودامية ستكون الرقصة دامية ستكون الرقصة دامية ستكون !

ـ ٩ ـ

حلت لحظة مقتي . لن يهرب احد هذي الليلة ، ها ادخل مملكتي المسبية فاصطفوا فوق الرمل امامي، لي فيكم ثأر يتلوى في بدني ، وانا لن آخذ عصفورتكم بجريمة صقركم الدموي الشدقين اصطفوا الان ـ على الجثث المدفونة في الرمل ـ امامي وارتعشوا رعش الموت ارتعشوا رعش الموت ارتعشوا .

هي لحظة غضب تتورم في كبدي تغلي في شرياني منذ زمان القحط الى زمن الطعنة في الظهر العاري ، والان برعب الحقد الجوع انفجرت . هذي لحظة سيفي .

القاهرة

حسن طلب

سوناتا الفوضى الزمكانية

قلمي يعرف كيف يداور
كيف يزاوج بين الحرف وبين الاخر
قلمي الساحر
يعرف كيف يغوص .. ،
فيستخرج من صدف الماضي لؤلؤة الحاضر
لكن قلمي لا يعرف كيف يفيق العالم من جهله
قبل شروق الشمس من الغرب .. ،
وقبل مجيء الدجال الاعور .. ،
حيث الاشياء تعود لجوف الارض .. ..
وكل جنين يرتد لاصله
يتكور يضؤل كالاسفنجة ... ،
تحت جدار الرحم اللزج الاملس .. ..
يصبح نطفه
النطفة ترتد صديدا يحمل فوق لزوجته ..
شبق (الذكر) ،
.. ووهوهة الانثى .. وهي تحس بدفء الخلق.. ،
الناشيء في الاعضاء ـ
بايقاع التكوين
وبرعشة ابداع السر الاكبر ..
حيث الجزء يعود الى الكل .. ،
يصير الشكل هو المضمون
ما كان وما سيكون
يتجمع .. ينصب كثيفا ـ كهيولى الخلق الاول ـ
في جوف وعاء الابديه
الجوهر والماهيه
يتحدان معا .. ..
والاشياء تعود الى سيولتها الاصلية

تتدفق .. تجرف في مجراها كل نفايات العهد البائد .. ،
كل جنين
يرتد صديدا .. صلصالا .. ذرة طين
تسبح فوق سديم الزبد الازرق ،
مع حبات الرمل .. وذرات الحمأ المسنون
وتعود لتدخل في فلك الصيرورة .. ،
في دوامات العشق الرباني اللهفه
حينئذ .. ..
تتفسخ كل عناصر هذا الكون
تندثر الالوان السبعة من قرص قزحي اللون
تنحل الصلة الوهمية بين الازمنة ـ الامكنة .. ،
وتنعدم الالفه
ويظل الموت هو الاصل .. ،
فكل وجود كان اسير اللحظة .. كل لقاء كان وليد الصدفـه
حينئذ . ... يتحد الانسان بظله
ويعود الشيء لاصله

* * *

قلمي الجائع .. قلمي الصديان
يسقط في دوامات العبث الازلي ـ الابدي .. وفي جب الزمكان ويظل وحيدا كالموت .. يغني البعث .. ويبحث خلف زوايا النسيان عن لحظة عشق مرت كالطيف .. وعن حب كان ..

القاهرة

د . ابو العيد دودو

الاسلاك الملتوية

كان كل شيء يسالني .. اهذا ما كنت تحلم به من وراءالمسافات؟ ويكرر السؤال مائة مرة ، وألف مرة ، ويشغلني عن الجواب ، بل يصرفني حتى عن التفكير فيه . كنت في تلك اللحظة اسير في حديقة المركز الذي كنت اسكنه ، وعذابي في لحظتي . وكانت اضواء المصابيح الباهتة تشيع حولي حزنا موجعا . لم أكن اسير وحدي . كان دمي يسير معي ، يتقاطر من انفي طورا ، ويتدفق طورا اخر ، فيخيل اليّ اني اسمع وشوشة دفقته .. او غناءها الشجي. لست ادري ، فقد كان التعب يثقل مشيتي ، وينبت الرصاص في اعماقي ، والارض تشرب من دمي باستمرار . أهذا ماكنت تحلم به من وراء المسافات ؟

وتوالى النزيف دون توقف .كنت اعاني منه ما يزيد عن ثلاث ساعات ، تتخللها فترات مختلفة الطول ينقطع فيها . كان ذلك شيئا يحدث لي لاول مرة ، والمسافات لا تزال تعيش معي . فلا هاتف ،ولا سيارة اجرة ، ولا صديق . اختفى الاصدقاء مع الليل ، وصاروا جزءا من احلامي ، وما الاحلام الا ابعاد مضنية . ذلك ما اكتشفته بعد لقائي مع الارض قبل شهر على التقريب . كنت خلال هذه الفترة اعمل واحيا على ذكرى ما كتبت .. دون ثمن محفز ، وكان العمل والذكرى معصرة . واليوم فاض دمي من انفي فتشكل ما عانيته من نزيف داخلي فوق صفحة وجهي، فاصبحت احمل طابع عصري علنا !

ووقفت على باب جناح ، يسكنه احد معارفي الجدد في المركز. كنت اعرف انه لا يستطيع ان يفعل شيئا ، لكنني .. بصفتي انسانا .. كنت في حاجة الى كلمة طيبة، لفظة رثاء ، حتى لا اشعر بوحدتي مع الدم . ودققت الباب ، فخرج ابو أمل ، وبكى لمنظري، واحاطني باحدى ذراعيه ، وحاول ان يسعفني دونما فائدة . وتركته واقفا بباب جناحه ، وابتعدت عنه ، وانا الاخر ابكي لمنظره المشفق .

واشفق عليّ الامل بعد لحظات . فقد وقف امامي غريب ، لم أره الا مرة واحدة ، وكان قد راى في ضوء المصباح الخافت ،الذي كنت واقفا تحته ، الدم يسيل فوق قميصي الابيض ، واستوضحني الامر ، ونطق بكلمات لا اذكر الا انها جعلتني اشرق بدمعي واعجز عن الجواب . لقد ابكتني عزلة المسافات ، وقسوة الابعاد . واحضر سيارته ، واخذني الى المستشفى .

حين رجعت من المستشفى كان طابع العصر قد تحول الى داخلي. فقد سد انفي بفتائل بيضاء ، غير ان الدم ظل يغمر حلقي ، فكنت اشعر بحرارته . ودلفت الى غرفة النوم ، فوجدت زوجتي لا تزال تبكي منذ ان تركتها ، ووصلت بكاءها مع الليل في الغرفة وفي فكري . وسرعان ما بدأ وجهي ينتفخ ويتضخم . وتحسست انتفاخه برؤوس اصابعي ، لاني اجرؤ على اشعال الضوء والنظر اليه في المرآة !

وكان طعامي خلال يومين كاملين ما ينحدر من دمي الى بطني. كنت اشعر على الدوام بتوتر في وجهي، فحال ذلك بيني وبين النوم ، فلم اكن اغفو الا لاستيقظ متألما .. واجلس في فراشي، وافكر في وضعي المتأزم . وكلما شعرت بوجع في بطني تصورت ان الدم قد بدا يتحجر في معدتي . وأتناول الدواء من يد زوجتي ، وكلانا يرثي للاخر . انها مثلي تعاني ايضا من ثقل المسافات . وقمت الى المرآة لارى وجهي ، فانكرته ، وحاولت ان اتبرأ منه ، لكن التوتر كان رفيقه ورفيقي !

وبلغ بي التعب في اليوم الثالث منتهاه ، فنمت حوالي منتصف الليل ، وما ان اخذني الكرى حتى انتشر النهار حولي ، وعم النور ذهني ، وصرت اشعر بوعي حاد لوضعي . ورأيت نفسي في غرفة معتمة رغم ما حولي من ضياء .فرغبت في النظر الى خارج الغرفة، ورحت ابحث عن منفذ اطلق منه بصري،لكن الظلام ازداد كثافة، وشعرت به يقترب من عيني،ويكاد يحول بيني وبين ما في جوانحي من ضياء .

وبعد حين لاحظت ، دون ان ادري كيف تم ذلك ، شكل انسان، في نافذة الغرفة ،تغطيه الواح صغيرة مستطيلة من الدم ، ارتسمت بصورة شبه عامودية ، وقد اكتنف حمرتها سواد خفيف .ووجدتني خائفا من هذا الشكل الانساني ، وتراجعت نظراتي عنه ،ولكن اصراره على الوقوف في منفذ النور امام عيني ، اغراني في النهاية بمداومة النظر اليه ، فاخذت ابحث عن وجهه ، عن ملامحه ، عن مكان قلبه .. عن ضميره قبل كل شيء . كنت أظن انه لم يتخذ شكل انسان الا لان له خصائص الانسان ،غير اني لم ار شيئا من هذا كله .

واحترت في امره ، وكبر خوفي منه . واحتفظ بوقفته دون ان تصدر عنه اية حركة ، وفجأة مد يدا خشبية ، تشبه يد الانسان الالي ، لم اتبين نوعية علاقتها بشكله ، ورفع خشبة مستطيلة في الجانب الايسر من وجهه ، فلمحت حينئذ عينه . كانت هذه عبارة

عن كرة من بياض ، ومع ذلك كان يخرج منها شيء كالاسلاك الملتمعة . وعلى الرغم من اني كنت اجهل في تلك اللحظة موقع فمه من تلك الكتلة الدموية ، فقد توقعت ان يقول كلمة ما ، لكنه ظل صامتا . ومضت بضع دقائق بدا لي خلالها ان اسلاكه الملتمعة تنتصب لتتخذ صورة الرماح ، ثم دوى فجاة صوت ، لم ادرك مصدره ، وتردد حولي :

ـ الكلمات رماح .. وبنو عمك فيهم ..

وركب ذلك الشكل الظلام واختفى بسرعة ، وكلماته تفقد صداها شيئا فشيئا وتغدو كالانين . ونهضت من فراشي ، بعد ان عاد الضوء يعم الغرفة ، واتجهت الى النافذة ،وفي نيتي ان اتبعه ، فقد اعتبرت كلماته دعوة لي ! وعثرت في حافة النافذة على لوحة صغيرة ، لم اشك في انها كانت ضمن شكله . فرفعتها ونظرت في هيئتها ، فلاحظت بجانب منها كلمة مكتوبة بحروف رقيقة .. هي كلمة .. الاخوة . فتلفظت بها في الم . ربما لان اللوحة كانت تحمل سمة الاخاء .. ولانها اتخذت شكل الرمح دون ان يكون لها مساؤه .

وشددت على اللوحة ،وسرت في طريق مستقيم ، تصورت ان ذلك الشكل الدموي قد سلكه . وشدتني من بعيد بناية كبيرة ، كان بابها الابيض الوديع يسبح في اضواء باهرة ، وكان اهتزازه كانه يومىء لي ان تعال . وحين وصلته انقطع عن حركته ، فاجتزته ولوحة الاخوة في يدي . واذا بي اجدني على عتبة درج كبير ، بجانبه مصعد فخم. وعرفت في الحين اني في مستوصف حديث. وبدأت اصعد الدرج ، وانا انظر حولي مبهورا بمعالم الحداثة في داخل البناية . وقد جلب انتباهي منذ البداية ان الباب لم يكن به حارس ، فاعتبرت ذلك علامة بشرى .. وتابعت طريقي .

وقابلتني عند نهاية الدرج في الطابق الاول غرفة بابها مغلق، فقررت ان ابدأ جولتي منها . لقد كان هدفي واضحا . ودققت الباب بهدوء . فلم يكن من حقي ان ازعج مرضى المستوصف !وانتظرت لحظة ، ثم وضعت يدي على مقبض الباب ، ودفعته الى أسفل ،فانفتح الباب ، فقرات فوق الجدار في نهاية الغرفة كلمة ((الانتظار)) وقد كتبت بحروف كبيرة ، كانت تغطي مساحة الحائط . وان هي الا لحظة حتى رأيتها تتحرك ، وراحت تثب بعد حين في جو الغرفة وتطير بسرعة مذهلة . وكلما اصطدم حرف باخر ند عن ذلك الاصطدام صراخ مرعب :

ـ لا اريد ان انتظر !

فاسرعت اغلق الباب ، واقف في الممر من جديد . لقد اخافتني ثورة الانتظار ، ولم ادر ان كان ينتظرني انا بالذات .. فعلاقتي به لم تكن في يوم من الايام متينة! المهم انني فررت منه ، مع ان وجهي المنتفخ قد يروق له! وانتقلت الى الغرفة التالية ، فاستقبلتني وظيفتها عند الباب . كان الباب مغطى بطبقة كثيفة من الاوراق، واستطعت ان ارى من خلال نافذة الغرفة ان الجدران بدورها مغلفة باوراق ، اختلفت احجامها واشكالها ، والوانها ، فجعلتها ذات منظر عجيب . وقفت اذن امام مكتب المستوصف !

لم المح احدا داخل المكتب ، فشعرت بلهفة لرؤية انسان ما ، ولذلك دفعت الباب وانطلقت الى داخله ، فقد اجد ما ابحث عنه في زاوية من زواياه . قد يكون هناك شخص ،اخفى راسه في خزانة من الخزانات ليستخرج من اعماقها شيئا له علاقة بعمله ! لكن رجلي تعثرت في كومة من الاوراق ، فوقعت على وجهي قرب الاوراق المتناثرة فوق الارض .. لتضاف الى ما كان مستقرا فوقها من قبل. ويبدو ان دخولي المفاجيء قد اهاجها فراحت تتساقط فوقي ،لتحول بيني وبين أن‌اتقدم خطوة اخرى !

كان هدفي واضحا . كنت ابحث عن انسان يرشدني الى طبيب يوقف سيلان دمي . كنت اتصور العثور على طبيب في مستوصف : امر في منتهى البساطة ! وكم كنت مخطئا ، فقد اغرقني الكتب في كوم الاوراق ولم يقدني الى هدفي ، اتراه هو الاخر مجردا من الهدف ؟ اخذت ادفع الاوراق عني ، وتحاملت على نفسي ونهضت ، وانفي يؤلمني بشدة اكثر . واحتضنني الممر مرة اخرى . فلا زلت آملا متطلعا . هناك بعد غرف متعددة . لا بد ان اجد فيها كاتبا او ممرضا .. او طبيبا .

وطالعني في باب الغرفة التالية عنوان ، انقبضت له نفسي انقباضا كبيرا . لقد كانت مرسومة فوقه كلمة((الرشوة)) فادرت وجهي عنها ، لاني كنت مدركا لوضعي . فانا اعمل موقتا دون مقابل. والتفت الى الغرفة المقابلة ، فقرات على بابها ((القرابة !)) فابتعدت عن هذه ايضا . ليس لي شيء من ذلك في هذا المجال . وخطر ببالي في تلك اللحظة يمين ابقراط ! لكنني لم اطل التفكير في هذا الامر ، فقد صرفتني عنه عناوين اخرى ، كانت تسلط اضواءها على وجهي ، لتخفي ملامحه السوية في اصلها ! فشرعت اتلوها بصوت خائف ، وكانت على التوالي : القلق ، الخوف ، التوتر ، النزيف ، التبلد ، الهوس ، الانهيار.. الجمود .

وكانت اخر غرفة ، تقع في زاوية صغيرة بعد الممر مباشرة في مقابل الدرج ، تحمل عنوان ((الراحة النفسية !)) واعترتني هزة لرؤيتها ، ودفعني نحوها شوق عارم ، فمددت يدي لافتا ، وانا اردد : ما احوجني اليها . ثم تذكرت انها مرتبطة ايضا بصحتي الجسمية ، وذلك ما جعلني اتردد قليلا في فتح الباب ، واحاول ان القي على وضعي نظرة شاملة . وشعرت بصورة ملحة اني في حاجة الى ان اعود الى قلمي واكتب اي شيء على الاقل ، فالتوقف يعني بالنسبة لي الموت الفكري . وقررت اخيرا ان افتح الباب واندفع بكل قواي الى .. الراحة النفسية . الا اني وجدت بابها مغلقا !

وجلب انتباهي ممر اخر ، يتجه نحو اليمين ، ويقع في مقابل الدرج الذي يصعد الى الطابق الثاني ، وقد كتبت على مدخله بحروف غليظة كلمة ((الطموح)) . وجدتني اتساءل .. هل هناك طموح بالنسبة لي غير الراحة النفسية التي وجدت بابها مغلقا ؟انها مطمحي .. فهي التي تتيح لي ان اكون منتجا في ميداني الخاص .. ولكن مع توفر الصحة الجسمية . وهذا سبب كاف لدخولي الى جناح الطموح. وهكذا دفعت الباب بكتفي ودخلت . فماذا وجدت ؟

كان الجناح كله عبارة عن مستودع لردم الاوراق والملفات المغبرة، ولم تكن بهذا الممر غرفة واحدة ، ولكن كان به حوالي خمسة نوافذ ، تطل كلها على حديقة المستوصف المزدهرة . ولم اجد ما يغريني الى التوقف فيه طويلا ، فقد كان جوه خانقا الى حد فظيع . وبادرت بالخروج من بابه المقابل . وحين اقتربت من الدرج لاحظت الى جانبه مصعدا ، كتبت على بابه كلمة ((الطبيب)) وبجانبها سهم يشير الى اعلى . فركبته في الحال ، وصعدت الى الطابق الثاني ، والامل يخفف من حدة انتفاخ وجهي . غير اني بدأت اشعر بالتشاؤم بمجرد ان تلقفني ممر في الدور الثاني ... اذ لاحظت فوق احد الجدران كلمات كثيرة ، كتبت بشكل هرمي ، منها : الاهمال ، انعدام الشعور بالمسئولية ، التلاعب ، التواكل ، المحسوبية ، الوصولية .

واجهدت نفسي في التغلب على تشاؤمي ، ودخلت اول غرفة ،

فاذا هي مكتب جميل . لم يكن يحتوي على الاوراق فقط . كان به مكتب ، فوقه هاتف ابيض اللون ، وبه خزانة للادوية وآلات الفحص، وطاولة للفحص . لقد اعاد منظره الامل الى نفسي . كان المكتب خاليا ، هذا ما لاحظته لاول وهلة ، ولكن احتواءه ، على آلات حديثة كان يعني ان الانسان على مقربة من هذه الالات ، يستفيد منها ويفيد بها غيره . ولم اشك في انه منشغل بآلة ما في مكان ما لا يبعد كثيرا.

وانتقلت الى الغرف المجاورة ، وبحثت طويلا دون جدوى . والغريب ان ابوابها لم تكن تحمل اي نوع من الكتابات ، مع انها لم تكن تختلف في مظهرها الخارجي عن الغرف التي كنت قد مررت بها في الطابق الاول . وتبين لي في النهاية ان الممر نفسه مسدود . ولما دخلت اخر غرفة فيه اسلمتني الى غرفة ثانية ، وهذه الى ثالثة ، ثم رابعة وهكذا . واخيرا وجدت نفسي في قاعة كبيرة ، عرفت بسرعة انها قاعة العمليات الجراحية . كانت تحتوي على مصابيح كبيرة ، وطاولة مستطيلة ، وبجانبها اخرى صغيرة فوقها عدد من المباضع والملاقط والعلب المعدنية ، وآلات التخدير وخزانة للادوية المختلفة .

لم انس اني كنت ابحث عن انسان ما ، بغض النظر عن الوظيفة التي يشغلها في المستوصف . ولذلك غادرت غرفة العمليات من بابها الاخر ، فأفضى بي بدوره الى مكاتب وغرف اخرى ، كانت نظراتي تلصق بجدرانها وواجهات نوافذها كلمة .. الياس . كانت هناك ابواب متعددة ذات طابع واحد ، تنتصب امامي وعن جانبي . وكثر انعكاس نظراتي فوقها ، وانا اكتفي بالنظر الى هذا وامر من ذاك . ومع ذلك حاولت ان اطرد اليأس عني ، فقد يفجر دمي بشكل اغزر . واشركت سمعي في عملية البحث هذه ، فاخذت اصغي ، علي اسمع همسة او حركة ، فقد اصبح الصمت المطبق وسط الاضواء الكثيرة امرا لا يطاق، فهو يفتح المجال لتسرب اليأس من جديد الى صدري وحركاتي .

واخيرا خرجت من احدى تلك الغرف ، وانا لا اعلم موقعي من المستوصف ، فجابهني باب كبير ، وضعت فوقه لافتة ، تحمل كلمتين، كتبتا فوق مساحة خضراء ، هما « قيمة الانسان ! » واذكر ان منظر اللافتة ابهجني الى ابعد حد . جلست فوق الارض لاستريح انعم بالتامل في شكلها البهيج . وقبل ان اجتاز الباب تاكدت من انطباع صورتها في ذهني ، فسوف تدلني عند عودتي على الاتجاه ، الذي ينبغي لي ان اسير فيه ، كما دلتني الان على اني ساجد خلف الجدار، الذي يحتضنها ، ضالتي . وهتفت .. فلانطلق اليها !

دفعت الباب بلطف ودخلت . وفي الحال شعرت ان شيئا ينهار في صدري .. وتراءت امام عيني صورة قلب يحترق على الطريق . ونسيت ان لي وجها مشوها ، فضربت فوقه .. من شدة احساسي بالحسرة والالم .. بكلتا يدي ، فوقعت لوحة الاخوة من يدي . وانحنيت ارفعها بيد بينما ظلت يدي الاخرى تمسد مكان الضربة لتخفف من حدة الوجع . لقد استقبلتني قاعة فارغة تماما ، لم يجلب انتباهي فيها سوى ما كان يبدو على جدرانها من الق وبهاء !

كان علي اذن ان اواصل بحثي ، وان اتخطى تلك القاعة ، فقد تكون بداية المنطلق ، وقد يسقط ناظري خلفها على اثر ما لانسان . وبدأت رحلة مريعة . فقد اتضح لي بعد حين ان الغرف والمكاتب اخذت تضيع مني تدريجيا . اصبحت قليلة الوجود ، ولم اعد ارى امامي سوى السلالم والنوافذ ، نوافذ صغيرة ، لا تصلها اليد ، وسلالم مقوسة في اعلاها كأنها تتحدى بعضها بعضا بصدورها المنتفخة. واغرب ما في الامر ان المسافة بين السلم والسلم لم تكن تتجاوز بضع خطوات .

انطلقت اصعد واهبط ، واهبط واصعد ، وانا اتحرق شوقا الى معرفة ما وراء تلك النوافذ الضيقة ، ما دامت السلالم تتقابل ويتلقى احدها صدى الاخر . وكنت امني نفسي باني ساجد حتما نافذة قريبة من راسي اطل منها واتنسم هواء اخر ، فقد كنت الج النهار خلفها . لكن السلالم راحت تسحبني بعيدا بعيدا ، واختفت النوافذ من فوق راسي ، ولم تبق غير الجدران والسقوف، والسلالم تجرني وتجرني ، كما لو ان الامل في نهايتها . وتساءلت .. واين نهايتها ؟ أهي المسافات تتجسد من جديد ؟

تيقنت في النهاية اني ضائع لا محالة ، فتخلصت من شد السلالم لي ، نفضت ما بقي من امل ، وعدت ادراجي بسرعة . لا بد ان اصل الى العلامة التي تركتها خلفي .. على بعد لم ادر مقداره . لن ينقذني بعد الا تلك اللافتة ، الا قاعة « قيمة الانسان » ! وحثثت خطاي ، يلفظني سلم ، ويلتقفني اخر ، دون ان ادري في اي طابق انا . وصعب علي ان اعثر على علامتي في ذلك التيه ، ففزعت .. صرخت .. بكيت .

واخذت نظراتي تخط فوق الجدران سؤالا كبيرا .. كيف اخرج من هذا التيه ؟ وتقدمت في حذر ، واذا بسلم يلقي بي في ممر طويل، انتصبت على جوانبه أصص الورد والزهر والخضرة . احسست عندئذ ان الاختناق ، الذي كنت احس به قد زايلني ، وخطر ببالي ما خبرته قبل ذلك من تيه ، ففضلت ان اضيع بين تلك الاصص .. لارتوي معها .. فلم يعد الخروج بالنسبة لي شيئا مصيريا !

وجلست قربها ، وشغلت نفسي بالنظر اليها ،وبعد مرور ثوان شعرت بحركة في نهاية الممر ، فرفعت راسي .. وداهمتني دهشة . لمحت شكلا انسانيا يتحرك نحوي . وعرفته في الحين . لم يكن وحده في هذه المرة ، كان خلفه حشد من الاشكال الدموية . وحين اقترب مني كشفت نظراتي عن ملامحه . كانت الاسلاك لا تزال تلتمع في عينيه رأيت عينيه في هذه المرة بكل وضوح . وفكرت .. لعل لوحة الاخوة ، التي حملتها معي ، كانت قد سقطت من فوق عينه الاخرى . التقطتها من بين الاصص وقدمتها له ، فلمسها بيده ، ثم اعادها الي ، واذا بها تكتسب من لمسة يده مضاء الرمح .

وظل واقفا ينظر الي ، فشعرت ان اسلاكه تضيء اعماقي ، وكأنه احس بعد ذلك باحساسي ، فقد رأيته يبتسم ، والكلمات تحوم حول فمه ، كان موقع فمه واضحا ايضا ، وقال ، وهو يشير الى رفاقه :

ـ هؤلاء بنو عمك . لقد عرفوا المسافات ايضا ، لكن الارض احالتها وردا وزهرا ! قم ! تعال معنا !

قلت :

ـ صارت المسافات مجرد ذكرى . فبنو عمي فيهم ..

وقبل ان اكمل جملتي ، امتدت من عيون الحشد الكثيرة اسلاك ملتمعة ، وكلمات مشرعة ، والواح مضيئة ، اتخذت كلها شكل الرماح. وحين نهضت ووقفت بينهم وانا ادمي مثلهم ، رأيت السلالم والسقوف تتجمع لتقع على راسي ، فلم اخف منها .. لم نخف منها . تلقتها رماحنا المشرعة ، وتعانقت الواح الاخوة ، فاخضر الممر حول وتحت اقدامنا ، وصفت وجوهنا .. وتلاحمت زنودنا .

* * *

واستيقظت من نومي ، الذي كان ، فيما بدا لي ، قد طال ، فوجدت ابا امل منحنيا فوق سريري ، وهو يقول ويده ماسكة بيدي:

ـ قم ، يا اخي . اليوم ربيعي ، ينشر الدفء والبهجة .

قلت مبتسما ، وقد سرني اني لا ارى شكل ابتسامتي :

ـ والزهر يعم الحقول حول مركزنا .

وجاءتني زوجتي بالدواء ، فتناولته على مضض ، ثم خرجت مع ابي امل الى الحديقة ، وهو يسندني بيده ، وصور المستوصف تطاردني !

الجزائر ، بن عكنون

ناجيه عاقل مراني

الحب بين تراثين

التروبادورز الفرنسيون والعشاق العذريون

٤
الرجـل
دراسة مقـارنة

حين نكتب عن الحب (*) ونتحدث عن دور المرأة فيه ، فنحن نفعل ذلك بوحي مما قاله الرجل . فالرجل هو الصوت الذي نسمع من خلاله همسات الارواح وخفقات القلوب ، هو المنعم والمتنعم ، ينصب المرأة ملكة وينتظر ان تهبه ما تملك ، يتعبد في محرابها وينتظر ان تدخله الجنة ، وهو في انتظاره وفي تعبده ودموعه واصطباره ، في لحظات صفائه وليالي شقائه ، يغني فتغني معه البشرية . هو شاعر يحول الاهات والدموع والبسمات الى قصائد تخلد فتمنحه الخلود . ان ما ذكرناه في معرض حديثنا عن ازدواج طبيعة الحب ، لنابع من طبيعة استجابة الرجل ومن مواقفه تجاه ذلك الحب ، وتلك الاستجابة ذات جانبين يتمم احدهما الاخر . فجانب يتمثل في رغبة الرجل لامتلاك المرأة جسديا ، وجانب يتمثل في السمو عن ملذات الجسد(١). والجانبان كلاهما وارد في التراث الاوربي وفي التراث العربي الذي سبقه .

اما الجانب الجسدي فتكشف عنه اقوال المحبين في تصوير جمال المرأة كما رأينا . فالجمال سبب الحب وداعيه الاول ، اذ يخلب لب الرجل سهم من عيني امرأة جميلة ، وتسحره ابتسامة من شفتيها. يقول التروبادور غليوم دي كابستانغ في هذا المعنى :

حين رأيتك لاول مرة ، او حين سمحت لي ان اراك يا سيدتي ، نسيت ما كان من أمري ،اذ علقت رغباتي كلها فيك ، وتمكن الشوق من قلبي بابتسامة حلوة ونظرة ، فجعلني انسى كل ما هو كائن عداه . (٢)

اما بيرول فهو يعرب عن المعنى نفسه حين يقول :

لقد غمرني السرور وانا انظر اليها لاول مرة ، وما كان باستطاعتي ان استعيد القلب الذي سلبته ، فقد كان معها منذ ذلك الحين وما زال . (٣)

وهناك تروبادور يتشكى من عدوين تآمرا للقضاء عليه هما قلبه وعينه ، فعينه رأت وقلبه هوي كما يقول :

شريران قد تآمرا ضدي وهما يعملان ليل نهار للقضاء علي هذان العدوان هما قلبي وطرفي ، فقد جعلاني اشتهي التي ليست لي . (٤)

ويتناول جوسر هذا المعنى فيخبرنا ان نظرة كرسيدا قد اثارت الحب والرغبة في قلب ترويلس ، وطبعت فؤاده بطابع الهوى الذي لا يزول . يقول جوسر :

And of hire look in him then gan to quyken,
So gret desir and swishe affeccioun
That in his hertes botme gan to sticken
of hir his fixe and depe impressioun .
(I, 225-28)

وحين كتب اندريس كتابه عن الحب اشار الى تلك الحقيقة فقال: « يحدث غالبا ان الحب يتمركز في القلوب نتيجة النظرة الاولى » . وذكر في مكان اخر من الكتاب : « حين يبصر الرجل المرأة اللائقة بحبه والمصورة كما يتطلب ذوقه ، يشتهيها قلبه في الحال . » (٥)

هذا بعض ما ورد في التراث الاوربي عما يسببه النظر الى المرأة الجميلة من اثارة للشوق والرغبة في قلب الرجل . اما في التراث العربي ، فعلى الرغم من وجود ما يشير الى ان بعض قصص الحب بدأت والعاشقان صغيران ، الا ان معظم الروايات ، ـ وحتى ما يتعلق بمجنون ليلى نفسه ـ تشير الى ان الرجل يرى من هي اجمل النساء واظرفهن فيعلقها قلبه . (٦) والشعراء العشاق يحدثوننا عن سهام العيون التي تجرح وتدمي الافئدة . وقد تناولت اشعارهم في هذا الباب المعاني التي وردت في الشعر الاوربي فيما بعد ، فجميل يذكر ان بثينة قد اسرت فؤاده بنظرة وابتسامة حيث يقول :

صادت فؤادي بعينيها ومبتسم كأنه حين ابدته لنا برد

ويتحدث عن السهم الذي ادمى القلب من غير ان يترك آثاره على الجلد ، فيقول :

(*) راجع القسمين الاول والثاني من هذه الدراسة في عددي « الاداب » الماضيين .

(١) Lewis , op. cit . , 18, Singer , op. cit ., 129 .
(٢) Kirby , op . cit , 293 .
(٣) Tbid ., 294 .
(٤) Valency , op . cit ., 152 .
(٥) Andreas , op. cit ., 29 .
(٦) الاصفهاني ٧، ١٤٥ ، ٨ ، ٧١ ، ١ ، ٨٣ ، ٢٠ ، ٢١٩.

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر
ظواهر جلدي فهو في القلب جارحي (٧)

ويخبرنا العباس بن الاحنف عن النظرة التي كانت فاتحة بلائه وسبب شقائه فيقول :

ومستفتح باب البلاء بنظرة
تزود منها حسرة اخر الدهر
فوالله ما يدري اتدري بما جنت
على قلبه ، او اهلكته وما تدري (٨)

ويتحدث الشاعر نفسه عن سهام العيون التي خلفت القلب جريحا واورثت الجسد السقام فيقول :

ايا لك نظرة اودت بقلبي	وغادر سهمها جسمي جريحا
فليت اميرتي جادت باخرى	فكانت بعض ما ينكا القروحا
فاما ان يكون بها شفائي	واما ان اموت فاستريحا (٩)

اما ابن زيدون فيخبرنا عن النظرة التي كانت على موعد مع الموت ، اذ انها علمته كيف يحب وكيف يموت من الحب :

اما الضنى فجنته لحظة عنن   كانها والردى جاءا على قدر
فهمت معنى الهوى من وحي طرفك بي
ان الحوار لمفهوم من الحور (١٠)

ويحدثنا الشاعر العربي كصاحبه الاوربي ، عن العدوين اللذين يتآمران على حياته فيتلفانها ، اذ يقول :

انا ما بين عدوين هما قلبي وطرفي
ينظر الطرف ويهوى القلب والمقصود حتفي (١١)

ويفرد ابن حزم الاندلسي بابا من كتابه وهو (باب من احب من نظرة واحدة) يقول في مستهله : « وكثيرا ما يكون لصوق الحب بالقلب من نظرة واحدة . » (١٢) وحين يلصق الحب بالقلب، تتاجج فيه الرغبة والشوق الى الحبيب ، ويعبر العشاق عن اشواقهم باكين ساهرين ، ومتطلعين الى فرصة اللقاء التي تبل الاكباد وتشفي الافئدة. يقول التروبادور بالازول ان الشوق الى المراة التي يحبها قد طغى واستحوذ عليه فلم يعد يابه للابتسامة الحلوة والظرف واللياقة والتعقل ، لانه طامح ومتطلع الى المزيد :

الحكمة واللياقة والظرف والابتسامات الحلوة ، هذه الاشياء التي كانت تجد لها مكانا في قلبي ، لم تعد تسرني كثيرا ، ما لم تتعطفي فتقبليني قبل ان اموت من الشوق الذي يهاجمني ويطفي. (١٣)

وبرنارد يخبرنا ان الشوق يكاد ان يقتله ، اذ يجسم له ملذات الهوى في حين ان نوالها ليس بالمؤكد ، فهو يقول :

شوقي العارم يقتلني ، انه يجسم لي متع الحب المغرية
ولا يراعي ان كان الحبيب سيوليها نظرا ام لا . (١٤)

ويصرخ الشاعر مستغيثا متوجعا من حرقة الشوق فيقول : « اواه ، ها اني اموت من الشوق . » (١٥) ثم يسال حبيبته قبلة واحدة لعلها تطفىء النار المتاججة في حشاه :

يا سيدتي الجميلة الطيبة ، هل من مناسبة تمنحينني بها قبلة واحدة ، ان لم تكن من اجل شيء ، فلانني متشوق جدا . (١٦)

وان نحن عدنا الى تراثنا العربي لوجدنا اشياء مماثلة قد قيلت . فجميل يشكو الظما اللاهب الذي لا يبله الا ريق الحبيبة ، فيقول :

الا فاعلمي يا عذبة الريق انني   ابيت اذا لم اسق ريقك صاديا (١٧)

ويصور جميل في مكان اخر صورة من الصحراء تعبر عما يقاسيه من حرارة الشوق ومرارة الحرمان فيقول :

وما ضاريات حمن يوما وليلة	على الماء يغشين العصيّ حواني
لواغب لا يصدرن عنه لوجهة	ولا هن من برد الحياض دواني
يرين حباب الماء والموت دونه	فهن لاصوات السقاة رواني
باكثر مني غلة وصبابة	اليك، ولكن العدو عداني(١٨)

اما كثير فيحدثنا عن ديونه المطولة ابدا ، وعنائه في انتظار الحبيبة التي ابت الا المماطلة . ونعلم من رواة الاخبار ان تلك الديون لم تكن سوى قبلة كانت عزة قد وعدته بها . يقول كثير :

قضى كل ذي دين فوفى غريمه   وعزة ممطول معنى غريمها
فهل تجزيني عزة القرض بالهوى
ثوابا لنفس قد اصيب صميمها (١٩)

ويخبرنا ابن الاحنف ان شوقه قد بلغ مدى لا يعلمه الا الله ، ثم يستصرخ الحبيبة طالبا الرحمة بل الغلة ، فيقول :

واشتاق ، فلا يعلم الا الله ما القى
الا من يرحم الظمآن يستسقي ولا يسقى (٢٠)

هذا الحب والشوق والرغبة مع الحرمان ، كلها اسباب داعية الى كآبة المحب وغمه وسهره ودموعه وفقدان رشده وغيرها من علامات ومظاهر شائعة بين المحبين في الغرب والشرق معا ، نتيجة لما يلاقون في حبهم وما يقاسون من بعد وحرمان . يقول برنارد واصفا آلامه وسهده :

لا اعرف كيف افر من هذه الافكار المؤلمة التي تنتابني وتجعلني اجافي رقادي،فاقضي الليل اتقلب على سريري او ادور حوله (٢١) .

ويمضي برنارد فيصف آهاته ودموعه والامه قائلا :

اتاوه وابكي من قلبي ، فحبها غرس الالام في صميم روحي . (٢٢)

ويخبرنا الشاعر نفسه ان ما قاساه في الحب لم يسبق لغيره من العشاق ان لقي مثله ، فيقول :

لقد تحملت الكثير من آلام الحب ، وقاسيت اكثر مما قاساه تريستان في حب ايسولت الشقراء . (٢٣) .

اما الام ترويلس ودموعه وسهره ومرضه فعلامات ميزته وجعلته في عداد مشاهير العشاق كمن سبقه ، يقول جوسر واصفا حال ترويلس بعد ان رماه سهم الحب فاصابه :

And fro this forth tho refte hym love his slep ,
And made hym mete his foo and ek his sorwe
Gan multiplie , that , whoso tok hep ,
It shewed in his hewe both eve and morwe .
(I, 484-87)

ويشترك العشاق جميعا بتصوير انفسهم وكانهم اسرى او كان حبائل نصبت فاصطادتهم ، فجوسر يجعل بطله ترويلس يلوم نفسه، تلك النفس الحمقاء التي اوقعته بالمصيدة وقيدته بقيود الحب التي

---

(٧) ديوان جميل بثينة ، ٤٠ ، ٢٣ .
(٨) ديوان ابن الاحنف ، ١٦٦ .
(٩) ديوان ابن الاحنف ، ٩٤ .
(١٠) ديوان ابن زيدون ، ١٥ .
(١١) روضة المحبين ، لابن قيم الجوزية ، ١١٠ .
(١٢) ابن حزم ، المصدر المذكور ، ٢ .
(١٣) Newcombe , op . cit ., 63 .
(١٤) Bernard , op. cit ., 115 .
(١٥) Ibid ., 174 .
(١٦) Ibid ., 123 .
(١٧) ديوان جميل بثينة ، ١٢١ .
(١٨) ديوان جميل بثينة ، ١١٠ .
(١٩) البغدادي ، المصدر المذكور ، ٢ ، ٢٨٢ .
(٢٠) ديوان ابن الاحنف ، ١٧ .
(٢١) Bernard , op . cit . 21
(٢٢) Ibid ., 134 .
(٢٣) Ibid ., 171 .

لا يستطيع الفكاك منها ولو عذله جميع الناس :

He seyde , O fool , now artow in the snare ,
The Whilom japedest at love feyene !
Now artow hent , now gnaw this owen cheyne !
Thow were ay wont ech lovere reprehende
Of thing from which thou kanst the nat defende .
(I.305-10)

وبرنارد يتفانى في حب المرأة التي صنعت سجنه واورثته الالم ، فيقول :

اعانق حبها الذي اسرني ، واتفانى من اجلها ، تلك
التي صنعت سجني الرهيب . (٢٤)

ويقارن برنارد نفسه بسمكة دفعها حمقها الى الوقوع في شبكة الصياد فيقول :

كسمكة دفعها الطيش والحمق الى الطعم ، فما شكت بشيء
حتى علقت بالشص ، هكذا تركت نفسي ولم احذر
حتى رايتني في لهب يحرقني ، كاقوى ما يكون عليه لهيب . (٢٥)

ويؤكد المحبون ان الام الحب مهما قست ، وصبرهم مهما طال ، فهم لا يتخلون عن حبهم ، ولا يريدون الفكاك من اسرهم ، فيقول برنارد :

لن اتخلى عن الحب مهما اقاسي من آلام ومهما اتحمل من مصائب . (٢٦)

ويتحدث بالازول الى الحبيبة فيخبرها انه راض باسره ، ولن يدفع الفدية ليخرج ، اذ هو يفضل البقاء سجينا :

لقد اسرتني ، ومع هذا فلا تطمعي يوما بفدية ، لانني
افضل ان ابقى اسيرك ، ولو اني ما عرفت قبلي
اسيرا لا يصبو الى الحرية . (٢٧)

هذه المعاني والصور التي احتواها التراث الاوربي لها ما يماثلها في تراثنا العربي ، فالعاشق ـ كما صوره لنا التراث ـ يقاسي آلام الحب واوجاع الشوق وتباريحه ، واصفا لنا آهاته ودموعه وسهره وسقمه ، ومصورا السجن والاسر والقيود التي يكابدها ، والتي لا يهوى مفارقتها ، تماما كما يفعل العاشق الاوربي . فقيس بن ذريح يقول في ابيات من قصيدة له شاكيا وذاكرا ما يلقى في سبيل لبنى :

نهاري نهار الناس حتى اذا بدا
لي الليل هزتني اليك المضاجع
اقضي نهاري بالحديث وبالمنى
ويجمعني والهم بالليل جامع
وللحب آيات تبين بالفتى
شحوب وتعرى من يديه الاشاجع
وجانب قرب الناس يخلو بهمه
وعاوده فيها هيام مراجع
كان بلاد الله ما لم تكن بها
وان كان فيها الخلق ، فقر بلاقع (٢٨)

وجميل بن معمر يصف لنا حرقه وزفيره ، ويتحدث عن سهره ودموعه ، وهو في كل ذلك يتوجه الى الله شاكيا اذ عجز عباد الله عن الاستجابة الى شكواه ومساعدته على بلواه ، فيقول :

الى الله اشكو ما الاقي من الهوى
ومن حرق تعتادني وزفير
ومن كرب للحب في باطن الحشا
وليل طويل الحزن غير قصير
سابكي على نفسي بعين غزيرة
بكاء حزين في الوثاق أسير (٢٩)

ويتحدث جميل عن حبائل بثينة التي صادت فؤاده ، وعن حبائله هو التي اخطات الهدف فتركت الحبيبة طليقة ، فيقول :

صادت فؤادي يا بثين حبالكم يوم الحجون ، واخطاتك حبائلي (٣٠)

ويقول في مكان اخر مقارنا اسره في الهوى باسر ذلك الذي اقتيد ويداه مغلولتان اذ ان كلا منهما لا حول له ولا هو قادر على دفع الاذى عن نفسه . يقول جميل :

الا قاتل الله الهوى كيف قادني كما اقتيد مغلول اليدين اسير (٣١)

وجميل اذ يذكر العشاق الذين قضوا وجدا من قبله ، يجد ان هواه قد فاق هواهم وصبابته قد تعدت حدود صبابتهم ، فهو يقول :

قد مات قبلي اخو نهد وصاحبه مرقش واشتفى من عروة الكمد
وكلهم كان من عشق منيته
وقد وجدت بها فوق الذي وجدوا (٣٢)

اما المجنون فيشبه هلع قلبه وذهاب لبه مع قلة حيلته وضعف وسيلته عند فراق ليلى ، بحال قطاة علق جناحها بشرك وهي تحاول عبثا الفكاك منه :

كان القلب ليلة قيل يغدى بليلى العامرية او يراح
قطاة غرها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح (٣٣)

والمجنون ،وهو في حالته التي وصفها ، ان شابه القطاة لما وحيرة وقلقا ، فهو يخالفها من حيث كونه راضيا بل ومستزيدا لما هو فيه . فقد ذكر ان اباه اخذه الى الكعبة يوما وطلب منه ان يدعو الله كي ينسيه ذكر ليلى ، وجعله يمسك استار الكعبة وقال له : قل اللهم انسني ذكرها وامح من قلبي حبها . فقال المجنون :

اللهم اجمعني بها وارزقني حبها ، وزدني بها كلفا ، وفيها تلفا .(٣٤)

ويصف لنا ابن الاحنف جفاءه الفراش وليله الذي يمضيه بين الحسرة والعبرة اذ يقول :

تجافى مرفقاي عن الرقاد كان به منابت للقتاد
وباتت تمطر العبرات عيني وعين الدمع تنبع من فؤادي(٣٥)

ويؤكد الشاعر لحبيبته ان صبوته اعظم من صبوة الذين تقدموه من العشاق ، وان حبه اياها فوق حب جميل بثينة ، فيقول في هذا :

ما ان صبا مثلي جميل فاعلمي حقا ولا المقتول عروة اذ صبا
لا ولا مثلي المرقش اذ هوى اسماء للحين المحتم والقضا(٣٦)

اما ابن زيدون فيصف لنا في نونيته الشهيرة لواعج الشوق والام البعد ، ويصور ما كان من نعيم ، وكيف استبدل ذلك النعيم اسى ودموعا ، فهو يقول :

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الاسى لولا تاسينا

---

(٢٤) Ibid ., 66 .
(٢٥) Tbid ., 73 .
(٢٦) Tbid ., 31 .
(٢٧) Newcombe , op . cit ., 67 .
(٢٨) القالي ، المصدر المذكور ، ١ ، ٢١٧ .

(٢٩) ديوان جميل بثينة ، ٥١ .
(٣٠) ديوان جميل بثينة ، ٨٧ .
(٣١) الانطاكي ، المصدر المذكور ، ٢ ، ٥٧ .
(٣٢) ديوان جميل بثينة ، ٣٦ .
(٣٣) الاصفهاني ، ٢ ، ٥ ، الانطاكي ، ٢ ، ٦٧ .
(٣٤) الانطاكي ، ٢ ، ٧٠ .
(٣٥) ديوان ابن الاحنف ، ٩٧ .
(٣٦) ديوان ابن الاحنف ، ١٥ .

يا جنة الخلد ابدلنا بسدرتها — والكوثر العذب زقوماوغسلينا (٣٧)

والشاعر يؤكد للحبيبة ان اساه وطول همه وسواد ليله لم تكن لتثنيه لحظة عن حبها ، او تجعله يتطلع الى سلوى او بديل ، فيقول :

اما هواك فلم نعدل بمنهله — شربا وان كان يروينا فيظمينا
لم نجف افق جمال انت كوكبه — سالين عنه ولم نهجره قالينا (٣٨)

ومن ظريف ما يحكى عن العشاق الذين يابون السلو ، ويستزيدون من الم الحب وعذابه ، قصة يرويها لنا ابن حزم عن احد معارفه ، فيقول :

« ولقد علمت ان فتى من بعض معارفي قد حل به الحب وتورط في حبائله ، فاضر به الوجد ، وانضجه الدنف ، وما كانت نفسه تطيب بالدعاء الى الله عز وجل في كشف ما به ، ولا ينطق بها لسانه، وما كان دعاؤه الا بالوصل والتمكن ممن يحب على عظيم بلائه وطويل همه ، فما الظن بسقيم ولا يريد فقد سقمه ؟ ولقد جالسته يوما ، فرأيت من اكتئابه وسوء حاله واطراقه ما اساءني . فقلت له في بعض قولي : فرج الله عنك ، فرأيت اثر الكراهية في وجهه لما قلت . »(٣٩)

ان العاشق الذي يقاسي من الحب والشوق والحرمان ما يقاسيه ، فلا يستطيع او لا يريد عزاء ولا بديلا عن حبيبته ، ذلك العاشق الذي تتملكه فكرة واحدة وصورة واحدة ، سرعان ما يفقد توازنه الفكري ويصاب بالذهول والبلبلة والارتباك . يقول برنارد في هذا المعنى :

انا مرتبك الفكر ، مبلبل العقل ، ذلك بسبب الحب الذي يلازمني ويوثقني ، ويملك عناني في كل مكان اتوجه اليه . (٤٠)

ويستطرد برنارد فيصور لنا حالة الشرود والذهول التي هو فيها فيقول :

اواه ! سيقتلني الارتباك والذهول ، حتى لاخشى جادا ان يحملني اللصوص ويبعدوني عن داري فلا ادري ما هم فاعلون . (٤١)

اما جوسر فيصور لنا الحالة التي يعاني منها ترويلس ، ويخبرنا عن ملازمة عقله فكرة واحدة وتركيزه عليها وحدها في كل اوقاته وحيثما يتوجه ، تلك الفكرة هي حبه كرسيدا :

But were he fer or ner , I dar sey this :
By nyght or day , for wisdon or folye ,
His herte , which that is h's brestes ye ,
Was ay on hire

(I , 452 - 55)

وتبلغ الحال بالعاشق الى ما يشبه الجنون ، اذ يندفع الى غرفته ، فينطرح ارضا لاطما صدره بجمع يده ، وضاربا الحائط براسه ، تماما كما يفعل الجنون :

Right so gan he about the Chamber sterte ,
Smytyng his brests ay with h's fistes smerte .
His hed to the wal , his body to the grounde
Ful ofte he swapte , heymselven to confounde .

(IV , 241 - 44)

ان جنون ترويلس هذا ليس بالظاهرة الغريبة على العشاق،فقد كان عرفا سائدا انذاك ان يمرض العاشق او يموت او يهيم على وجهه مجنونا من اجل الحب . تلك الظاهرة تفشت في اوروبا وعكسها ادب القرن الحادي عشر الميلادي وما تلاه . فان ترستان حين فقد الامل بلقاء حبيبته ايسولت ، هام على وجههفي الغابات يفترش الارض ويلتحف السماء ، وياكل الحشيش والاوراق . اما الحبيبة ايسولت فقد اعترفت ان زوجها وحبيبها كليهما لم يحصلا منها سوى حمى في العظام . وحين سمعت بموت ترستان عافت ملكها وتاجها وهرعت الى الغابة فرمت بنفسها فوق جسده الهامد وفارقت الحياة . وقد علق الكابتن ارثر حين سماعه النبا قائلا : « ادفنوهما معا ، ان كانا قد ارتكبا خطيئة فانهما احبا حبا عظيما ، وهما الان روحان في دنياالحب . (٤٢)

اما في دنيا العرب فقد عرفت مثل تلك الظاهرة قبل ذلك التاريخ بعدة قرون . واخبار العشاق الذين مرضوا وماتوا او جنوا اكثر من ان يحصيها كتاب . ويذكر ان عروة بن الزبير قال لرجل من بني عذرة : « يا هذا ، بحق اقول لكم انكم ارق الناس قلوبا » .فقال العذري: « نعم ، والله ، لقد تركت بالحي ثلاثين قد خامرهم السل وما بهم داء الا الحب».(٤٣) ومن مشاهير العشاق الذين نذكرهم بهذا الخصوص عروة بن حزام . احب عروة عفراء فاخذه الهلاس ، وقالوا به جنة.فاخذوه الى عراف اليمامة وعراف حجر لمعالجته ، وفي ذلك يقول عروة ذاكرا انصراف فكره الى عفراء وعبث محاولة علاجه :

وقد تركتني لا اعي لمحدث — حديثا وان ناجيته ونجاني
جعلت لعراف اليمامة حكمه — وعراف حجر ان هما شفياني
فما تركا من حيلة يعرفانها — ولا شربة الا وقد سقياني
وقالا : شفاك الله ، والله ما لنا — بما ضمنت منك الضلوع يدان

وما زال هذا امره حتى قضى ، وما زالت عفراء تندبه حتى ماتت كما اسلفنا . (٤٤) اما اخبار ابن ذريح فتنبيء ان اشتداد شوقه وملازمة هذا الشوق والحب اياه قد اديا الى مرض الم به فالزمه الوساد واختلال العقل ، وفي ذلك يقول مخاطبا نفسه :

بانت لبينى فانت اليوم متبول — والراي عنك بعد الحزم مخبول (٤٥)

اما جميل فهو لا يستطيع الصبر والتمهل عن بثينة التي سلبته عقله كما يقول :

يقولون مهلا يا جميل وانني — لاقسم مالي عن بثينة من مهل
فلو تركت عقلي معي ما طلبتها — ولكن طلابيها لما فات من عقلي (٤٦)

ومات جميل من تباريح الحب وقسوة الحرمان . اما المجنون ، فسواء أكان عاشقا واحدا معينا هو قيس بن الملوح العامري ،ام كان

---

(٣٧) ديوان ابن زيدون ، ٩٢ ــ ٩٤ .
(٣٨) ديوان ابن زيدون ، ٩٥ .
(٣٩) ابن حزم ، ١٠ .
(٤٠) Bernard , op . cit ., 88.
(٤١) Ibid . , 155 .

(٤٢) Dodd , op . cit . 187 . See also , J. Masefield Tristan and Isolt , 114 - 133 .
(٤٣) السراج ، المصدر المذكور ١٣٠ ــ ٤٢ ، ابن قتيبة ، ١ ، ٥٢٠ ، الانطاكي ، ٢ ، ٦٢ ــ ١٢١ .
(٤٤) الاصفهاني ، ٢٠ ، ٣٦٧ ــ ٣٧٧ ، ابن قتيبة ، ٢ ، ٥١٩ ــ ٥٢٤ .
(٤٥) الاصفهاني اخبار ابن ذريح ، ٢٢٨ .
(٤٦) ديوان جميل بثينة ، ٧٧ ، الاصفهاني ٧ ، ١٣٩ وما بعده.

اسمـا مستعارا او منتحلا لشعراء اخريـن رموا بالعشق والجنون، فـان في اخباره واشعاره مـا يؤكـد لنـا ان السل والشرود والجنون في الحب لم تكـن امورا عارضة ، وانمـا كانت ظاهرة سائدة يرويهـا الرواة ، ويعرفهـا الثقاة ، ويتناقلهـا الناس انذاك . والمجنون يذكـر لنـا السبب الذي من اجله سموه مجنونا فيقول :

يسمونني المجنون حين يرونني
نعم ، بي من ليلى الغداة جنـون .

ويقول في مكـان اخـر :

يهوي بقلبي حديث النفس نحوكم
حتى يقول جليسي انت مخبـول

وينسيه الهوى نفسه ، فيذهل حتى عن واجبه نحو ربه ولـم يعد يتذكـر نظام صلاته ، حيث يقول :

اصلي فـلا ادري اذا ما ذكرتهـا
اثنتين صليت العشا ام ثمانيـا

وينتهي به الامر الى ترك صلاته واهله وحيه والهيام على وجهه في الصحراء مع الوحش ، لا ياكل الا مـا ينبت في البرية من بقل، ولا يشرب الا مع الظباء اذا وردت مناهلها . وجمـل يهيـم حتـى يبلغ حدود الشام ، فان صادف من يحدثهعن ليلى ، ثاب اليه عقله وسالـه عـن نجـد .(٤٧)

ان المحن والمصائب التي اتينـا على ذكرهـا لم تكـن كل دنيـا الحب ، بل هناك من المتع واللذات والمسرات ما يعمر تلـك الدنيـا ويحيل اساها غبطـة ودموعهـا بسمات وجحيمها فردوسا . اما متـع الحب ومباهجه فتتمثل في الامال الحلوة والوعود المشتهاة ، وفـي الرسل والوسطاء الذيـن ينقلون الاحـاديث ويعقدون المواعيـد ، واخيرا في اللقاء وهو غايـة المتمني . هذه المتع والمباهج ـ وان كانت عظيمة ، الا انهـا تفتقـر الى الاساس الذي يجعلها كاملة ، ذلك انهـا تفتقر الى الامان . فالعاشق خائف في كل حين ، وخوفه ناجم مـن عامليـن : امـا العامل الاول الذي ينتقص من كمـال سعادة المحبيـن فهو خوف العاشق الدائم من الوشاة والرقباء والحسـاد والنماميـن وامثالهم . وقد نتج من هذا الخوف مبدأ السريـة في الحب . وهذا المبدأ يمكن العشاق من تحاشي الالسن المسمومـة . والعامل الثـاني الذي يعجز العشاق عن تلافيه هـو كون سعادتهم في الحب سعـادة دنيوية ارضية ، وكل مـا هو ارضي ودنيوي فهـو صائرحتمـا الـى الزوال . تلـك الافكار والاراء والمفاهيم كلهـا وردت في التـــراث الاوروبي تمامـا كمـا وردت في التراث العربي من قبلـه .

انالعاشقالذي يقاسي مايقاسيهفيسبيل الحبحزنا وسقما وتسهيدا على الرغم مما هـو فيه ، ليس بيائس . فهـو يحتمل الم البعـد املا اللقاء ، ويتجلد حين الهجر مترجيا الوصل ، وبيـن هـذا وذاك يتوسل بشتى الوسائل التي تدنيه من امله وتيسر له الطريق الى ما ينشده . فهذا التروبادور برنارد يخبرنـا انه متجلد صابر فـي انتظار تحقيق الامل المنشود :

لست مبتهجا ولا مسرورا ، بل انـا اقاسي عذاب الموت ،
ولكني مع ذلك اتجلد على امل ان صبيري لا بد معقبمزجا .(٤٨)

وينصح جوسر ترويلس ، على لسان صديقه الوفي باندر ، قائلا له : اصبر ، فمن صبر ظفر :

« Men seyn , The suffrant overcomith . »
(17 , 1585)

ويضع الشاعـر الانكليزي المذكور رسولا بيـن المحبين لـه مـن المزايـا ما يجب توفـر مثلهـا فيمـن يقوم بمثل هـذه المهام ويسميه باندر . اما فضيلـة باندر فهـي موضع شك وريبة مـن قبل نقـاد جوسر . واما مزاياه الاخرى فمتفق عليهـا من قبلهم ، اذ انه سريع البديهة ، حافظ لاسرار العشاق ، مرح ، مخلص لصاحبه ، متجاوب معه الى حد ذرف الدموع قبله . هـو شخص مثير للاعجاب طـورا وللسخرية طورا اخر .هذا الشخص مهد الطريـق لاتصال الحبيبين وهيـا لهمـا فرص اللقاء بعـد ان كـان ذلك يبدو مستحيلا .(٤٩)

واننـا اذ نحول ابصارنـا الى الادب العربي نجـد تلـك الاراء نفسهـا . فالعاشق المعذب المحروم ليس بيائس . والمجنون يخبرنـا ان بشاشات الامل تبعثه الى الحياة بعثا حين يقتله اليأس :

القى من اليأس تارات فتقتلنـي
وللرجـاء بشاشات فتحييـنـي

ويقول في مكـان اخر :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدمـا
يظنان جهـد الظن ان لا تلاقيا (٥٠)

وجميل يفني العمر انتظارا لليلة يبيتهـا بوادي القرى قريبا مـن بثينـة ، وهـو مطمئن لعلمه الا مستحيل فيهذه الدنيا حيث يقول :

وافنيت عمري فـي انتظاري وعيدها
وابليت فيهـا الدهـر وهو جديد
الا ليت شعـري هل ابيتـن ليلة
بوادي القرى اني اذن لسعيـد
وقد تلتقـي الاشتات بعـد تفـرق
وقدتدرك الحاجات وهي بعيد (٥١)

اما ابن زيدون فقد تناول المعنى نفسه ، اذ ينبئنـا انه يتجمل على الرغم من نفاد صبره ، وذلك انتظارا لوصل الحبيبة الذيلا بد ان يناله يومـا ، يقول ابن زيدون مخاطبا حبيبته :

ايها البدر الذي يملأ عيني من تأمل
حمل القلب تباريح التجني فتحمـل
ليس لي صبر جميل غير اني اتجمل
ثم لا يأس فكم قد نيل امر لـم يؤمل (٥٢)

وحين نقرأ حديث الوسطاء والرسل ، نعرف منـه ان العشاق كانوا يتبادلون الرسائل ويعقدون المواعيد مع الحبيبات ، واكثر مـا يكـون ذلك عن طريق خاتم المحب الذي يرسله الى الحبيبة مع امتها او راعيهـا او راعيتها ، وتكـون الرسالة احيانـا مع صديق او صديقة او احد اقرباء الحبيب او الحبيبة . (٥٣) فكثير صاحب جميل وراويته كان يقوم بدور الوساطـة بيـن جميل وبثينـة ، وله قصـة طريفـة تدل على حذقه وحذره في اداء رسائل جميل ، وتنبيء من جهـة اخرى عن ذكاء الحبيبة ودقة ادراكهـا مـا يعنيـه الرسول . ويـروي لنـا صاحب الاغاني قصـة وساطـة كثير بيـن جميل وبثينة كما يلي :

« قال كثير : لقيني جميل مرة فسالني : من اين اقبلت ؟ قلت : من عند ابي الحبيبة ـ اعني بثينة ـ فقال : والى اين تمضي ؟ قلت:

---

(٤٧) الاصفهاني ١ ، ٥٩ ، البغدادي ١ ، ٣٧٤ وما بعده ٢ ، ١٧٠ ومـا بعده ، الانطاكي ٢ ، ٥٣ وما بعده .
(٤٨) Bernard , op . cit . 67

(٤٩) Brower , Chaucer , 99 - 100 . see also , Lewis op . cit . 190 - 91 . Kirby , op . cit . 121 - 192 .
(٥٠) ابن قتيبة ، المصدر المذكور ٢ ، ٤٧٠ ، الاصفهاني ٢ ، ٣١ .
(٥١) ديوان جميل بثينة ، ٣١ ـ ٣٢ .
(٥٢) « ابن زيدون » ٦٠ .
(٥٣) انظر اخبار العشاق في المصادر اعلاه .

الى الحبيبة – اعني عزة، فقال : لا بـد من ان ترجع عود لـه علـى بعثك . فستجد لي موعدا من بثينة ، فقلت : عهدي بهـا الساعـة ، وانـا استحي ان ارجع ، فقال : لا بد من ذلك ، فقلت له : فمتـى عهدك ببثينة ؟ فقال:لقيتهـا في اول الصيد ، وقد فعت سحابة باسفل وادي الدوم فخرجت ومعهـا جاريـة لهـا تغسل ثيابها ، وتحدثنا حتى غابت الشمس وافترقنا ، ومـا وجدت بعدهـا احدا امنه فأرسلـه اليها . فقال له كثير : فهل لـك في ان آتي الحي فانزع بأبيات من شعـر اذكـر فيها هذه العلامـة ان لم اقدر على الخلو بها ؟ قـال جميل : ذلك هـو الصواب . ثم خرجكثير حتى اناخ بـدار بثينةفقال له ابوها : ما ردك ؟ قال : ثلاثة ابيات عرضت لي فاحببت ان اعرضها عليك ، قال هاتها ،قال كثير فانشدته وبثينة تسمع :

فقلت لها يا عز ارسل صاحبي
اليـك رسـولا والموكـل مرسـل
بان تجعلي بيني وبينك موعـدا
وان تأمريني ما الذي فيه افعـل
واخر عهدي منـك يوم لقيتنـي
باسفل وادي الدوم والثوب يغسل

قال كثير : فالتفتت بثينة الى جاريتها وقالت لها : ابغينـا مـن الدومات حطبا لنذبح لكثير شاة ونشويها له ، فقال كثير : انا اعجل من ذلك ، وراح الى جميل فاخبره ،فقال له جميل : الموعد الدومـات. وخـرج كثير وجميل حتى اتيا الدومات ، وجاءت بثينة ومن معها ، فما برحوا حتى برق الصبح .فكـان كثير يقول : ما رأيت مجلسا قط احسن من ذلك ولا مثل علم ضميراحدهما بضمير الاخر » .(٥٤)

ويذكر ابن حزم صفات الرسول في فصل يفرده من كتابه ويطلـق عليه (باب السفير) فيقول : ان الرسول دليل عقل المحب ، وبيده حياته وموته وستره وفضيحته ، فينبغي ان يكـون حاذقا يكتفيبالاشارة ويقرطس عـن الغائب ، ويحسن من ذات نفسه ، ويضع من عقله ما أعقله باعثه ، ويؤدي الى الذي ارسله كل ما يشاهد على وجهه ،كاتما للاسرار ، حافظا للعهد ، وفيا ، قنوعا وناصحا . (٥٥)

حين تكون الامور قد سويت من قبل الرسول ، يتم لقاء مختلس بيـن العاشقين . امـا جمال هذا اللقاء وبهجة المحبين وغبطتهم بـه فامور يعجز اللسان والقلم عن وصفها . ذلك مـا يقوله العشاق الذين حدثونـا عن سعادتهم فبالغوا ، كمـا فعلوا حين وصفوا شقاءهـم. فبرنارد يغني من فرط هنائه ،ويخيل اليه ان سعادته بلقاء الحبيبة قد غيرت الكـون ففاض جمالا وسحرا ،وان نفسه قد حلقت في سمـاء كلهـا جمال وسعـادة ومجد . يقول التروبادور فيهذا المعنى :
قلبي يفيض غبطة ، حتى ليخيل لي ان الاشيـاء كلهـا قـد تغيـرت ، فالثلج بدا لي كزهـور بيض وحمر وصفر ، والريـح والمطـر يجلبـان لي السعد ، قوافيّ سمت ، ومجدي وصـل السماء ، قلبـي يفيض غبطة وسرورا وحلاوة ،فيريني الثلوج زهورا والجليد عشبا اخضر .

اما جوسر فيعترف بعجزه ،بل وعجز كل حكمـاء العالم عنوصف نعيم الوصل وجنة اللقاء ،فهـو يقول :

This is no litel thyng of for to seye .
This passeth every wit for to devyse .
For ech of hem gan itheres lust obeye .

Felicite , which that thise Clerches wise
Comenden so , ne may nought writen be with inke .
This passeth al that herte may bethynke .
(III , 1686 - 92)

هذه السعادة التي ينعم بهـا المحبون ليست طويلة الامد ، لان الحساد والوشاة يتربصون الفرص بالمحبين ، فيفرقون بينهم ويقطعون حبال الوصال . يخبرنـا برنارد ان المفتريـن قد ابعدوه عن حبيبته ، ويعـد بان يكـون حذرا عند زيارتها ، وذلك تفاديـا لهؤلاء الوشـاة وحفاظا على سمعـة الحبيبة ،يقول برنارد :

الوشاة المفترون ابعدوني عنك ، انهم يراقبون ويتجسسون ، لكنهم لا يعلمون اننا نلتقي بالفكر دائمـا . سأراك سرا لئلا يفتضح الامر فأنا اخشى الاساءة الى سمعتك .

وجوسر يخبرنا ان نعيم الحب لا يدوم ، فالليل كاتم الاسرار يمر سريعـا ، ويطلع الفجر ومعه الوشاة والحساد ،الامر الذي يدعو صديق ترويلس الى تنبيهه لمغادرة الدار وقطع سويعات اللقاء الحلوة التي كان يتمتع بهـا مع الحبيبة ، يقول جوسر :

. . . If ye be wise ,
Swouneth naught now , lest more folk arise .
(III , 1189 - 20)

ثم تسأل الحبيبة الاسراع بترك الدار ، فالفجر قد اطل وسيفتضح امر لقائهمـا ويكون ضياع سمعتها :

For tyme it is to fyse and hennes go ,
Or ellis I am lost for evere mo !
(III , 142 - 25)

ويتألم الشاعر لفراق الحبيبين وزوال النعمة التي عاشاها زمنا، ويخبرنا ان لا عيب في سرور اللقاء والوصال الا كونه سرورا عابرا ولا دوام لنعيم على هذه الارض اذ هـو وقتي وعابر . يقول جوسر :

That Joie is transitorie
As every Joie of wordly thyng not flea .
(III , 826 - 27)

ثم يعـود الشاعر الانكليزي في مكان اخـر فيشبه الحياة الدنيا بزهرة جميلة سرعان مـا تذوي وتذروها الريح ،اذ يقول :

This world that passeth soon as flowers faire .
(C , 1840)

يستطيع القارىء ان يجد في ادبنـا العربـي افكـارا مشابهـة لجميع الفكر التي عرضناها . اما عـن لقاء الحبيبة وحـلاوة وصلها فيقول جميل مستعيدا ذكرياته :

فيا ليت شعري هل ابيتن ليلة
كليلتنا حتى يرى ساطع الفجـر
تجـود علينـا بالحديـث وتـارة
تجود علينابالرضاب من الثغر (٥٨)

ويمضيجميل الليل مع الحبيبة يتحدثان ويرتشفان من كؤوس النعيم اصفاها ، حتى تتبيـن بثينة الصبح ، فترتاع ، وتقسم عليه ان يلقـي نفسه تحت النضد ، لا خوفـا على نفسه ،بل حذرا علـى بثينـة من الفضيحة .(٥٩) ويصف جميل في ابيات ثلاثة سروره بلقاء

---

(٥٤) الاصفهاني ٧ ، ١٥٣ – ١٥٤ .

(٥٥) ابن حزم ، ٣١ – ٣٢ .

(٥٨) ديوان جميل بثينة ، ٤٥ .

(٥٩) الاصفهاني ٧ ، ١٦١ – ١٦٢ .

الحبيبة ، وسعي الوشاة بينهما ،وحال الدنيا ، فيقول :

وكنا قبل ان يظهر النوى
بانعم حالي غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لنا
بطون الهوى مقلوبة لظهور
لقد كنت حسب النفس لو دام ودنا
ولكنما الدنيا متاع غرور (٦٠)

ويستطرد الشاعر مؤكدا حفظه السر حتى الموت، فيقول :

لو ان امرا اخفى الهوى عن ضميره
لمت ولم يعلم بذاك ضمير
ولكن سالقى الله والنفس لم تبح
بسرك والمستخبرون كثير (٦١)

وغبطة اللقاء اذ تحيل الجليد عشبا وورداً في نظر التروبادور، فان تلك الغبطة تفعل ما هو اعجب من ذلك واطرف ، وذلك فيما يصوره لنا الشاعر العربي بقوله :

تكاد يدي تندى اذا ما لمستها
وينبت في اطرافها الورق الخضر (٦٢)

ولقاء الحبيبة هو الخلد ، ولكن لا خلود متيسر في هذه الدنيا كما يقول كثير :

هي الخلد ما دامت لاهلك جارة
وهل دام في الدنيا لنفس خلودها (٦٣)

ويوطن كثير نفسه حين فقده عزة لعلمه ان ميعة الحب وضراءه كلاهما لا بد زائل :

ولم يلق انسان من الحب ميعة
تعم ولا عمياء الا تجلت (٦٤)

وهو كغيره يؤكد حفظه السر فيقول :

واني لما استودعتني من امانة
اذا ضاعت الاسرار للسر دافن (٦٥)

اما ابن ذريح فيتحدث عن سعي الوشاة وخيانة الزمان ، اذ ان كليهما تسبب في فقده لبنى ، ومع ذلك فهو الفتى الكتوم لاسرار الحب:

سعى الدهر والواشون بيني وبينها
فقطع حبل الوصل وهو وثيق
واكتم اسرار الهوى فاميتها
اذا باح مزاح بهن بروق (٦٦)

وابن الاحنف انما يهجر الندامى حذرا من الكاس التي تفلت عقال اللسان فتفضح امر الحب ، يقول الشاعر :

هجرت الندامى خشية السكر انما
يضيع الفتى اسراره حين يسكر (٦٧)

اما ابن حزم فيصف لنا ملذات اللقاء ومباهج الوصل ، ويقرنها بلذائذ الجنة لولا كونها ارضية ووقتية ، فيقول في هذا :

ومن جوه العشق الوصل ، وهو حظ رفيع ومرتبة سرية ، ودرجة عالية ، وسعد طالع ،بل هو الحياة المجددة ، والعيش السني والسرور الدائم ورحمة من الله عظيمة ، ولولا ان الدنيا دار ممر ومحنة وكدر والجنة دار جزاء وامان من المكاره ، لقلنا ان وصل المحبوب هو الصفاء الذي لا كدر فيه ، والفرح الذي لا شائبة فيه ولا حزن معه، وهو كمال الاماني ومنتهى الاراجي ، ولقد جربت اللذات على تصرفها، وادركت الحظوظ على اختلافها فما الدنو من السلطان ، ولا المال المستفاد ، ولا الوجود بعد العدم ولا الاوبة بعد طول الغيبة ، ولا الامن بعد الخوف ، من الموقع في النفس ما للوصل .(٦٨) .

ويفرد ابن حزم في كتابه بابا يسميه (باب طي السر) يؤكد فيه على الكتمان ، ويستنكر في الباب الذي يليه اذاعة اسرار الحب ويستهجن نشرها . (٦٩)

ان الذي ذكرناه من شوق الرجل الى المراة الجميلة ورغبته في لقائها ووصالها ، وبؤسه وسقمه وجنونه اذا هو حرم منها ، ثم تنعمه وتلذذه كلما حظي بها ، لمظاهر تمثل استجابة الرجل لحب المراة استجابة حسية دنيوية . وقد ذكرنا في مستهل هذا الفصل ان الرجل يستجيب للحب جسديا كما يستجيب له معنويا وروحيا. اما الجانب الروحي او المثالي فهو المتمثل بسمو روح العاشق واتسامه بالفضيلة والخلق الكريم ، وبتحليق فكره في دنيا الخيال مبدعا وخلاقا . ومن العجيب ان الجانب الروحي ماثل وموجود في جميع الاشعار والاخبار التي قيلت في موضوع الحب ، جنبا الى جنب مع الجانب الجسدي ، وذلك ما اضفى على الحب صفة التناقض التي يتصف بها كما اسلفنا . ان العاشق الذي يلج شوقا الى لقاء الحبيبة ، وتقتله الرغبة في التلذذ بنوالها ووصالها ، هو نفسه العاشق الصابر القنوع الراضي باقل من القليل . فترويض النفس بقهر الشره والطمع فيها ، سمة يتسم بها المحبون الذين عرفناهم في التراث الاوروبي وتراثنا معا ، الامر الذي جعل اندريس يثبته كقاعدة اساسية من قواعد الحب فيقول :« تجنب الطمع كوباء مميت وعانق ضده » .(٧٠) هذا وان ترويض النفس وحملها على الرضى بالقليل يجعل لهذا القليل من الاثر في نفس العاشق مثل ما للكثير منه . فبرنارد يصف لنا شعور الغبطة والبهجة الذي يغمره ،لمجرد نظرة من الحبيبة ، وصفا يذكرنا بسروره ساعة الوصال ،فيقول:

حين تسنح الفرصة فتوليني نظرة واحدة فقط ،لا اعي الا وانا في غمرة سروري ، اهتز طربا ونشوة . (٧١)

وأرنوت دي مارويل يكتفي بنظرة الى ارض الحبيبة ، وبخيال شخصها الجميل النبيل يتامله وهو بعيد عنها ، فيقول :

ادير عيني يا سيدتي النبيلة الى ارضك ، واتطلع الى حيث تسكنين ، وحين لا استطيع القرب منك ، اكتفي بخيالك يسكن قلبي ، وبذكرى شخصك الحلو الظريف تملأ افكاري .(٧٢)

وترويلس لا يطلب من الحبيبة الا ان تتلطف بنظرة من عينيها الجميلتين ، وفي ذاك ما يكفيه :

With the streams of your eyen Cleere
Ye wolde somtyme frendly on me see .
(111 , 130 - 31)

ويسال العاشق الجوسري صاحبه مرافقته الى بيت الحبيبة بعد رحيلها ، ليرى المعبد الذي فارقه القديس :

---

(٦٠) ديوان جميل بثينة ،٥١ .
(٦١) ديوان جميل بثينة ، ٥١ .
(٦٢) البغدادي ، المصدر المذكور ، ٥٥٣ ،الاصفهاني ٢ ، ١١ .
(٦٣) ديوان كثير عزة ٢٠٠ .
(٦٤) ديوان كثير عزة ، ٩٧ .
(٦٥) ديوان كثير عزة ، ٩٧ .
(٦٦) الاصفهاني ٨ ، ٢٤٣ .
(٦٧) ديوان ابن الاحنف ، ١٤٥ .
(٦٨) ابن حزم ، ٥٦ .
(٦٩) ـ ابن حزم ، ٣٣ ـ ٣٨ .
(٧٠) Andreas , op . cit . , 81 .
(٧١) Bernard , op . cit . , 119 .
Kirby , op . cit . , 293 .

As to we sen the palais of Criseyde .
For syn we yet may have namore fests ,
So lat us sen hir paleys atte leeste .
(V , 523 - 25)

ويخبرنـا اندريس في كتابه عن عاشق يؤكـد ان مجرد انعكاس منظر بيت الحبيبة في الهواء يزوده بقوة تحفزه على الحياة وتملأ فؤاده بمتـع الحب الجميلـة .(٧٣)

اما الادب العربي فيكشف لنـا عن آراء وافكار مماثلـة لتلك التي عرضنـاها . ويبلـغ جميل غايـة في الاكتفاء بالقليل والغنى الروحي تجعله يرضى من الحبيبة بالقليل الذي يسر له الواشي وتقرّ به بلابله يقـول جميـل :

واني لارضى من بثينة بالذي
لو ابصره الواشي لقرت بلابلـه
بـلا وبـالا استطيـع وبالمنـى
وبالامل المرجـو قـد خاب املـه
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي
اواخره لا نلتقي واوائله (٧٤)

ويتحدث ابن ذريح عما يغنيه عن وصل لبنى التي حرمت عليه، فيذكر لقاء الروحين عبر النسائم ، وعند افول الشمس ، اذ يلفهمـا سكـون الليل وحين يوحـد بينهمـا هدوء الظهيرة ، فالعاشقان ليسا بمفترقين ما دامـا يعيشان على ارض واحدة ، ويتطلعان الى سماء واحدة . يقول قيس بن ذريح:

فان تك لبنى قد اتى دون قربهـا
حجاب منيع ما اليـه سبيـل
فان نسيـم الجـو يجمـع بيننـا
ونبصر قرن الشمس حين تزول
وارواحنا بالليـل في الحي تلتقي
ونعلم انـا بالنهـار نقيـل
وتجمعنـا الارض القرار وفوقنـا
سماء نرى فيها النجوم تجول (٧٥)

ويمر المجنون على ديار ليلى فيقبلهاحيـن يعز عليه تقبيـل ساكنيها حيـث يقول :

امرّ على الديـار ديار ليلـى
اقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديـار شغفـن قلبـي
ولكن حب من سكن الديارا (٧٦)

والعاشق العربي يذكر الحبيبة فيعتريه للذكرى من الفرح والنشوة ما يعتري العصفور حين تبله قطرات الغيث بعد طول ظمأ في الصحراء:

واني لتعروني لذكـراك هـزة
كمـا انتفض العصفور بلله القطر (٧٧)

اما ابن الاحنف فيرضى بما لا يرضي ، وترتاح نفسه حتى الـى المواعيد المطولـة فيقول :

وانـي ليرضيني الذي ليس بالرضا
وتقنع نفسي بالمواعيد والمطل (٧٨)

وهو يستنشق النسائم تاتيه من ارضها فيستشعر بردا وراحة :

اذا استقبلتني الريح من نحـو ارضهـا
تنشقتهـا حتى ترف الخياشم (٧٩)

وابن زيدون يرضى من الحبيبـة بالطيف الساري وبالذكـرى العابرة فهـو يقول :

اولـي وفاء وان لـم تبذلي صلـة
فالطيف يقنعنا والذكر يكفينا (٨٠)

هذا الترويض على القناعة او كف النفس عن الشره والطمع لمـا يرهف العاشق ويجعله يهتز لخاطرة وينتشي لنسمة عابرة كمـا رأينا. وهناك فوق هذا فضائل اخرى تحمل نفس العاشـق واهمها الاخلاص للحبيبة ، والوفاء لهـا والتفاني في سبيلها . هذه افكار واردة في كلا التراثين الاوربي والعربي ومـلموسة في الاقوال والاشعار والاخبار التي وصلتنـا منهمـا . فاندريس يؤكـد ويوصي العاشق بالاخلاص لحبيبته، ويقول في احدى قواعد الحب مخاطبا العاشق :

احفظ نفسك عفيفا من اجل تلـك التي تحبها .

ويقول في مكان اخر متناولا المعنى نفسه :

لا يستطيع المرء ان يرتبط بغرامين في آن واحد . (٨١)

اما برنارد فيخبرنا انه قاطع جميع النساء من اجل المرأة التـي يحبها ، وعاش مخلصا لهـا وحدها ،فهو يقول :

لقد قاطعت جميع النساء من اجلها ، فمنهـا وحدها يمكـن ان اتلقى مسراتي . (٨٢)

ويؤكد الشاعر نفسه وفاءه اللامتناهي للحبيبة ، فيقـول انـه يحبهـا ما دام حيا ، وسيرافقه حبهـا الى مـا بعـد موته،وهذا قوله:

هلا يخطف الموت ارواح هؤلاء الذيـن يتجنـون فيقولـون ان حبـي اياك سيفارقنـي بعد مفارقتي الحياة ولا يرافقني بعد ان اموت واوارى في التراب . (٨٣)

ويخبرنا بالازول انه مخلص لحبيبته اخلاصا يحمله على ان يفضل رفضهـا على كل مـا يمكن ان يلقاه من قبول الاخريات. فهو يقول :

افضل رفضك اللطيف على جميع هبات الاخريات ، واؤكد لك بانني لا استبدل لاءك بنعم السيدات جميعهن . (٨٤)

ويؤكد ترولس بطل الحب في قصة جوسر ، انه مـا حاد عـن الاخلاص لكرسيدا منذ ان رآها لاول مرة ، وسيخلص لهـا الحب حتى الموت . يكتب جوسر بهذا المعنى فيقول :

Now God to whom ther nys no Cause Ywrye ,
Me glade , as wys I nevere unto Criseyde .
Syn thinke day I sauagh hire first with ye ,
Was fals , ne nevere shal til I dye .
(IV , 1655 - 58)

ويبرهن العاشق في تلك القصة ان وعده صحيح ثابت ، فهو لم يطلب بديلا عن حبيبته بعد رحيلها ،ولم يجـد ما ينسيه حبها او يسليه عنهـا في كل نساء الارض ولهوها وملذاتها. يقول ترويلس لصديقه الذي نصحه باستبدال حبيبته باخرى في محاولة لتخفيف الام المحب :

---

(٧٣) Andreas , 69 .
(٧٤) ديوان جميل بثينة ، ٩٤ .
(٧٥) الاصفهاني ، ٨ ، ٢٣٩ .
(٧٦) البغدادي ٢ ، ١٧٠ ـ ١٧٢ .
(٧٧) ديوان مجنون ليلى ، ١٠٩ ، البغدادي ١ ، ٥٥٣.
(٧٨) ديوان ابن الاحنف ، ٢٣٦ .

(٧٩) ديوان ابن الاحنف ، ٢٧٢ .
(٨٠) « ابن زيدون » ٩٥ .
(٨١) Andreas , op . cit . , 81 , 184 .
(٨٢) Bernard , 150 .
(٨٣) Ibid . , 159 .
(٨٤) Newcombe , op . cit . , 81 .

Thow biddest me I shoulde love another
Al fressly newe, and lat Criseyde go!
It lith not in my power, legue brother.
And though I might, I wolde not do so.
(IV, 456 - 457)

اما اخلاص العاشق العربي للحبيبة ووفاؤه لها وتفانيه في سبيلها فامور يكشف عنها التراث، ومنه نعلم ان ابن ذريح حين اشار عليه قومه بالزواج من امراة جميلة تنسيه لبنى اجابهم قائلا:

لقد خفت ان لا تقنع النفس بعدها
بشيء من الدنيا وان كان مقنما
وازجر عنها النفس اذ حيل دونها
وتابى اليها النفس الا تطلعا

ونعلم ايضا ان ابا قيس هذا وعشيرته اقسموا عليه بالمسير في احياء العرب والنزول عليهم فلعل عينه تقع على امرأة تعجبه. فسار حتى نزل بحي بني فزارة، ولم يلبث احدهم ان عرف قيسا، ورغب في مصاهرته، فلامه الحي وقالوا له: «قد خشينا ان يصير علينا فعلك سبة». فقال اخو الفتاة: «دعوني، ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام». فلم يزل به حتى اجابه قيس وعقد الصهر بينه وبين اخته، وقيل ان تلك الفتاة كانت حسناء كالبدر ليلة تمامه، ولكن قيسا لم يهش لها، ولا دنا منها ولا خاطبها ولا نظر اليها. وهو يصف حاله بعد فراق لبنى قائلا:

واني وان ازمعت عنها تجلدا
على العهد فيما بيننا لمقيم
الى الله اشكو فقد لبنى كما شكا
الى الله فقد الوالدين يتيم (٨٥)

وعروة العذري يؤكد لنا وحدانية الحبيبة وعدم اشراكه في الحب منذ ان عرف الحب والى ما لا نهاية له، فهو يقول:

هواها هوى لم يعرف القلب غيره
فليس له قبل وليس له بعد (٨٦)

ومجنون ليلى اذ يحاول اهله اقناعه بالعدول عن ليلى الى غيرها، يقول لهم ان لا دواء منها الا بها:

تداويت من ليلى بليلى من الهوى
كما يتداوى شارب الخمر بالخمر (٨٧)

واخبار ابن معمر تنبيء عن اخلاصه ووفائه لحب بثينة وعهدها حتى الموت. فقد ذكر ان نساء الحي مرة جعلن يقرعنه وينصحنه بالانصراف عن بثينة الى غيرها، فكان جميل يردهن معتذرا ان لا مكان في قلبه لغيرها، ويقول في هذا:

فلرب عارضة علينا وصلها
بالجد تخلطه بقول الهازل
فاجبتها في القول بعد تستر
حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي كقدر قلامة
فضلا، وصلتك او اتتك رسائلي (٨٨)

ويخبرنا ابن معمر ان حبه بثينة هو حب ازلي، كان ولا زال، وسوف يخلد حتى بعد ان تفارق روحه الجسد، فيقول:

---

(٨٥) الاصفهاني ٨، ٢٣٥ ـ ٢٣٦، ابن داود، المصدر المذكور، ١٦٧.
(٨٦) الانطاكي ١، ٣٩.
(٨٧) ديوان مجنون ليلى، ٩٢.
(٨٨) الاصفهاني ٧، ١٦٠.

تعلق روحي روحها قبل خلقنا
ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد
فزاد كما زدنا فاصبح ناميا
وليس اذا متنا بمنتقض العهد
ولكنه باق على كل حالة
وزائرنا في ظلمة القبر واللحد (٨٩)

وعلى الرغم مما يذكره الرواة عن عدم اخلاص كثير الحب لعزة وحدها، فان الشاعر يؤكد ـ كما فعل غيره ـ انه هجر نساء الارض كلهن في سبيل عزة التي ضنت عليه بوصلها، حيث يقول:

فما انصفت اما النساء فبغضت
الي، واما بالنوال فضنت (٩٠)

ويذكر لنا ابن الاحنف ان وجه الحبيبة لم يغب عن قلبه منذ ان رآها، وانها ملء قلبه منذ ذلك اليوم، اذ يقول:

وما غاب عني وجهها مذ رأيتها
ولا مال بي عنها الى غيرها قلبي (٩١)

ويؤكد الشاعر نفسه اخلاصه للحبيبة في حالي رضاها وهجرها فيقول:

فؤادي وعيني حافظان لغيبها
على كل حال من رضاء ومن عتب (٩٢)

وحين نقرأ ابن زيدون نجده مفضلا جور الحبيبة وهجرها على وصل غيرها من النساء، اذ يقول:

لو كان قولك مت ما كان ردي لا
ياجائر الحكم افديه بمن عدلا (٩٣)

وهو ـ مذ غابت عنه ـ لم يعتنق رأيا ولا دينا سوى حبها والوفاء لها، حيث يقول:

لم نعتنق بعدكم الا الوفاء لكم
رأيا ولم نتقلد غيره دينا (٩٤)

هذا الرجل الذي عرفناه حتى الان هو عاشق صادق الحب، عف قادر على ضبط نزواته وقمع شهواته، وهو مخلص للمراة التي يهواها، يجلها حاضرة، ويحترم ارادتها، يحفظ غيبها ويكتم سرها ويبذل النفس والنفيس في سبيل مرضاتها، وفوق هذا كله يعرف ما يقوله لها ويحسن القول. هذا العاشق رجل لا يستطيع الرجل العادي ان يكونه، فهو انسان اصطفاه الحب وحمله بالشهامة والخلق النبيل والمروءة لكونه اهلا لذلك. فقلبه شاعري مرهف خلق لكي يستجيب للحب فينصهر بناره المقدسة، ويشع نورا سماويا يعجز ذوو القلوب الغليظة عن ادراك فحواه، ذلك الاشعاع السماوي الخالد على الايام يتمثل بالشعر الذي غناه المحبوب في الغرب وفي دنيا العرب، وما زالت الاجيال تغنيه بعدهم. فالتروبادورز الذين نعرفهم كلهم شعراء خلفوا تراثا اقتفاه الشعراء الغزلون في معظم اقطار اوربا بما فيها انكلترا، حتى ان الكتاب الانكليز يعتقدون ان الباحث في تاريخ الشعر الانكليزي لا بد له من ان يتخذ شعر التروبادورز منطلقا له والا بقي بحثه غير مكتمل. (٩٥) لقد خلد التروبادورز لانهم غنوا، وغنوا لانهم احبوا بصدق، ولانهم خلقوا لكي يحبوا ولكي

---

(٨٩) ديوان مجنون ليلى، ٨٠.
(٩٠) ديوان كثير عزة، ٩٦.
(٩١) ديوان ابن الاحنف، ٤٢.
(٩٢) ديوان ابن الاحنف، ٤٦.
(٩٣) ديوان ابن زيدون، ١٦٤.
(٩٤) ديوان ابن زيدون، ٩١.
(٩٥) Chaytor, The Troubaudours and England, 135

يغنوا . يقول برنارد :

لا جدوى في غناء لا ينبعث من القلب ،ولا يكون القلب ينبوع غناء ما لم يرهفه الحب الصادق . (٩٦)

وبلازول يغني ما دام يشعر ان اغانيه ستبهج ماريا الجميلة وتنشيها ، فهو يبعث اليها بأغنيته قائلا :

ايتها الاغنية ! قولي لحبيبتي ماريا ، اني سأغنيها ما دمت اعرف ان اغاني مصدر سرور ونشوة لها .

وترويلس حالما يشعر بسهام الحب تصوب الى قلبه الرفيق ، يهرع الى غرفة منامه ليغني اسوة بالعشاق الاخرين :

And on a song anon - right to bygyne ,
(I , 989)

وبعد رحيل كرسيدا ينصرف العاشق الى نظم الشعر طلبا للعزاء من الام الحب والفراق :

And made a song of words but a fewe ,
Somewhat his woful herte for to delight .
(V , 633 - 34)

وسلوك ترويلس في كل مراحل غرامه يدل على جدارته بحب عظيم كهذا الحب الذي لا يزدهر وينمو الا في الافئدة النبيلة التي خلقت له ، كما يقول جوسر :

Pleasance of love , O goodly dabonaire
In gentil hertes ay redy to repaire ,
(III , 4 - 5)

ويستطرد جوسر فيقول ان الحب الصحيح هو الظرف :

That loveth wel menth but gentilesse
(III , 1148)

واننا اذ نعود الى تراثنا العربي نجد فيه افكارا ووقائع مماثلة لما ذكرنا . فصاحب كتاب الزهرة يذكر ان ((الحب شيء يختص به قوم برقة طبائعهم وتآلف ارواحهم ، فمن كان مثلهم يعذلهم، ومن خرج عن حدهم هان قوله)) .(٩٨) وذكر ان ابن نوفل سئل مرة : ((هل يسلم احد من العشق ؟ فقال : ((نعم ، الجلف الجافي الذي ليس له فضل ولا عنده فهم،اما من في طبعه ادنى ظرف ، او دمه دماثةاهل الحجاز ، وظرف اهل العراق فهيهات)) . (٩٩) وقلوب العشاق رقيقة كأنها قلوب طير تنمات كما ينماث الملح في الماء ، وهم ينظرون الى جمال محاجر اعين لا ينظر اليها الاخرون ، (١٠٠) ويستجيبون للجمال استجابة لا يقدر عليها غيرهم ، ويتحدثون عنه بلغة يعجز عن مثلها سواهم . واستجابتهم للحب وسلوكهم حيال المرأة وتعبيرهم عن مشاعرهم كلها امور يفضلون بها الناس ويتفاضلون بها فيما بينهم . فقد قيل ان الفرزدق وجميل بن معمر وجرير ونصيب وكثير اجتمعوا في موسم من المواسم ، ومضوا الى منزل سكينة بنت الحسين ، وهي المرأة المرموقة على المستويين الاجتماعي والادبي

(٩٦) Bernard , 81 .

(٩٧) Newcombe , 84 .

(٩٨) ابن داود ، ٤ .

(٩٩) ابن قيم الجوزية، ١٩٣ ، العسكري ١٣٨ ، مشارق انوار القلوب لابن الدباغ ، والانطاكي ١ ، ٦ .

(١٠٠) ابن قتيبة ١ ، ٣٤٠ .

انذاك ، وانشدوها بعض ما قالوا في المرأة والحب ،ففضلت قول جميل :

يقولون جاهد يا جميل بغزوة
واي جهاد غيرهن اريد
لكل حديث عندهن بشاشة
وكل قتيل بينهن شهيد
وافضل ايامي وافضل مشهدي
اذا هيج بي يوما وهن قعود

وقالت سكينه لجميل حين انشد ابياته تلك : ((اغزلت ،وكرمت، وعففت ، فانت الذي جعلت قتيلنا شهيدا ، وحديثنا بشاشة ،وافضل ايامك يوم تنوب عنا ، وتدافع ،ولم تتعد ذلك الى قبيح . خذ الف الدرهم هذه وابسط لنا العذر ، وانت اشعرهم .))

وذكر انها استقبحت قول جرير حيث قال :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا
وقت الزيارة فارجعي بسلام

قالت له سكينة : ((فما احسنت ولا اجملت ، ولا صنعت صنع الحر الكريم ، لاستر الله عليك كما هتكت سترك وسترها ، ما انت بكلف ، ولا شريف حين رددتها بعد هدوء العين ،وقد تجشمت هول الليل)) (١٠١) .

هذه القصة تشير الى ان المرأة الحكم قد فضلت جميلا شاعرا ومحبا في وقت واحد ، والشعر والحب صنوان متلازمان . ويذكر العرب ان العشق هو الباعث على الغزل . (١٠٢) ويخبرنا الشعراء العشاق انفسهم ما يؤكد هذا القول . فجميل يذكر لنا انه انما ينظم الشعر من اجل ارضاء الحبيبة ، وهو يستوحيها المزيد،فيقول:

وقد قلت في حبي لكم وصبابتي
محاسن شعر ذكرهن يطول
فان لم يكن قولي رضاك فعلمي
هبوب الصبا يا بثن كيف اقول (١٠٣)

ويقول جميل في مكان اخر ان الشعر يابى ان يطاوعه الا في موضوع واحد ، ذلك هو حبه بثينة :

اذا ما نظمت الشعر فيغير ذكرها
ابي وابيها ــ ان يطاوعني شعري (١٠٤)

اما مجنون ليلى فيهرع الى قول الشعر طلبا للعزاء والراحة من بلاء الحب الذي هو فيه ، فيقول :

فما اشرف الايفاع الا صبابة
ولا انشد الاشعار الا تداويا (١٠٥)

وهو ان يحرم من ليلى، يجد عزاء في الدموع وفي القوافي اذ يقول :

فان تمنعوا ليلى وحسن حديثها
فلم تمنعوا عني البكا والقوافيا (١٠٦)

وكثير يعترف بان حبه عزة قد رفع ذكره وحسن شعره فقد قيل ان امرأة لقيته فيبعض الطريق فقالت : ((انت كثير ؟)) قال :((نعم))،

(١٠١) السراج ٢ ، ٧٩ ــ ٨٢ .

(١٠٢) نهاية الادب للنويري ٢، ١٢٥ .

(١٠٣) ديوان جميل بثينة ، ٨٣ .

(١٠٤) ديوان جميل بثينة ، ٤٥ .

(١٠٥) ديوان مجنون ليلى ، ٢٩٢ .

(١٠٦) ديوان مجنون ليلى ، ٢٩٣ .

سلوى فيل

٣ قصائد

تواقت

الحب هنا مرمي فوق العتبة .
تهاونت قليلا ، واستحضرت الروح بآلية .
تدخل حدسي تحريفا
(هذا مألوف دوما)
حرنت جنينا يسبح في زاوية عصبية :
(ان احتاج الى ملاح امر مؤسف)
تهيأ صوتي لبكاء جذري (دون تصنع)
صوتي يتكون كالطحلب ،
صوتي يتموج خطافا ،
صوتي ..
همز جوادا وتفجر فوق العتبة .

* *

اكتشاف

كلماتك تتطاير ، ترتد ، كرات مطاطية .
طين في اذني ووجهي مغلق .
(لحظة أتشمم رائحة الزلزال أنوم نفسي مغناطيسيا)
اغوي طمعا جرحا ارعن سريا
لكن الصمت خبيث .
الدرب مقامرة وعرة ؟
(أشحذ تلف جناحي ، واحمل وجهك في عيني جفافا ، مجزرة نزقة)
الحب نواة معطوبة ؟
(تبقى احلامي تعويذة)

.. في باطن كفي اليسرى شامة
لم أرها من قبل .

* *

مسار

الجثة :
تتسلل ذاكرتي ، أفعى باردة ملساء :
(أتهجى خطواتي غافلة ، اتلمس نجما ، فلتة نور، قبرة ، تنزلق اللطمة فجأة : تتفرس عيناي فضولا فرحا اسود ، اجثو ، أدفن في بردى ميتا ، دمه في عنقي ، أدفع ديته وطنا ، يحمل وجهك ، يحمل أسماءك)

الكذبة :
وشمك سمتي
أحمله وهنا ،
وفصالك عمر يتبدد في الريح ، فراشات ميتة .
الضرورة :
العلق النهم يمص دمي .

باريس

قالت :« والله لقد سفل الله بك ، اذ جعلك لا تعرف الا بامرأة » ، قال كثير : « ما سفل الله بي ولكن رفع بها ذكري ، واشار بها امري ، واستحكم بها شعري ».

هؤلاء الشعراء العشاق ، العرب منهم والاوربيون ، يتشابهون جميعا بكون استجابتهم للحب ذات طبيعة متناقضة كما اسلفنا . فهم يحبون المراة حبا حسيا يتمثل بانجذابهم نحو جمالها الجسدي، وما يترتب على ذلك من رغبة وشوق الى التمتع بذلك الجمال ،وغبطة ونشوة حين ينالون ، وحرقة ولوعة حين يحرمون . وهم في الوقت ذاته ، يتسامون بحبهم تساميا يمنح المجنون منهم سمة الموهوب الملهم الذي يرتل اياته الاخرون . لقد سمى التروبادورز سلوكهم هذا Courtesy او gentleness ولا ارى ما يوازي معنى هذين التعبيرين في تراثنا خيرا مما قالته السيدة سكينة واوجزته حين فضلت جميل بن معمر عاشقا وشاعرا :« لقد اغزلت وكرمت وعففت، فانت الذي جعلت قتيلنا شهيدا ، وحديثنا بشاشة، وافضل ايامك يوم تنوب فيه عنا وتدافع ،ولم تتعد ذلك الى قبيح » .

* * *

ان المقارنة التفصيلية التي عقدناها في بحثنا هذا بين التراثين الاوروبي والعربي ، لتشير الى التشابه الفكري بينهما في الاموراالتي تخص الحب والمرأة ،وفي استجابة الرجل وموقفه من كليهما . هذا التشابه لا يمكن ان يكون عفويا او وليد المصادفات ،فنحن نعلم ان الادب العربي الذي عبر عن تلك الافكار كان سابقا للادب الاوربي الذي حواها ، وان وسائل الاتصال وطرق الاحتكاك المباشرة منها وغير المباشرة كانت متوفرة بين العالمين العربي والاوربي ، فليس بعيدا ان يتبنى الاوروبيون المفتقرون للمعرفة والمتعطشون اليها انذاك، نقول ، ليس غريبا انيتبنى هؤلاء القوم افكار العرب واطوارهم مع الذي نعرفه من رقي العرب وتكامل حضارتهم على المستوياتالسياسية والاجتماعية والفكرية .وبعد ، فليس غريبا ان يكون حب التروبادورز صدى لحب العشاق العرب ،وان تكون اهاتهم وبسماتهم رجعا لآهات العذريين وهمسات قلوبهم .

بغداد

---

(١٠٧) ابن قتيبة ، ١ ، ٤١٥ .
(١٠٨) Valency , 35 .

حاتم محمد صكر

العثور على جمجمة المهدي بن بركه

حينما فاجأتني الرياح / استعرت دثارا من البحر .. قلت : ابتدت ساعة الطلق .. ان المخاض الذي ترتجين ابتدا / اسمع الان سيدتي في السهوب الخطى اقتربت ..

والجنين المخبأ في مزود الثورة المقبلة :
باركته الرصاصات / قبل العشاء الاخير ارتدى الموت بزته العسكرية في لحظة من عماد الدماء...
انتضى خنجرا مغربيا / تحصن عينيه نظارتان ..
وفي الجيب اخفى مصير الطفولة .. لم ترتعش شفتاه .. استدار /

فأودع في نصله شارة المرحلة :
اقبل الصحو في لحظة

كنت كابية بين ارجلهم والدماء المريبة / لا تشهدين الاكف التي ارتجفت خلف قفازها .. / والعيون التي لم تخبىء وراء الزجاجات ذعر الضحية والانفجار ..

ابتعدت .. وهم قاسموا الموت وجبته الملكية في حانة مقفلة :

انها لحظة الاختيار .. استفاق الوليد ولم تكتمل بين كفيه بعد الوصية ..

– هل اعلن الجنرال اختيار الرصاصة قبل الاوان ؟ –

استراحت خطى الفجر المغربيين / لم يسالوا عنه في الليل حراس وجدة :

كان الضياء البعيد قريبا
وكان الخيار الذي فاجأ الجنرالات ثانية :
انك المرأة الواحده
تحملين الاجنة عن حقبة كامله
انك الان بين الخناجر
كنت الضحية .. والشاهده
انها لحظة الاختيار : الخطى ابتعدت
انت تقتربين : الخطى ابتعدت
ها هو الطلق ثانية :

يقرأ الفقراء حروف الجريدة .. والارغفه
حيث لا يختفي الخنجر الملكي وراء الزجاج السميك وصالات قصر الصخيرات ..
لا يبحث الموت في جيبه عن مصير الطفولة
هل نرقب البحر يأتي بأردية النسوة المغربيات ..؟

ان المخاض الذي نرتجيه ابتدا
تحملين الاجنة عن حقبة كامله
يسال الفجر المغربيون عن نجمة خبأتها لهم جمجمه
يعبرون اليها السهوب التي لم تطأها الخطى
يقراون الوصية في قبلة الخنجر الميت ..
ينتشرون بآياتها المحكمه

بغداد

ملاحة الخاني

الوجه

هبطت غيمات سود منذرة على قمة قاسيون ، وانسحبت ذيولها الرمادية واطئة تكاد تلامس المآذن المتناثرة المتعالية .

حين قصف الرعد ، رفعت المراة اصابعها النحيلة السمراء تسد اذنيها ، ثم رات الامطار تنهمر وتبلل شوارع دمشق . اغتسلت الدروب واصبحت الجدران انظف ، وظهرت الالوان انصع ، رجعت يداها الى الابرة والخيط تشدان على ثوب أسود بملل ، عاودت حركة الغز مرة مرتين مرات ثم رفعت الخيط فلامس اطراف اسنانها اللامعة . قطعته .

مرة اخرى تقترب من الشباك ، الحياة التي كانت تتدفق حواليها تتــوقف . وفجاة يخلو الشارع من المارة .

تلصق وجهها بالحاجز البلوري الشفاف ، خيط عنكبوتي يفصلها عن الزمن والنـــاس ، تختزن في ذاتها سنين ثرة من غنى عــاطفي وفكري .

المراة لنفسها :

ـ كم يوغل ذاك اليوم في البعد ؟

تومض الذكرى ...

يومها تواعدا قرب حــديقة عامة مستحدثة في حي امتد اليــه العمران ، نيسان كان ينوّر ويعطر . كانت الاشجار نبتات صغيــرة لا ترتفع عن الشبر رقيقة العود ، مستوحشة في أرض غريبة . فجاة ، انهمر المطر ، حبات من لؤلؤ صاف .

يداه كانتا دافئتين تشدانها بحنـــان ، والمطر يغسل الشعر والكتفين ، يعلق بالاهداب ويسيل على الخدين والانف خطوطا عذبة رقيقة تتالق كالقصب ، فيركضــان الى ظل رواق يحتميان ، وينشر فتاها جريدته مظلة من ورق فوق راسيهما .المتقــاربين كعصفورين . انتظرا ، انتظرا ... وفي غفلة من المارة المتناقصين الهاربين قبلها . كانت تلك قبلتها الاولى .

النافذة المؤبدة .

تمسح المدينة بعينيها . المدينة تنتشر ، تتصل بالافق ، تكبر ، وبردى في البعد ينفسح في دروب دمشق ، يغسل ما علق بهـا من اوشاب .

تتحسس ساعديها ، تتنفس بعمق ، لم يطحنها الالـم ، جذورها عميقة ، متشعبة في الروابي والسهول وفي الهواء .

يهدر دولاب الحياة من جديد قويا متلاطما حيا . وهي نقطــة ضائعة مضيعة ، ذرة ، جزيئة من العالم الكبير المتلاطم .

ترخي المراة الستائر الهفافة البيضاء .

تدير ظهرها الى الناس ، تفتل زر المذياع تحركه ، بهدوء تغيــر عدة محطات . تنساب موسيقى حلوة في اوصالها ، رخية ناعمــة ، تستريح على كرسي . يسقط راسها المتعب ثقيلا على رقبتها ، يظل عمودها الفقري منتصبا قويا .

تسمع من بعيد مرسوسة حبيبة قريبة اليها ، تتنبــه للصوت ، تجلس مستقيمة ، تتيقظ عيناها ، تقتحمان البــاب والجدران ... تنتظران المجهول ... ثم لا شيء . الخطى الهادئة على الدرج ابتعدت .

تعود الى جلستها ثانية ، ترتسم على قسماتها الحادة ابتسـامة ساخرة ، تتقلص وجنتاها ، فيخبــو البريق في العينين الذكيتين ، تسكن فيهما الوحدة والوحشة .

المطر ينهمر . صوته يفجر اشواقا غائرة في الاعماق . تفتــح كتــابا :

« صفحات مجهولة من حياة امراة » ... امراة اخرى ضــاعت واضــاعت .

تقرا على زاوية :

« ليتني اقرا لك هذي الكلمات اذا ما فتحت كتــابي هــذا بعد سنين » .

تغلق الكتاب . تتجلد ، تمنع لهفة فتستند الى الحائط . المذيع يعلن عن اغنية ملول يجترها المغني .

عادت الخطوات تقترب عجلى ، نظامية ، كل يوم تقترب ، كـل ساعة ، خصوصا في ساعة معينة من بعد الظهر .

انه رجلها حتما هذه المرة يقترب .. يفتح الباب ، قلبها ينفتح.. تراه بقلبها وبعينيها .. يطل بقامتــه الرشيقة ، ينفث التعب بين شفتيه ، يتاوه ببطء كمن بلغ دار الامان . تحت ابطه رزمة من اوراق كبيرة ومجلات . يبتسم . يضعها على الطاولة ، يحيي بلهفة وعجلة .

ـ مرحبا ..

يرتجف صوتها واهنا :

مرحبا ..

تظل تلتزم مكانها .. تعاند ، تكابر ، تلاحق خطواته التي تتوقف امام غرفة نومهما . تلتصق بمقعدها . تراه بمؤق عينها يفك ربطةعنقه، يرميها فوق كرسي . في نظراته الجانبية ، في عينيه كــلام كثير . وكالعادة ، يلولب اصابعه على نفسها ، يحركها بعصبيــة .. كــان دوما عصبيا .

تتيه افكارها حول نغم قديم كانت ترده كلما تواعدا قرب الحديقة العامة المستحدثة .. حينذاك ، في تلك الايام المبتعدة ، كان الفــرح يفع في العينين ، وتتورد الخدود .. وعلى خشية وخفر ، يقتــرب

الانف من الانف ، فتفغم الخياشيم رائحة الحياة .
تبتسم للذكرى .
ما الذي يبعث الذكرى ؟
يلوح امامها بسنيه الاربعين ، بقامته المشدودة الصلبة ، بعمره الذي انقضى في حرب مع الحياة والمعرفة ، حرب مع القديم والجديد، مع الاشواق ، الاطماع ، المطامح ، الشماتات ، الحسد ، الرياء ، الكذب ..
ماذا حمل هذا الراس ؟ اين هو الآن ؟ اين المتاعب والافراح ، اين المطامح والكفاح والمشقات ؟
يسكن الحزن العينين البنيتين . ملامح وجهها تتصلب ، تترقرق دمعة تظل عالقة بين الاهداب ، وعبر الدمعة تراه ، تراه وبكل خوالجها تحس حضوره .

تنهض بكبرياء ، تغير من وضع الكتب ، تزيحها الى رف خشبي مسمر بالحائط ، تفرش المائدة بغطاء نظيف ، قدماها تسبقانها . صحنان ، ملعقتان .
تطوي الفوطة على شكل وردة ، ينطلق النظر خلف زوجها الغائب تحتويه في اطارها .
ـ هذا صحنك ..
ـ صحني ..
ـ هذه كاسك ..
ـ كاسي ..
تبتسم ، يبتسم .
تجلس على الكرسي مهيبة ، تتامل الافق الرمادي عبر النافذة ، تظل عيناها مسمرتين على الافق ، ثم تتحسس كاسها باطراف اصابعها وترفعها ، تداعب خواطر قديمة ، وتضج في اذنيها عربدات صاخبة : تلصق الكاس بالكاس تقرعهما : تشرب النخب جرعة واحدة ، تستمرىء الطعم المز للشراب المنسرب .
تتاوه :
ـ احقا مضى ذلك كله وانقضى ، وبمثل هذه السرعة ؟!
يثقل عليها الصمت . تقوم الى المذياع ، تحرك ازراره من جديد بغير استعجال . يعلو صوت المذيع متحمسا بلا جدوى :
« انباؤنا بالتفصيل » .
تعود فتجلس امام الطاولة في تادب .
حدقتاها ثابتتان قويتان ترفضان الغياب ، تكذبان الواقع ، تعلوان عليه ، تود لو انها لا تسمع ، لو تتحدث مع الغائب عن متاعبها اليومية، افكارها التي تحوم حوله ، مشاغلها الصغيرة ... فيشعشع صوته في الدار ، يغضب ، يؤنب ، تقسو نظراته ، لكنه يظل الرفيق في الدرب الطويل ابدا .

يخفت صوت المطر ، حياته تتناقص ، المراة خائفة من المطر ، والخوف يتسلل كالخدر الى قدميها الباردتين من المواسير المخربة ، والمياه التي ترشح بين الجدران .
يرتسم التفكير على جبينها . لاح امامها البقال بقامته الضخمة كجزار في يده ساطور ، يلاحقها بنظراته الدبقة ، وانتشرت امام عينيها فواتير الحساب ملأى بارقام مفهومة وغير مفهومة ، وظهر الجيران ببسماتهم وتحياتهم المؤدبة ، لكن المتهربة ...
تحس برغبة الاغفاء ، غير ان عليها ان تتاقلم مع الجديد ، مع هدوء البيت ، السكون ، الوحدة ، وخطوط الهاتف الصامتة ابدا .
التعب يحتل العينين المحمرتين .
عاد صوت المذيع :
« والآن حالة الطقس في الاربع والعشرين ساعة المقبلة ... » .
اخرست الصوت ، فشعرت بالراحة .. ما اجمل الصمت !
نظرت الى الصحنين الفارغين ، داعبت اصابعها الكاسين الى ان ضمت احداهما للاخرى . تلهفت فيها الانثى .
الافكار تتلاطم كخيول في حلبة سباق . مباراة صعبة وشيرة يعسر معها الاختيار . تسيطر على نفسها .
ـ لم اتحدث عن ابننا ، انه يكبر بسرعة .. آه .. انه يسبق عمره . اصبح هو الآخر منذ غيابك متمردا عصبي المزاج ، يجعله التفكير الدائم صموتا عجوزا ، البارحة قبلني وترك دمعة على رقبتي .
تاخذ المراة نفسا عميقا ، تقضم اظافرها ، ثم تمسح باصابعها الطويلة على عينيها الجافتين ، ان كل ما حولها يدور ، الارض تدور وراسها يدور .
ـ تسالني عن السنديانة ؟ اما زلت تدعوه بالسنديانة ؟
« السنديانة يقرأ كل شيء : كتبك . رسائلك حتى الحميمة منها مما كنت تبعث الي في اسفارك .. وضع يده على اشيائنا الصغيرة المخباة في درج الخزانة التي كانت ملكنا ، وليت ترى القطع التي نقشت عليها اسمك :
« شريف بركات » كيف اضاف اليها اسمه .. اصبحت تحمل اسم : « مازن شريف بركات » . بودي لو ترى اليه الآن ... بصماتك على وجهه ويديه وامتشاق جسمه . أضحى اكثر جمالا وقوة . اطلق شاربه الصغير على فم دقيق مزموم ، تماما كما لو ان الحياة عادت اليك ، يقلدك في كل شيء ويربت على كتفي كلما آنس مني غضبا وضعفا ، كما كت تفعل أنت » .
تنظر الى الساعة الكبيرة ، رقاصها يتارجح بملل ، دقاتها كئيبة مرهقة ، ولدها لم يعد الى البيت .. ووجه الزوج الحبيب اخذ يبتعد ، ويبتعد مع دقات الساعة ، كشهرزاد ادركها الصباح ، او كالاشباح التي تختفي مع أولى خيوط الفجر ، ثم لم يعد الوجه سوى نقطة سوداء ، تتارجح في الفضاء وتمحي .
تاخذ راسها بين يديها ، فلا يبين من الوجه سوى الانف والكلمات تبهت على الشفتين وفي القلب .
فجاة يندس مفتاح في الباب وتبدأ حركة قوية في المدخل ..
تنتفض :
ـ مازن ، هذا انت ؟
يطل الابن كالفرحة مثقلا بكتب الجامعة ، بعد ان تخفف من معطفه المبلل :
ـ من غيري ؟! تناولت الغداء ؟
ـ نعم اكلت ، استاخرتك . اظن انني اكلت ..
ـ تظنين ؟
ينظر الى المائدة .
ـ ارى مع ذلك صحنين وكاسين .
ـ لا احس بالجوع .
يقترب منها ، يرفع ذقنها ، ويتمعن في ملامحها .
ـ وجهك لا يعجبني اليوم ، تحسين بشيء ؟
ـ ابدا ...
ـ بلى ، مرة اخرى عدت تتحدثين مع أبي ، حتما .
تنهض بسرعة . تتحرك نشطة ، بهمة ، ومقدرة ، كلا ، انها لا تحس بشيء ولم تتبادل الحديث مع المرحوم . تنقل الخبز والماء ثم تسكب الطعام في وعاء نظيف ، وقبل أن تتجاوز به باب المطبخ ، تتسمر قدمها لحظة ، لا ، يا مازن ، لا احس بشيء . أنا بخير ، كل شيء بخير .
تدخل عليه باسمة . يتناول صحن الطعام . وبدوره يبتسم :
ـ هه ... هكذا افضل . تعرفين ؟ وجهك اجمل بكثير عندما تبتسمين ..

دمشق

(محاولة للكتابة باللون ..)

علوي الهاشمي — العصافير وظل الشجرة

لوركا : ايتها الحرية الحقيقية أوقدي لي نجومك البعيدة .. وداعا

وجففوا النشيج

ـ اللوحة الاولى ـ

اللوحة من الداخل :

مرة ..

راودتني العصافير في النوم :

كانت تنقر فوق جفوني ، وتزقو ..

فتحت مدائن حلمي ، وقلت : ادخلي .. انه أول الليل :

نافذه الحلم مفتوحة كالمدى .

والنجوم البعيده

والنعاس المهوم ، والليل ..

أشرعة للبلاد الجديده .

تتدلى العصـــافير في جسدي جزرا تستحم بخضرة لوني ..

العصافير تنحلّ في جسدي كالندى ، تتفيؤني :

ليس بين دم الشهداء ووجه الوطن

غير لون الكفن

فادخليني ، ادخليني ..

الردى أخضر

والمدى اخضر .. اخضر ...

موصل للبلاد التي خبأتها جفون القصيدة .

●

خضرتي سرّ مفتاح كل الفصول ـ أذكركم ـ

فانتهوا اجمعين اليّ ، انتهوا

أوصل الارض بالبحر بالافق المستدير بخضرة لوني

بأحلامكم بالاغاني الوليدة بالوطن المتلفع بالصحو ..

ينفتح الافق بيني وبين السماء المديدة :

كل جناح على جسدي نجمة أو جزيرة ضوء

تسافر بين دم الشهداء ووجه الوطن

انني أول الليل ، بوابة الحلم ، تذكرة للنعاس الجميل

ادخلوني جميعا .. أذكركم ..

خضرتي سر مفتاح كل الفصول .

اللوحة من الخارج :

في دائرة اللون تسمرت . دوار البحر يغلفني :

أسود .. اصفر .. ازرق .. احمر

احمر .. احمر احمر احمر .. اسود اسود اسود اسود

اصفر اسود احمر اخضر .... ازرق

في جسدي ينحلّ القوس القزحي :

الأسود يلقي ظل عباءته فوقي . جرح في الراس

ينزّ دما أحمر

والموج يحاصر احزاني الصفراء بزرقته الاولى ..

ويفاجئني الزبد الابيض ينحلّ أمامي أجنحة بيضاء

تحلق بي نحو الافق المتوهج بالالوان الشفقية ..

أحمر : ينفتح الجرح على سعة الدنيا

أصفر : ينفجر الحزن المتواثب بين ضلوعي

أزرق : ينهمر الليلك فوق الجرح فيشتعل اللهب

الازلي : الشمس رغيف ينضج في تنور الليل ،

ويأتي الفقراء الجوعى في الفجر جيوشا تحمل رايات

خضراء ، ووجه الوطن المتباهي يتقدمها ...

يتفجر بالخضرة : تنحلّ الالوان جميعا في خضرته ،

ينهض جسد الارض المتعب في شكل امراة

.. تأتزر بنشل (*) اخضر .

أو ينتصب على هيئة شجرة .

●

في دائرة اللون تسمرت :

الاحمر ينفجر الآن ، يدوّم ، يلتهم الالوان الاخرى

احمر .. احمر .. احمر احمر احمر

الارض ، النخل ، الريح ، البحر الغيم الشمس النجم

دوّامة دم

تقذف بي في كل جهات الدائرة المكنوزة بالدم

دوّامة دم

دوّامة دم

ويغلفني الاحمر

احمر احمر احمر

اسقط فوق الارض ذبيحا ، مطعونا باللون الاحمر

احمر .. احمر

اغمض عينيّ : الوطن الاخضر يتسع الآن ..

الجرح يضيق يضيق ، وينهمر اللون الاخضر

تحملني ثانية ساقاي فأنتصب على الارض ، واسقط

أنتصب ، المرة تلو المرة : اسقط انتصب : الاحمر

يتسع ويضيق ، الاخضر يتسع ويضيق .. الدوّامة

تسكن راسي : الاحمر يقذف بي للاخضر والاخضر

يقذف بي للاحمر ،

تسكن راسي الدوّامة ، والوطن المبهور يلاحقني :

أركض .. أركض .. أركض

والمسافات تعدو امامي .. ورائي .. أمامي ورائي أمامي ..

النخيل .. الدماء

النخيل .. الدماء

النخيل .. الد...ماء

النخيل .. النخيل .. النخيل النخيل النخيل

. . . . السماء .

تعليق :

ـ ١ ـ

بين كل انحناءة ظهر وبين السماء ...

انحناءة قوس قزح

ـ ٢ ـ

خلف هذا الزمان الكئيب على ظل وجهك ،

أيتها الارض ..

لمّا تزل ساعة للفرح

شجره

ستظل على جهة من جهاتك منتظره .

(*) النشل ثوب فضفاض مقصب بماء الـذهب ، وحتى فترة قريبة كان الزي الشعبي لنساء الخليج .

ـ اللوحة الثانية ـ

اللوحة من الداخل :

مرة ..

ضيعتني العصافير ، شاخ انتظاري ..
سكنت انتظار السنين التي جفلت داخلي ،
غير ان العصافير ضاعت مع الهاجره .
بين ظلي وبيني مساحة هذي السماء ..
وبيني وبين العصافير خطوة عشق ...
فكيف يقاسمني الرمل في الصحراء مدارات عشقي
وماء الهوى والاغاني ..
وابقى وحيده ؟
تفيأت ظلي .. وأيقنت ان المسافة بيني وبين السماء بعيده
فزحزحت عني عباءة ظلي ، والقيتها من يدي ...
ثم سافرت نحو بلاد تشعشع في الذاكرة :
بين ظلي وبيني انكسار المسافات ،
بيني وبيني : أنا
ليس تخطئني العين بعد ،
وظلي : انا دون ظل ، وليس لوجهي قناع . ولكن..
مرة ..
ضيعتني العصافير ، شاخ انتظاري ...
سكنت انتظار السنين التي جفلت في دمي ،
ثم ضاعت مع الهاجره .

اللوحة من الخارج :

لعبة اللون لم تنته : الرمل اصفر مثل الحرائق ،
والنخل يغفو على النبع ظمآن ، والعشب أصفر
والذكريات المريضة في الراس ، والحزن اصفر
والغيم والنجمة الآفلة
كل شيء تلفعه الصفرة القاتله
كيف تتجه القافله
صوب نبع من الماء أو شجره ؟
كيف يرتاح سرب العصافير في ظلها وهو أصفر مثل المدى ؟
والعناقيد وهمية ، واخضرار الغصون، وتلويحة الثمره ؟
لغة اللون تفصح عن نفسها : الجسد الواحد المتكامل
يكشف سر ترابطه ، القوس يعلن اسراره القزحية :
أن المدى أصفر
فالردى احمر
أصفر .. احمر .. اصفر .. احمر احمر ..
أخضر اخضر خضر ..
ازرق
فجميع الالوان تسافر عبر اللون الاحمر
هكذا كان يوصي الشهيد ، فيعلن سر الشهادة :
« ان الدم موصول بالدم »
أتخونون اليوم وصايا الشهداء ؟
اتخونون دماء الشهداء ؟
ستطاردنا عبر جميع الالوان وصاياهم
« ان الدم موصول بالدم »
أسود .. احمر .. اصفر .. احمر .. اخضر ..
احمر أخضر ...
ازرق ازرق ازرق
هكذا كان يوصي الشهيد ، يفجر نافورة الدم في الارض ،
ثم يموت .. فيعلن سر الولادة .

تعليق :

بين وقت الغروب ووقت الشروق احمرار الشفق
ثم ينتصب البحر أزرق
والنخل أخضر
والشجره
حلوة مثمره
يتساقط منها الندى المترقرق أبيض مثل الالق ..

ـ اللوحة الثالثة ـ

تنامين في أول الذاكره
وتصحين في آخر الذاكره
وتنتشرين على كل خارطة العمر والجسد المتهالك،
نهرا من الوجع المر والحلم المستفيق ..
تنامين غابة صحو ، وتنتشرين مفازة عشق
.. من الراس للخاصره
أتنفرسين اذن
طيف ظل هزيل على الرمل في الهاجره ؟
وتنحل كل جذورك من تربة القلب ،
يسقط وجهك من شرفة الذاكره
فكيف تكونين انت ؟
.. المدى ضيق حول عينيك ، حيث التفت ..
المدى ثقب ابره
اذن كيف يسكن قامتك العمر ،
ينفرط الحلم في راحتيك ،
وتنحل صفرة هذا المدى عبر خضرتك الآسره ؟
وكيف تكونين أنت ؟
وانت تنامين في أول الذاكره
وتصحين في آخر الذاكره
ونهر من الوجع المر والعشق يمتد ما بين نومك والصحو
.. من قمة الراس للخاصره
أتصحين في الهاجره ؟
اذن .. انها الخطوة الخاسره
انها اللعبة الساخره
فاستفق أيها النخل ..
ان البلاد محاصرة بالمكائد والعقم ،
لا ترد الماء من أقرب الارض .. كل العيون مسممة
فاقلب الرمل تحتك ، واضرب بكل جذورك
.. نحو العيون البعيدة
حيث تنتصب الشجره
والمدى أخضر حولها .. واسع واسع
كانفلات المسافات في الذاكره
المدى اخضر
والردى أخضر
والندى أخضر
كل شيء تلفعه الخضرة الآسره
ثم تأتي السماء المديده
استفق أيها النخل ..
بين الغروب وبين الشروق احمرار الشفق
استفق
بين بدء النعاس وآخرة الحلم
. لمّا تزل فسحة للارق .

البحرين ـ بيروت

القضية الفلسطينية
في كتاب ومجلة جنسية

تابع المنشور على الصفحة – ١٣ –

الغربيون ،او بالاحرى فئة خاصة من هؤلاء اليهود الغربيين . ذلك لان الفيلم يشير من خلال صور دامغة لمنازل من الصفيح ولحياة دون المستوى البشري ، بينما يحظى الاخرون ،في دولة تدعي بانها تنتمي الى الاشتراكية الدولية ، بقصور ذات حمامات للسباحة .. يشير الفيلم من خلال هذه الصور الى ان المهاجرين القادمين من الاتحاد السوفيتي يحظون بهذه المعاملة ويعيشون هذه الحياة الفظة في اكشاك الصفيح ككثير من اليهود الشرقيين . ان هؤلاء الذين تركوا بلادهم سعيا وراء وهم الارض الموعودة ، او فردوس الحرية والمساواة لليهود ، يجدون انفسهم يحيون حياة لم تداعب خيالهم في اقسى الكوابيس . ويفقد بعضهم حتى حرية العودة الى حيث اتى ، ويتحمل البعض عذاب الاختيار الاحمق الذي دفع به الى التخلي عن وطنه من اجل حلم زائف وغير يقيني .

ويكشف الفيلم بوضوح ووعي عن السبب الرئيسي في هذا المستوى الحشري للحياة الذي يعيشه اليهود الشرقيون والمهاجرون الجدد الذين يحاول الجميع محاصرة صرخاتهم التحذيرية ومنعها من الوصول الى الذين لم يهاجروا بعد . يكشف عن ذلك من خلال التحليل الطبقي الوثائقي المصور للمجتمع الاسرائيلي .. فالقاعدة الاساسية في هذا المجتمع هي الاستغلال .. ومع ان المجتمع نفسه ينهض على اساس عرقي وعنصري – الا ان الاستغلال باعتباره القاعدة الاقتصادية الاكثر صلابة قد يعمل في بعض الاحيان ضد الاساس العرقي للمجتمع .. هذه المفارقة الحادة يقدمها الفيلم من خلال صورتين بالغتي الدلالة .. اولهما صورة الراسماليين الاسرائيليين وقد هرعوا بعد حرب ١٩٦٧ الى استغلال قوة العمل العربية في المناطق التي وقعت تحت السيطرة الاسرائيلية . لم يهمهم ان ذلك يتم على حساب قوة العمل الاسرائيلية ، ما دامت قوة العمل العربية التي حرمت من مصادر دخلها بالاستيلاء على ارضها او هدم مؤسساتها الاقتصادية ،هي الارخص عند الدفع .. ففي اسرائيل ثمة قانون ينظم الحد الادنى للاجور ويحاول حماية العمال شريطة ان يكونوا اعضاء في (الهستدروت) . والعمال العرب الذين وجدهم الراسمالي الاسرائيلي فجاة في متناول يديه ليسوا بالطبع اعضاء في (الهستدروت) ومن ثم يستطيع ان يدفع لهم اجورا اقل من الحد الادنى بكثير . وفي بلد صغير مثل فلسطين المحتلة فان فرص العمل محدودة .. واعطاء عمل بهذه الاجور المنخفضة للعمال العرب يتم دائما على حساب عمال يهود اخرين .. لكن الراسمال المستغل يجد نفسه ازاء اغراءات الربح يسلك ضد القواعد العرقية التي ينهض عليها المجتمع الاسرائيلي ، ولكنه لا يعبا بهذا التناقض .. ويتحقق بعض اليهود ، او قوة العمل اليهودية بالاخرى ، ان الانتصارات وتوسعات المؤسسة العسكرية الصهيونية ليست مبتهجة كلها كما تصورها الدعاية الصهيونية ، بل انها تحمل البطالة والعوز الى بعض الدور اليهودية .

الصورة الثانية التي يجسد عبرها عنف التناقضات الطبقية تتبلور في مفارقة ساخرة تكشف عن طبقية العدالة الاسرائيلية . فالمفروض ان معظم قوة العمل العربية التي جردتها اسرائيل من مصادر دخلها ليس لها حق العمل في المناطق المحتلة قبل عام ١٩٤٨، ولكنها بحكم قوة قانون الاستغلال الراسمالي تعمل في هذه المناطق، وبالمناسبة فالاعمال التي تترك لها اقسى واشق الاعمال البدنية .ومن ثم فان اصحاب العمل يذهبون الى مناطق تجمع هؤلاء العمال ويتفقون معهم على العمل .. ومع ان المساومة كلها عملية غير قانونية فان البوليس عندما ياتي يقبض على العمال ويتيح لصاحب العمل فرصة الهرب في سيارته الفارهة . ومع ان سيارة البوليس يمكن ان تطارد صاحب العمل وقد هرب في سيارته .. لكنها لا تفعل وتهتم بالتحقيق مع هؤلاء العمال الذين يقفون في جماعات واماكن ممنوعة، تحت ظل الحكم العسكري يمكن اعتبار كل تجمع خطر ، وكل مكان ممنوع الوقوف به . ويطارد البوليس العمال ويحقق معهم .. ليست جريمتهم في الواقع انهم يعملون حيث ممنوع عليهم العمل ، او انهم يسعون للحصول على عمل حيث محرم عليهم هذا السعي ، فلو كانت هذه هي جريمتهم ، لوقع صاحب العمل الصهيوني هو الاخر معهم تحت طائلة العقاب .. ولكن جريمتهم في الواقع انهم لا يزالون برغم كل العسف الصهيوني صامدين احياء .. لم يتخلوا عن بلادهم بعد برغم انتزاع كل شيء منهم .. لم يتركوا البلاد ويرحلوا .. بل لا يزالون يقاومون ويتشبثون بتراب الوطن .

بقيت نقطة هامة يثيرها هذا الفيلم عن طبيعة ووظيفة المؤسسة العسكرية الصهيونية الحاكمة في اسرائيل . وعن طبيعة التربية ذات الطابع الفاشستي التي تتبعها هذه المؤسسة في تنشئة جنودها . هذه التنشئة التي يستخدم فيها حائط المبكى ونجمة داود غطاء لنوع من التربية النازية الجديدة . حيث تستخدم رموز دينية، وجزئيات من اساطير عرقية ، واوهام عن جيش قوي لا يقهر ،وطقوس وثنية تستخدم فيها النيران .. وغير ذلك من الخلط الغريب الذي يذكرنا بالخليط الفكري الذي استخدمته النازية في تاسيس مؤسستها العسكرية .

واخيرا ، وبرغم اهمية هذا الفيلم كوثيقة شبه موضوعية تخرج من اسرائيل وتعرض لاول مرة جانبا من الصورة لم يتح لاحد ان يراه ويسمعه من صوت اسرائيلي من قبل . فان هناك بعض نقاط النقد على هذا الفيلم بالاضافة الى وقوعه تحت سطوة بعض المغالطات الصهيونية ، كتلك التي اشرت لها عند الحديث عن الذي بدا حرب يونيو ١٩٦٧ . فان الفيلم لم يركز على مسالة الهجرة الى اسرائيل بقدر سلام . يتحول معه علاج هذه المسالة الحيوية فيه الى صرخة تحذير لمن تسول له نفسه الهجرة من جديد الى اسرائيل . خاصة وان مسالة الهجرة هذه ليست واحدة من اكثر النقاط تشويها في الدعاية الاسرائيلية والصهيونية ، بل انها ايضا حجر الاساس في الفكر الصهيوني . وهناك الكثير من الحقائق الملموسة والمشوهة حول هذه المسالة ، خاصة والحملة الان من اجل اجبار الاتحاد السوفييتي عبر مختلف الضغوط على تهجير اليهود السوفييت الى اسرائيل . اما النقطة الثانية فهي ان الفيلم برغم ذكره في بداية العرض التاريخي ان اليهود قد عاشوا في البلاد العربية وقبل تاسيس دولة اسرائيل في ظل تسامح ومساواة لم يعرفوها في اي من البلاد الاخرى . لم يضع هذه الحقيقة في مجال المقارنة بالوضع الغريب الذي وجد اليهود الشرقيون فيه انفسهم في اسرائيل .. بل ذكر الحقيقتين متباعدتين وكان لا صلة بينهما . وكان ذكر التسامح العربي مع اليهود في مواجهة التمييز الذي يجد اليهود الشرقيون معه انفسهم مواطنين من الدرجة الثالثة في دولة اسرائيل ، يساهم بشكل اوضح في ابراز حدة المفارقة وفي هدم الكثير من الافكار الدعائية الخاطئة التي تنهض عليها الفكرة الصهيونية . كما انه يساهم في نفي الكثير من الافكار الخاطئة عن ان العرب ينطوون على عداء تقليدي لليهود ، وهو الذي يدفعهم الى محاربة اسرائيل ، بينما الواقع ان الصهيونية هي التي انشات هذا العداء حيث لم يكن له قبل قيام الدولة الصهيونية اي وجود .

مجلة جنسية

اخيرا ياتي دور اطرف واغرب المعالجات التي تناولناها جميعا وهي تناول مجلة (بلاي بوي) الشهيرة للقضية في عددها الرابع من هذا العام .. فحينما رايت على غلاف المجلة ، وجنبا الى جنب

مع الصورة المثيرة العارية التي تستلقي على صفحة الغلاف .. مع اهم العناوين المثيرة لمحتويات العدد ، هذا العنوان المثير ايضا (الحياة والموت في اسرائيل ومصر) اندهشت جدا .. ولما تصفحت العدد ووجدت ان به موضوعين عن اسرائيل ومصر يشغلان اكثر من عشرين صفحة من صفحات المجلة .. قلت فلادفع نصف جنيه استرليني ـ ثمن طبعة شعبية من كتاب محترم ـ في عدد مجلة (البلاي بوي) وامري لله .. فعشرين صفحة في مجلة (بلاي بوي) التي تخاطب المراهقين الغربيين بعدة لغات ، وهم كثيرون ، ليست امرا هينا. ويستحق من انسان مهموم بالصراع العربي الاسرائيلي مثلي ان يلقي عليها نظرة ولو من باب العلم بالشيء .. فكيف يا ترى قدمت مجلة (بلاي بوي) لقرائها الكثيرين حقائق الصراع العربي الاسرائيلي .. ؟ ولماذا افردت اكثر من عشرين صفحة من صفحاتها الانيقة الغالية التكاليف لقضية من هذا النوع وهي التي اعتادت ان توجه كل صفحاتها لدغدغة رغبات القراء الجنسية ؟! .. حتى نجيب على هذا التساؤل علينا ان نعرف اولا ماذا قدمت المجلة في هذه الصفحات.

من الوهلة الاولى تحاول المجلة ان تعطي لقارئها انطباعا زائفا بانها تنحو منحى موضوعيا في معالجة مثل هذا الموضوع الشائك.. اذ تتناوله في دراستين منفصلتين ، احداهما بعنوان (ضريبة الدم في وقت الحصاد) بقلم هربرت جولد تتناول الجانب الاسرائيلي ثم تليها دراسة اخرى بعنوان (الانبعاث) بقلم مارشال فريدي تتحدث عن الجانب المصري .. وقد خصت المجلة امعانا منها في هذه العدالة الموضوعية احدى عشرة صفحة ـ كاملة لم نعد معها الاعلانات او النكات او الصور العارية ـ للدراسة او المقالة التي تتحدث عما جرى على الجانب الاسرائيلي اثناء وبعد حرب اكتوبر ١٩٧٣، وتسع صفحات كاملة ايضا لما حدث على الجانب المصري .. ومن البداية ، وقبل ان نحلل ونلخص ما دار في كل دراسة على حدة احب ان اشير الى ان الوضع الذي قدمت به المجلة هذا التناول المطول للنزاع العربي الاسرائيلي ، والذي حاولت من البداية ان توحي بموضوعية موقفها منه ينطوي على مغالطة جذرية وهي ان الصراع ليس صراعا مصريا اسرائيليا بقدر ما هو صراع عربي وفلسطيني اسرائيلي . فالمجلة تريد ان تقدم لقارئها الموقف على انه صراع بين دولتين في منطقة واحدة هما مصر واسرائيل ـ تضعهما على قدم المساواة ـ ناهيك عن تحيزها الواضح في المعالجة والذي سيتكشف بعد قليل . وتسقط من حسابها تماما وجود شيء اسمه فلسطين او الفلسطينيون ، او وجود عالم عربي له قومية واحدة ومصير واحد زرعت في وسطه هذه الشوكة الاسرائيلية الاستعمارية لتمنعه من الوحدة والقوة . ولتساعد القوى الاستعمارية على تمكين نفوذها فيه .. لكن قبل ان نستطرد في تحليل الموقف الحقيقي للمجلة من الصراع العربي الفلسطيني ـ دون ان ننسى بالطبع انها مجلة امريكية ـ علينا ان نقدم للقارىء اولا نوعا من الملخص التحليلي لما قدمته في الدراستين ، او بالاحرى قراءة عربية لهاتين الدراستين قبل ان نتحدث اليه عن بعض ما تنطوي عليهما هاتان الدراستان من رؤية زائفة وخبيثة للقضية الفلسطينية والعربية عامة . وسابدأ بالدراسة العربية مع ان المجلة قدمت الدراسة الاسرائيلية اولا.. آسف لانني قلت العربية فهي ليست كذلك ، وليست حتى مصرية ولكنها دراسة امريكية الرؤية عن مصر ـ او عن ما تتوهم امريكا انه العدو السابق لسياستها في المنطقة ..

يبدأ المقال بتصوير العبور على لسان الجندي الاسرائيلي الذي بعث باشارة لاسلكية الى قادته من خط بارليف يقول فيها ، الاف منهم يسبحون نحونا .. يا الهي .. كما لو انهم الصينيون قد قدموا عابرين الينا » .. لكن هذه الاشارة المتعاطفة معنا لا تخفي انحياز الكاتب الى الرؤية والتفسير الاستعماري والصهيوني للاحداث .. وان كان التقاطه لبعض الاحداث والجزئيات التي عاشها ابان زيارته لمصر بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ تعكس بعض الجوانب الموضوعية للحقيقة ، وخاصة فيما يتعلق بالموقف من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي كما تمثله مختلف وجهات نظر الطبقات المتباينة في المجتمع المصري .

ومن هذه المواقف التي تعكس بعض جزئيات الموقف الاجتماعي من اميركا .. حديثه عن سائق التاكسي الذي اقله من المطار الى الفندق .. فحينما ساله عن جنسيته واجاب انه امريكي .. قال له « لو عرفت انك امريكي لما اخذتك معي ولما سمحت لك ان تركب تاكسي .. فكل الامريكيين رديئون . رديئون جدا .. انهم يساعدون اسرائيل لكي تقتل المصريين ، ان روسيا تبيع لنا السلاح ونحن ندفع لكن كل هذا لنا .. هذه ارضنا وهذه اشياؤنا .. اما الامريكيون، فانا اقول لك انهم قتلوا اخي واختي في السويس عام٦٧ بطائراتهم الفانتوم .. لو عرفت انك امريكي قبل ان تركب لما اخذتك معي ابدا » .. ولما توقف التاكسي في اشارة المرور ، حيا السائق احد جنود المرور وتحدث معه وفي نهاية الحديث استدار سائق التاكسي وقال له « اترى انه هو الاخر يوافقني على ان الامريكيين رديئون جدا وشريرون » .. لكن عندما تحرك هذا الصحفي الامريكي الى عالم اجتماعي اخر .. حيث يعرف مواطنا من الذين كان يتجاوز دخلهم في العام ٢ مليون دولار قبل عبدالناصر يقال له فوزي ومعه مجموعة اخرى من اعضاء نادي الجزيرة .. وحكى لهم قصته مع سائق التاكسي وعسكري المرور .. اعتذروا له بشدة .. وقال له احدهم .. « ان ذلك محض هراء .. هل اخذت اسمه او رقم سيارته .. لا اهمية لمسالة اخيه او اخته..ان ذلك شنيع وغير متسامح » .. اوه ياروح البوليس القذرة في ما يسمونه بعصر الحريات !. ويقدم لنا الكاتب تنويعا اخر عن نفس النغمة حينما يقول له مواطن قاهري مرموق ـ حسب تعبير الكاتب ـ في معرض الدفاع عن تدله المصريين في هوى امريكا « ان المسالة مثل ان تعشق فتاة ولكنها كل مرة تعاملك بطريقة سيئة مرة ومرة ومرات .. وتقول لك اذهب الى الجحيم .. بعد فترة فانك ترغب في ان تقول لها نفس الشيء .. ترى ماذا حدث لامريكا ؟.. الم تتيقن بان هناك ١٠٠ مليون عربي يموتون رغبة في الارتباط بها والالتحاق بالغرب ؟ .. بحق الجحيم اي شيء مشترك بيننا وبين الروس .. هؤلاء البطاطس الشيوعية ؟! احب ان اقول لك ان هذا هو اجن زواج في التاريخ .. لكن اي اختيار لعين دفعتنا اليه امريكا ؟ » .. هذا ما يقوله له المواطن القاهري المرموق جدا وهو يدافع باسم مائة مليون عربي عن امريكا .. لكن الكاتب يقدم لنا جزئية واقعية اخرى تشككنا في حديث هذا المواطن المرموق ـ.. فعندما توجه الى خط بارليف في سيارة جيب مصرية كان هناك جندي مصري يجلس في المقعد الامامي ومعه سلاحه الاوتوماتيكي .. وعندما ساله عن جنسية سلاحه اجاب « انه سلاح روسي .. انه الافضل » ولما توغلت بهم السيارة قليلا في داخل منطقة ٣/٢ ١ ٪ من جزيرة سيناء الذي عاد الى السيطرة المصرية (*) المحدودة شاهد حطام الطائرات الامريكية الصنع ، وعلى ذيل طائرة (سكاي هوك) محطمة .. والى جانب نجمة داود الاسرائيلية كانت هناك العلامة التجارية التي تقول « شركة دوجلاس لصناعة الطائرات .. لونج بيتش . كاليفورنيا » .. فهل كان هذا دليلا في جانب سائق التاكسي وعسكري المرور ضد المواطن القاهري المرموق .. حيث السلاح الحي في اليد المصرية روسي وحيث الحطام العدو الميت فوق رمال سيناء امريكي الصنع ..

(*) يقدر الشريط الذي تتناوله اتفاقية فصل القوات على الجبهة المصرية بـ ٥ ٪ فقط من مساحة سيناء .. مقسمة الى ثلاثة شرائط طولية متساوية احدها للقوات المصرية المحدودة والاخر لقوات الامم المتحدة والثالث لقوات اسرائيل المحدودة اما بقية الـ ٩٥ ٪ من مساحة سيناء فلا تزال تحت الاحتلال الكامل .

لكن الكاتب لا يتركنا طويلا عند هذا الجانب من الحقيقة .. بل يتحرك بنا مرة اخرى في سهرات الارستوقراطية ، ويستدعي لنا ذكرياته عن حفلات (مرضعة قلاوون) كما يسميها الشيخ امام.. هذه الحفلات التي تعطي المواطن (فوزي) احساسا حقيقيا بانه عربي كما يقول « ذلك معنى ان تكون عربيا .. انني احس بانني عربي مثلما احس عندما استمع اليها تغني . ان ذلك مثل ان ترتد الى الكنيسة بعد غياب طويل عنها » فيا له من مفهوم طريف عن العروبة التي يستشعرها الانسان في حفلات ام كلثوم .. عروبة التذكرة ذات العشرة جنيهات .. لا عروبة الامل المشترك والنضال المشترك .. فهذا المواطن المبجل فوزي الذي عاش على هامش المجتمع طوال السنوات العشرين الماضية والذي يتمسك بعنف بلحظة الانبعاث لم يشعر بعروبته اثناء المعركة ، ولكنه وجدها في حفلات ام كلثوم ..

وبنفس الطريقة الامريكية في تجميع الجزئيات المتعارضة وذات الدلالة يجمع لنا الصحفي الامريكي في مقاله الطويل ذاك مجموعة اخرى من الجزئيات .. ما قاله له البعض في امريكا عندما اندلعت حرب ١٩٧٣ من ان العرب قد جنوا ، وانهم بذلك يوجهون دعوة الى الدمار الكامل لبلادهم .. كان ذلك في اليوم الثاني من اندلاع الحرب .. ولما توالت الايام وتبين ان الدمار الكامل يقترب من اسرائيل وليس من العرب بدأت امريكا تمد اسرائيل بعصا موسى التي قد تنقذها من اليم .. بعد ان تكسرت كل عصيها السابقة على صخرة التيكنولوجيا الروسية في يد الانسان العربي المثقف المتطلع الى تحرير بلاده من كل سيطرة استعمارية .. فبهذه الامكانيات الامريكية وحدها امكن للمؤسسة العسكرية الصهيونية ان تتجنب الانهيار ، وامكن لها ان تعوق الانسان العربي ، مؤقتا .. واشدد على مؤقتا عن تحرير ارضه واسترداد حقه في وطنه .. وهذه الحقيقة التي يذكرها الكاتب بسرعة اصبحت الان شيئا معروفا في الغرب يدرس الجميع كل تفاصيله .. وهو ان اسرائيل بالفعل كانت على حافة الانهيار ، وان العرب ايضا كانوا على حافة الاستعادة الكاملة لحقوقهم .. لولا ان اندفعت امريكا بكل ثقلها تؤيد اسرائيل في الاحتفاظ بالارض التي احتلتها ، وتمنع العرب من استرداد حقوقهم .

اما المقال الاسرائيلي فهو بالفعل اسرائيلي تماما .. كتبه يهودي امريكي .. آسف صهيوني امريكي .. هاجرت ابنته الى اسرائيل .. وكان جزعه على اسرائيل وقت الحرب جزعا على فلذة كبده حقيقة لا مجازا .. والمقال بعنوان (ضريبة الدم في وقت الحصاد) بقلم هربرت جولد .. والكاتب يبدأ مقاله بالاعتراف بانه يهودي، وصهيوني ايضا .. بمعنى انه تواق توقا شديدا لانه يموت ويحيا من اجل اسرائيل .. وانه اكتشف نفسه عندما اكتشف القدس .. وانه سافر في العام الماضي الى اسرائيل ثلاث مرات .. كانت الاولى لكي يكتب ـ كما يقول ـ عن حياة اليهود الروس الذين هاجروا الى اسرائيل بعد احتجازهم ٥٠ عاما خلف الاسوار السوفييتية التي لانت اخيرا للضغط الامريكي . وكانت الثانية في اغسطس لكي يحضر مؤتمرا دوليا في القدس للكتاب والفنانين حيث كانت اسرائيل على حد تعبيره تغلي بالامل والفرح ، وحيث كان ما يعده العالم الخارجي خطرا مجرد تحد جديد لهؤلاء الناس الذين يحسون بان الصحة في الخطر .. اما الثالثة فكانت في اكتوبر ـ لا حيث عاش ممارسة هؤلاء الناس صحتهم وقت الخطر كما قال قبل سطور ـ بل حيث الاظلام والحرب والارهاق على الوجوه التي عراها الشحوب .. ومن البداية يصف لنا هربرت جولد المشهد على الجانب الامريكي ، وكيف احتشد الاف الاسرائيليين والامريكيين في طوابير طويلة انتظارا لحجز مكان على كل الطائرات المسافرة كاملة العدد اثناء بدايات الحرب الى اسرائيل. وكيف ان بعض المودعين ، وقد امتلأوا بوهم الاقتدار الاسرائيلي الكاذب يقولون لمن يسافرون للالتحاق بالجيش « انهوها بسرعة ثم عودوا الينا مع بداية الاسبوع القادم » فالحرب مع العرب في نظر هؤلاء الامريكيين مثل غزوة امريكية على اكواخ الهنود الحمر ، ينجزها (الشجيع) بسرعة ويعود واثقا من النصر .. نفس النغمة الامريكية التي قالت ان العرب وجهوا دعوة سافرة للدمار ببدئهم هذه الحرب. ويصف لنا الكاتب كيف ان الطوابير كانت تمتد لمدة خمسة ايام في المطارات الامريكية المختلفة . وكيف ان معظم المسافرين اما طلبة مستدعون الى الانضمام الى وحداتهم او سياح اسرائيليون قطعت عليهم الحرب المتعة بسياحتهم الامريكية ، لتستبدلها في ظنهم بسياحة سريعة اخرى على الجانب العربي يعودون منها باسخى الحصاد . او امريكيون متطوعون ، يقول ان معظمهم اطباء متطوعون لمعالجة الجرحى ، او صحفيون يريدون متابعة الاحداث .. المهم ان الجميع يغمرهم هذا الاحساس ، او قل هذا الوهم بان المسالة كلها مجرد نزهة الامريكي في ربوع الهنود الحمر .. او هي لعبته المفضلة بهم وعلى حسابهم .. غير ان هذا الاحساس وهذا المشهد كان يعكره صوت نشاز ـ في راي الكاتب .. هذا النشاز الوحيد هو امراة اسرائيلية تشنج في بكاء مر متواصل .. هي عائدة ، لا لتشارك في هذه النزهة المتوهمة ، بل لتشارك في دفن ابنها الذي قتل في الايام الاولى للحرب ، وقد علمت اليوم ـ كان هذا اليوم الذي يكتب عنه هو ١٠/١٣ لانه يكتب مقاله في صورة يوميات ـ فقط بالرقم الحقيقي للقتلى . ومن هنا فهي الحقيقة الوحيدة وسط مشاعر من الوهم المتواصل ، او هي الارهاص بما سوف يقابله الصحفي الامريكي في رحلته الثالثة المختلفة المذاق الى اسرائيل .. وتمضي الرحلة ، ويعثر الصحفي الصهيوني على مكان الى اسرائيل ، ويسافر مع نفس السيدة الباكية طوال الرحلة والتي وجدت سيارة رسمية تنتظرها على الممر عند باب الطائرة لتاخذها مباشرة لدفن ابنها الذي انتظرت جثته عدة ايام .

وبعد وصف الرحلة يعالج المقال موضوعين اساسيين خلال مجموعة من اليوميات العديدة التي تمتد الى ما بعد وقف اطلاق النار .. الموضوع الاول هو محاولة اعطاء معاناة اسرائيل والصدمة او الضربة القاسية التي تلقتها وجها انسانيا مؤثرا جدا يستدعي عطف العالم ويستدر عواطف القراء .. والثاني اثارة مجموعة رهيبة من المغالطات عن القضية وتقديمها بشكل يوحي بانها الحقائق او البديهيات المسلم بها حول هذا الموضوع .. ولنتحدث اولا عن جهود الكاتب في المجال الاول .. تلك الجهود التي تبدأ منذ عنوان المقال ذاته (ضريبة الدم في وقت الحصاد) .. ففي موسم جني المحصول الرئيسي الذي يعتمد على تصديره الاقتصاد الاسرائيلي وهو البرتقال والموالح المختلفة ، جاءت الحرب تطالب الناس بان يتركوا الحصاد ويدفعوا ضريبة الدم .. هكذا يسميها ، بينما هي في الواقع ضريبة الاغتصاب والعدوان . تلك الضريبة التي لا بد ان تدفعها اسرائيل ما دامت مصرة على احتلال ارضنا ، والتي علينا نحن ان نجبرها على ان تدفعها كل يوم ، لا ان نضع بيننا وبينها قوات الامم المتحدة التي تحمي امنها وتضمن لها البقاء آمنة في اراضينا المحتلة . ويصف الكاتب كيف كانت ضريبة الدم هذه باهظة .. ها هي اسرائيل كلها وقد باتت بلا رجل قادر على العمل ، كل بنيها يقاتلون بالاسلحة الامريكية من اجل ما تسميه المؤسسة العسكرية امن اسرائيل ، وفي الواقع من اجل العدوان والتوسع .. وها هم المتطوعون الامريكيون يتدفقون على اسرائيل لمعاونتها في كل شيء .. ولم يعد في كل اسرائيل سوى الصغار والعجائز والجرحى .. لم تبق حتى سيارة لنقل ما يمكن للصغار جمعه من المحصول .. (يا حرام !) .. والمهاجرون الجدد ينزلون من الطائرات ويتوجهون راسا الى العمل ، وخاصة الاطباء والممرضات ، لا يجدون حتى فرصة للراحة من طول السفر (يا عيني !) .. والرعب يسيطر على كل شيء .. ويصبح جزءا من الحياة اليومية ،

فهذه فتاة ترفض الزواج الا اذا زودت شقتها بغرفة مضادة للقنابل تحمي اطفالها .. لقد بدا الرعب يدخل الحياة اليومية للاسرائيلي ، وهذا هو دورنا في اي حرب .. ان ننقلها الى هناك ، ان نجهز على الوهم القائل بان اسرائيل هي آمن مكان لليهودي .. بل لا بد ان تكون اخطر مكان عليه ، وان يحس يهود اسرائيل بان لا حياة لهم في ارض الاخرين وان يشعر يهود العالم بان المكان الذي يعيشون فيه آمن بالنسبة لهم من اسرائيل مهما كان هذا المكان وايا كان .. ولهذا السبب نفسه كان احساسي بعظمة العمليات الفدائية الاخيرة للجبهة الشعبية (القيادة العامة) وللديموقراطية .. ويمكن لمن يقيس عنف الرد الاسرائيلي باعتباره دليلا على فداحة الصدمة ان يتيقن من اهمية هذه العمليات الاخيرة ومدى تأثيرها على المجتمع الاسرائيلي نفسه ، وعلى الحركة الصهيونية في العالم الخارجي .. ومن يعيش في الخارج من العرب ويهتم بدراسة منحنيات تطور الواقع العربي على مرايا الخارج يمكنه ان يدرك ايضا طبيعة السعار الذي انتاب الحركة الصهيونية نتيجة لهذه العمليات التي جعلت كل من يرغب في الهجرة الى اسرائيل يفكر مرتين ، وكل من يرغب في الهجرة منها يسارع بحزم حقائبه والهروب باسرع ما يمكن .. وليس ابلغ على تصوير حالة اليأس التي بدأت تنتاب الاسرائيلي عقب حرب اكتوبر من قول الشاعر الاسرائيلي (موشي دور) لهذا الكاتب الصهيوني الامريكي .. اننا في وضع ماساوي .. ان علينا ان نخوض حربا كل ستة او سبعة اعوام حتى يتم دمار اسرائيل او تنهار الروح اليهودية .. ان هناك ثلاثة ملايين وضعوا انفسهم في وضع ماساوي الان .. اما استاذ الدراما في الجامعة العبرية (جيرشون شاكيد) فانه يقول له .. ان المهم بعد كل هذا ان يتكلموا معنا وان يعقدوا معنا سلاما .. فهذا هو المخرج الوحيد لاسرائيل من ازمتها .. فهل يمكن للعرب ان يتنبهوا الى ان عليهم الا يتكلموا مع اسرائيل الان والا يعقدوا معها سلاما .؟ .. حتى لو تيقن بعضهم من العجز الان ، هل بامكانهم ان يكفوا عن المصادرة على المستقبل ، فربما استطاع الجيل القادم ان ينجز ما لم ينجزوه هم ؟..وهل تنبهوا ان الثمن الذي تعرضه اسرائيل لامنها ستدفعه من ارضنا نحن .وان اسرائيل لو كانت تريد السلام لا التوسع للزم عليها في اي محاولة للسلام ان تقفل باب الهجرة اليها في وجه اي قادم جديد ؟..

من خلال جزئيات عديدة ، وذكر لاسماء شخصيات مجهولة ، وتصوير مفصل لوقائع من المعاناة عديدة ، ولشلل الاقتصاد والحياة الاسرائيلية كلها اثناء التعبئة .. يحاول الكاتب ان يعطي عذاب اسرائيل وجها ملوما يجلب لها العطف والتعاطف . لكن اهم ما ياخذه العربي من هذا الوصف هو الاهمية القصوى لحرب استنزاف طويلة على عدة جبهات تجعل اسرائيل مضطرة الى تعبئة طويلة ينهار بها ومعها المجتمع الاسرائيلي خلال شهور قليلة .. فهل ثمة امل قريب في حرب من هذا النوع بعد مهارة كيسنجر الالعبانية ، وبعد لعب الاميركيين النووية التي يريدون ان يهددوا بها مصر واسرائيل فيمنع تحت تهديد الرعب النووي اي حرب في المنطقة ويرسخوا اسرائيل فيها للابد ؟!

اما الجانب الاخر في المقال ، وهو جانب المغالطات الرهيبة التي يقدمها الكاتب وكأنها حقائق فهي عديدة ، وبعضها ساذج لدرجة انني لا احتاج الى الرد عليه في العربية ، وان كان لا بد للاعلام العربي والرسمي ان يبذل جهدا للرد عليه في المنابر الغربية حيث تنشر هذه الاكاذيب .. لكن بعضها الاخر حقا يثير الاهتمام .. مثل مغالطة ان اسرائيل منحت العرب السلام والانسحاب الكامل من اراضيهم لكن العرب رفضوا هذا .. ومثل مغالطة ان اليسار العالمي الذي يؤيد الحق العربي يقف مع شيوخ البترول ، وهذه احدى صور تقديم الحقائق الى العالم الغربي بصورة ساحرة ومشوهة .. ومثل مغالطة ان سبب الحرب في الشرق الاوسط هو ان روسيا تريد بترول العرب .. فمن من قراء مجلة (البلاي بوي) يعرف ان لدى روسيا فائضا بتروليا ضخما .. وان العالم كله ليس كالغرب شديد التعطش الى البترول العربي ومثل مغالطة جولدا مائير حينما قالت له ((من يتنكر بيسافرا الان)) وكأن العالم ينسى بعد فترة .. وهذا ما تعتمد عليه اسرائيل .

وفي النهاية بقيت خاطرة تحيرني .. لقد هزمنا بالفعل عام ١٩٦٧ وكان حجم الهزيمة كبيرا .. لكننا بعد هذه الهزيمة اتخذنا موقفا صحيحا من القضية العربية الاسرائيلية ، عندما رفضنا الاستسلام لاسرائيل وعقد اي سلام معها ، ورفضنا التنازل عن اي شبر من اراضينا .. ورفضنا المساومة على حقوق الشعب الفلسطيني .. وما يحيرني هو اننا وان لم ننتصر انتصارا كاملا على اسرائيل عام ١٩٧٣ بسبب الدعم الامريكي الرهيب لها في ميدان القتال .. فقد وضعنا اقدامنا بالفعل على طريق النصر والحقنا باسرائيل ضررا احست معه بان احتفاظها بارضنا ليس بلا ثمن .. ومع كل ذلك نستعد لنجلس مع اسرائيل ونسالمها ونتفاوض معها .. ونتنازل عن اراضينا او عن جزء منها ونساوم على الحق الفلسطيني .. اقول نستعد لان هذا ما يلوح في الافق الان .. خاصة بعد ان جلسنا بالفعل معها ووقعنا على الصعيد العسكري بعض الاتفاقات .. فهل كان لا بد ان نضحي ونحارب ونوشك ان ننتصر حتى نسلم في بعض ما رفضنا التسليم فيه عقب الهزيمة ؟!.. ولو سامحت الاجيال القادمة جيلنا ، لانه ضعف او فرط او حتى انهزم ، فهل ستغفر له انه صادر على مستقبلها وعلى قدرتها على استرداد الحقوق العربية السليبة ؟!... وهل وقعت المنطقة العربية تماما في شراك الصهيوني الماكر كيسنجر وفي احبولةالاستعمار الامريكي ؟! .. هذه تساؤلات مؤرقة لا استطيع لها جوابا .. فهل عند احد منكم عليها اجابة شافية ؟

لندن

علي بدر الدين

أكرم يبحث عن بردى

بعد اربعة ايام من معايشة الجرحى في ساحة الحرب رجع الدكتور نزار براق الى بيته في ابي رمانة في دمشق في العاشر من تشرين وما ان راى اطفاله حتى قصفت اسرائيل منطقة ابي رمانة فراح الدكتور واطفاله ضحية القصف الوحشي ووجدوا اكرم الطفل «مقطوعا من نصفه وابوه يحتضن نصفه الاعلى ..

اتاك حديث دمشق ..؟
يسألني فاغض اللغة المقهورة .. بردى العاشق
بردى الموال المغسول بجرح الارض
يحملني لسماء الغوطة يزرعني في وهج اللغة اللهابه
دهشه
يطرحني في باب دمشق.. ارى الاطفال يحجون الى تشرين حمامات
تشرين القمر المتجول في الساحات
وفي المقل ..
يرسم في سفح الجبل
طفلا من نور من حب من قبل
ينسجه في عرس الجولان وشاح نهار عربي
يطبعه في وجه التاريخ علامه
يتركني بردى في باب دمشق ويمتد الى تشرين
ويغسل بيديه دموع الحارات ويجلو صدأ
الاعين .. يحتضن الطفل الميلاد .. ويرعد في
وجه الزمن المقهور .. النهر العاشق يرعد .. يتوضأ
بالفرح الدموي الغامر
بردى بالدم يختضب
بردى يشربه الغضب .

* * *

في باب الغوطة ابكي
يغمرني بالفرح الشجر
فأحاورها .. تنزع عن جسدي اللغة المقهورة
تلبسني لغة الدم والحب تحاورني .. تغرسني جذرا
في رحم الارض .. وتعبر بي لدمشق ..
لساحات دمشق .. الى حيث يعمد بردى طفل
الفرح .. تعانقني احداق الاطفال .. تحاصرني
ادمعهم .. دمهم ..
يتنفس فينا الزمن .. الوعد .. وتكبر لغة الدم
والحب وتزدهر ..
انمو في اعراس دمشق .. وتنمو معي الاحداق
واشجار الميلاد .. ونمتد الى اطفال السفح بشائر
فتح .. شارات ولاده .
والاطفال المنشورون على افراح دمشق
يحتضنون القمر المتجول .. تشرين .. ويجترحون
صليب الليل .. يصيحون الساعة ولد الفجر
الساعة فجرنا ميلاده .
بحثوا عن بردى لم يجدوا في بردى لغة العشق
ولغة الفرح اليومي
بحثوا عن اكرم في اقبية الفرح المزروعة في
ساحات دمشق فلم يجدوا اكرم فيها
فتحوا اكمام الشجر المغسول بخمر الاعراس
فلم يجدوا أكرم
صلوا ليعود .. وغنوا ليعود .. واوصوا الزهر
الاوراد بأكرم ..
والعودة حلم ليلي .. ونهار الفرح العربي يضج
واكرم يبحث عن نصفه .
وأبوه يحدثه عن جرحى الحرب وعن لغة الحرب
.. وعن فلذات الاكباد المزروعين على الجولان ..
يعيدون الفجر الى اطفال دمشق
واكرم ينصت .. اكرم يطلب من والده ان
يأخذه معه .. ليقبل احداق الجرحى .. ويهم
فتفجاه اللحظة ..
اكرم يبحث عن نصفه
اكرم يبحث عن جرحى الحرب .. ويبحث عن
بردى ليعمده .. بردى يرعد في ساحات دمشق
النهر العاشق يرعد .. بردى بالدم يختضب
بردى يشربه الغضب
قاس هذا الزمن الافعى
قاس تاريخك يا اكرم
ما بين العاشر من تشرين وحتى العاشر

من شهر محرم
حرملة (١) الرمز المتجدد
يقعي في كل اللحظات .
ويغتال الفرح المرسوم على مقل الاطفال
ويرجع مختالا لبلاط الخلفاء الامراء ويستبق
الغنم واوسمة الشرف الاخاذة
حرملة الليل المتعاقب والريح التصفع كل خميله
ما زال يسدد في نحر الاشجار وفي خصر الاوراد
نباله

ما زال يهدم كل جديله
ترسمها لغة الدم والحب قوارب للفرح
الموعود .. هوادج للشمس العربية

ـ بشارة الفرات ـ

كالحلم يستوقفني الفرات عند بردى
كالحلم يدفع الردى
ويمسح البكاء عن دمائنا
دمشق .. والاطفال .. والشجر
ويرتدي مواسم التاريخ
يرفع الحسين والرضيع في وجوهنا
ويصرخ : افرحوا وثوروا
ليبدأ العبور
للزمن الشرير
للغة الجديدة التي يجيدها
اكرم يستعيدها
وهو يعانق الحسين والرضيع في معاقل الشهادة

اغيب خلف ظل قاسيون خلف اكرم المهاجر
الذي اضاع نصفه في طلقات الحشر والولادة
اركض نحو البيع التي نصبها تشرين للعبادة
اغرق في لهاثي الحزين يستعيدني الفرات
اركض نحو بردى المخضب الحرون يستعيدني
الفرات

يستعيده
وتشرب الاشجار فرحة الخطى
تصيح فلتنتفض الحروف والعزائم
ها زمن الفرات قادم
ها زمن الفرات قادم

حاروف (لبنان الجنوبي)

---

(١) حرملة قاتل رضيع الحسين

سمير تنير

جسد البحر

الساعة تقول السادسة . يتحرك العقربان دون ان اسمع التكتكة. كانت بعيدة ومعلقة فوق الباب الرئيسي للمكتبة . الشمس انحدرت الى افق مغموس بالزرقة ، والبحر بعيد متماسك . رفعت يدي الى جبيني . هل انحدر الى البحر ؟

عندما جلست على المقعد في الحديقة التقطت سيكارة . يدي لم ترتعش عندما اشعلت الثقاب .

خطواتي صفعت الطريق وانا انحدر الى البحر . كانت الاشعة تنسحب من أرض الشارع ببطء لتعشش في أعالي الاشجار وعلى سطوح البنايات العالية . كان الناس قد تحولوا الى ظلال نحيلة تهرب في كل الاتجاهات . الاضواء البرتقالية واضواء النيون انبثقت من المحلات والمقاهي . من العتمة كانت أصابع النور تمتد وانا اغوص في المنحدر .

جسد البحر يتلألأ والشمس تكاد تغرب . أثواب بيضاء لاشكال رائعة تغيب وتختفي مع الشفق . لاحت لي فتاة صغيرة بثوب أبيض . كانت ضئيلة الغاية . مصباح الشارع ينفض دائرة الضوء عليها . تروح وتجيء في مجال النور . اصبحت أمامي كصورة متألقة . الضوء يتناثر فيكشف ملامحها ، ويكشف وجهها أبيض ساكنا ينهمر على جانب منه شعر أسود . ذراعاها تتراخيان حولها كنبعي حليب دافىء . نظرتها طارت اليّ كدبوس مكسور لامع . تعلقت عيناي بالمصابيح التي تعلقت بالنور ، تبصق الضوء ، ترتفع مع الطريق .

الشارع خال . تناثر بعض صغار الباعة ، يصرخون ويتحدثون وينادون . أصواتهم بعيدة وخافتة كخوف مبهم امتلك طفلة نضرة . عيناي لا تفارقان الزرقة . الزرقة تذوب .

(شفة حمراء بلوزة حمراء الريح صفرت وهدرت تكت الساعة اضاء الباب غاص الباب في الظلمة النافذة سوداء انصت الى الصمت ابي لم ينظر اليّ طارت نظرته الى النافذة عادت الي الباب الاسود اضاء الغرفة لم ينظر الي عاد الي الشفة حمراء الظلام يمتلك الغرفة الباب اسود) .

اغنية الموج الشرسة تتعالى بنغم يتصاعد كحمائم منعورة . يتراقص النور ، الاضواء تختلط وأنا ابتعد (النافذة سوداء نقاط حمراء قميصها الابيض شفاف نظرتها طارت الي قميصها أبيض شفاف احسست لمس يديها الحركة اللانهائية في صدري نبضت كأمطار ربيع قميصها لمع كثلج وهي تلقيه على الكرسي غاص القميص في هدوء عاصف احسست لمس يديها)

ظل الصبية ينبثق من دائرة النور (هدىأتتمعالشفق فراشة بيضاء رائعة بلوزتها بيضاء بان قسم من نهدها الصغير أبيض محمرا غمرتها ظلال الاشجار غمرتها ظلال الاشجار غمرتها الاغصان والاوراق فاحت الازهار بضراوة خطوتها اقتربت مع الازهار الظلمة تتحدث وتهمس يداي لمستا رائحة الازهار لمع القميص الابيض في الظلمة يداي أحستا بها أمتلكت عينيها نقاط حمراء انحدرت واياها بينالاوراق يدي قبضت على شيء صغير)

ظل الصبية يغيب في دائرة الظل . عندما اقترب الصغير مني احسست بالخوف « هل تشتري انها ساعة جيدة » عندما اقترب البائع الصغير مني بثيابه الرمادية كنت أود أن أعبر الشارع

ـ « من اين لك بها » ؟

ـ « وجدتها »

نداءات الباعة لا تكف . هم لا يكفون عن الهذر . اصواتهم ضائعة مع هدير الموج « لا اريد »

خطوت على الرصيف المشجر . اختلط ظلي مع ظلال الاشجار ثم انفصل وعبر الشارع . مصابيح الشارع امتدت راكضة عبر فراغ طويل ارتفعت مع الطريق الى صخور سوداء قاتمة . كنت قد عبرت الشارع

الصبية لا تبتعد عن عيني . قميصها شفاف ابيض . البائع يركض عبر الشارع يقف امام بضاعته (غلطتي لم تكن)

ظل الصبية ينبثق من دائرة النور ويغيب . الظل يختطف صبية خضراء كسنبلة قمح .

يدي ترتفع الى جبيني ، تشده تعصره . الموت يحاصر زرقة مصلوبة . الزرقة تتلاشى . هل يموت الموج ؟ (دعني دعني ، لم أتيت اذن لم)

تجمدت امام اللانهاية الزرقاء . أصابعي ارتفعت بالسيكارة الى فمي . الهاوية زرقاء عريضة (غلطتي هل كانت) القيد خيوط عنكبوت لزجة تنهال مع وهج الضوء المعلق في المصابيح . الفراشة تحوم حول لهب منطفىء (غلطتي هل كانت غلطتي) يدي ترتفعبالسيكارة (دعني دعني انك تكاد تكاد) (الشفاه مرت كموج على نهار الجسد عندما نما الليل دقيقة فدقيقة

تسلل قمر أحمر من بين السحب القى بأصابعه على الغرفة السوداء القمر احمر اضاء عينين عسليتين .

ـ دعيني اقبلك اريد ان اقبلك اقبلك

ـ لا تقترب مني اكثر

ـ دعيني دعيني
ساصرخ) يدي ترتفع بالسيكارة . عندما لمست الصخرة لاجلس ارتجفت يدي . سقطت السيكارة في الماء الضحل . سمعت هسيسها . قبضت بيدي على قطعة حجر مروسة صغيرة . اسقطتها في الماء . طفت بعض الفقاقيع البيضاء . من خلال القاع كان ظل القطعة يتلألأ .

(القمر وحده شاهد شفتين تنزلقان بين شفتين الظل رأى اصابع تمران على ثياب النور اضاء نجوم عينيها الظلمة شعت من ذراعين حركت النسمة يدي كضوء الى وجهها الومضة عكست رعشة عينيها المطر وحده كان ينشد على السقف

آه

لا

الا تريدين

لا) الاغصان عاريه على الرصيف المشجر كانت قد اختفت مع الشفق (النافذة اضاءت هدى غابت عن عيني حاولت أن أضمها من جديد غابت عن عيني لم يكن في الشرفة من احد انار الباب الاسود الغرفة ابي لم يرفع نظره الي لم يكن من شيء في النافذة في الجدار النور أضاء بقعة من يدي)

عادت عيناي الى الماء يقبل في دوائر تتكسر على الصخرة القذرة المغطاة باعشاب سوداء بلا صوت . كان وجه يتلاشى من امامي تلاشيا ناعما ويعود . السيارات تنساب على الطريق ، تطلق اصواتا متقطعة . راقبت ظلال الناس وهي تدور وتبتعد . الوجه يعود متالقا .

(القمر وحده انشد على النافذة القى باغنية سالت ينابيع وكؤوس وفضة

المطر القى بالسكون وعزف لحنا ناعما في الكون

دعني دعني

لم اتيت اذن لم

الظلمة اضاءت يدا ارتفعت الى وجه الهة بصخب احمر الظلمة سالت دمعا على وجه قمر من حليب

هل تبكين هدى

لا ابكي

المطر انشد على السقف القى باغنية رتيبة كحمائم تهدل من العتمة سالت اغنية احتضنتني كنهر ارتفعت امواجه ببكاء ذليل لحن قاتم هز نجمة كسنبلة

يدها قالت تعال

شفتاها اهالتا شلالا من الرعشات

ايقظت كآبة جسد يرجف كزهرة زنبق وسط موج من الخضرة

ازهار قمر احمر

جداول وشوشات وضوء

رعشة شفتيها

ربيع ذراعيها

اهالا علي نهرين شاسعين من الصمت

يدها قالت تعال) عندما اطل ضوء السيارة لاذعا وهاجا ارتفعت يدي الى عيني . عندما وقفت ارتجفت ظلالي على الصخرة السوداء . الحركة في وريد الرقبة أسمعها تدق ، والحركة اللانهائية في صدري اسمعها تنتفض . اصابعي كانت قد اشعلت السيكارة . اصابعي لست الوهج . احسست بحرارة كثيفة .

(ضاعت السماء مع رماد لا اخر له

عندما نهضت

وازحت يديها

لا اريدك

تعال

لا احبك

تعال تعال

لا اريدك لا أريدك

النافذة وحدها شاهدت ذراعيها ترتفعان مع السكون الرمادي الى الوجه الضائع مع قمر احمر

هل تعرف تعرف

لا أعرف

انت تعرف

لا أعرف

هكذا

اسكتي

هكذا هكذا

اسكتي اسكتي)

(الضحكة انبثقت كريح فتحتها ريح مجنونة) الباعة على الرصيف لم تعد أصواتهم تحبو كحمائم خجولة . انها تصرخ وتتدافع ((هل دفعت ؟)) ((تعال لم تدفع)) ((دفعت ربع ليرة ولم ترجع لي اي شيء)) ((بشرفك دفعت ؟)) ((دفعت)) ((طيب ساري ليس معي ولا ربع ليرة ستدفع)) الطريق ارتفع خاليا . الظلمة أفرغت اشراقتها. المصابيح تراكضت بعيدة . النور لم يمت . الزرقة ذابت . الاصوات تتدافع .

(رن الصوت

صوت صبية ذات عيون عسلية تصاعد مثقلا بنشوة عجيبة حملني الى سهوب شديدة الزرقة طيور كثيرة عبرت شوارع الدم

الضوء لم يمت

أصابع الضوء امتدت الى عنقي خيوط لذة وعبير

القدر ضوء أحمر

يرحل مع صوت صبية ذات عيون عسلية الى قلب يضيع في سكون

هل تحبينني قولي أكاد أموت

أحبك

لا تكذبي

لا أكذب) الباعة الصغار يتصايحون . يهددون . الظلمة تبتلع الاصوات تغيبها . المصابيح بعيدة . أصابع كمدى قاسية اخذت تمتد الى الاجساد الضئيلة . الباعة يتعاركون . النور ينتظر . الظلمة لم تنهزم بعد .

(رن الصوت

شلال حب ونشوة زهرة اللوز يدان امتدتا الى ذراعين معزولتين من شمس صيف لنبع يرسل نافورة بيضاء

رن الصوت

شلال حب ونشوة

يداي تمسحان وجه الهة فتية

يا حبيبتي) اصابع النور امتدت الى الوجوه . الى الصدور . الاجساد الضئيلة تحاول ان تعطي أدلة على صمودها . جسد يلقي بآخر على الارض . على الشفة سائل بشع .

(المطر لم يكن قد كف عن نشيده حرير الجسد غاص في الموج ضجة الحرير لامست شعري

الشفة حمراء

البلوزة حمراء

نقاط حمراء امتلكت عينيها

شعرت بشفة ناعمة وبضربات بيانو تصعد من اعماق صمت مجهول تختلط مع دقات آلة لا تكف تئز الشفاه تنحدر الى نهاية عنق ابيض بداية رحلة عبر ينابيع سحر وشلال يرتجف كل رعشة

حبيبتي) الشجار يبلغ مداه . الصبيان لا يزالان يتضاربان كأصحاب ثار قديم والشارع خال . هدر البحر بحركته الرتيبة. النقاط حمراء . كنت اصل اليهما . الايدي حمراء . كانوا يضربون.

(نهار الجسد بدأ يتلألأ لهب شمعة بدأ يعب رضاب شفة ناعمة
النافذة وحدها شاهدت

انامل كحبات رمل سريعة تتلاعب ببلوزة حمراء كؤوس الماء توهجت فضة رائقة شاهدت اصابع تنزلق الى نهار جسد ناصع كضوء قمر خجول حنان عجيب ينبع من فم وعينين تمتلك نجوم السماء بسمة صبية عسلية العيون تحملني الى مروج زرقة ضائعة تخفق الدقات في قلب سكون يحطم امطار السماء) مصابيح الشارع ارتفعت وغابت البيوت خالية والمسبح القريب لم يبد فيه انسان . احتضنت الظلال الاشجار . الاوراق دارت مع الهواء تتحرك وتهتز . كانت خطواتي تغوص في الرماد مع عتمة الغروب . السيارات لا تزال انوارها تفتش وتبحث بين ظل وظل . الموج يغني اغنية رتيبة متوحشة . الجبال صامتة خاشعة حمراء . اهتزت المدينة بالق شاحب . الشجار يعنف ويعنف وهدير الموج لم يصمت ولم يعلن استسلامه . الاصوات تموت في ليل لم ينهزم بعد .

(زهرة الورد البيضاء سمعت صوتا يهمس
هناك
لا هنا
هناك
هنا احسن) لحظة واحدة
(كانت الموسيقى تبعث رائحة لحم اختلط بعرق اخذ يلمع على جبين وعلى يدين تتحركان كظل

زهرة الليلاك سمعت موسيقى ترتفع الى ذروتها وتنشد
ظلال النافذة اضاءت خيوط يد ارتفعت الى وجه يضيع مع لهب شمعة

انفاسها تغمر انفاس لهيب
بدأ يتصعد
من أعماق بعيدة
الاريكة لامست جسدا انحدر
الى مياه امواج صاعدة
الاغصان عارية رأت وحدها
يدان تفكان ازرار رافعة نهدين
تعلقت بصدر آلهة فتية
الاشجار دارت أوراقها بندى
أخذ يلمع عرقا على
جبين جسدين
الرماد بين الرماد
بين ظل وظل
أصابع تنتقل بين ضوء وضوء
السكون تلقى بين ذراعيه
ملابس وحذاء
اختلط مع غبار
سافر من نافذة بعيدة
كالفلك دارت بلوزة حمراء
في فراغ يتوهج
بأنوار فضاء يبكي
أبيض واسود

القمر يصعد الى قمته
الصمت يبتلع جوارب حريرية
لاغنية عزفت الحانها القصية
بلا كلمات
بين ظل وظل
تشرق انوار شمس ساطعة
لجسد يتلألأ
بين ضوء وضوء
يتلقف الهواء
شريطة شعر زرقاء
لغابة ليل انحدرت
على سماء جسد
ناصع البياض
كقمر من حليب
خيوط يد
قبضت خصر جسد
لوجه تهدر في شرايينه
أغنية فتيان يحرقون
غابات من القش
خيوط يد ارتفعت
الى ذراع وجه
غطته ورود شفاه
اعطت بسرعة
انهار قتيل
حبيبتي
اعطت بسرعة
انهار قتيل
كغابة سنابل
تلتهمها نار بعيدة

حبيبتي) الشجار اصبح وحشيا . جسد يصر على اعطاء برهان كامل على قوته . يصر اصرارا فظيعا على ان يكون هو المنتصر . زوايا الثياب تتطاير مع انهمار القبضات والايدي . والثياب رمادية وسخة . الاقدام وسخة وعارية . الموج يهدر باغنيته الرتيبة من بين صخور حملت في أعلاها اعشاب ورود وحشية . بين الصخور على المرتفعات ارتمت ازهار ذابلة . ازهار اللوز اشرقت من البساتين على الجانب الآخر . والسيارات لا تزال ابواقها ترسل نداءاتها الشيطانية. الاصوات تتهدج . تصرخ . عجلة سيارة صرخت ووقفت . السماء ترسل نجوما شاحبة والناس من بين نجوم تتوكأ على بعضها يمرون غير مبالين ، دون ان يلحظوا الشجار او يفضوه . وقفت ثم مشيت . العنف يبلغ ذروته .

(الجواد الابيض يصهل ويركض انوار توهجت على كؤوس صفت بعناية اضاءت فمًا يرضع ازهار قمر من نبع حليب

شمس صيف مجنونة احرقت كل شيء فوق بيدرها

الجواد الابيض يركض عبر براري زرقاء) ظلي يدور مع ظلال السيارات مع دوران ابواقها . راقبت الظلال وهي تبتعد تدور . مشيت ثم وقفت .

(دالية العنب احتضنت برفق
جدار النافذة
شاهدت وحدها

شمس ليل
اخترقت قلب الفراغ
اجفان سوداء اطبقت
بياض عيون عسلية
المرآة الصغيرة
اهالت ضوء
فم ينفتح
نهر نشوة
المطر على زجاج النافذة
فضة صباح
رأت اذرعة غابت
مع ظلمة قمر احمر
المطر وحده انشد على السقف
انشودة صمت
غلفت جوادا صهل وابتعد
المطر وحده كان يثرثر

يمتلك سكونا اخذ يحتضن كل شيء) اه .. اه . القمر يبرد. العتمة ابتلعت الايدي . ذراعان يتهدلان حـــول جسد الهة فتية . الايدي لا تزال تضرب بقوة . السحب تمتلك السماء . القمر يطــل مصبوغا بالسحب السوداء . المطر يصمت نشيده على السقف .
« توقف »

قبضت يدي بسرعة وبقوة ، على ذراع الصبي ذي العيون السود « توقف » يدي تشتد قبضتها على يده . يدي الثانية احتضنت خصره باعصاب فولاذ متجمد « توقف . هل انت مجنون لكي تضرب هــذا المسكين » المصابيح بعيدة على المنحدر . الايدي حمراء بين الاغصان العارية . كنت استطيع ان اتبين الحركة اللانهائية في صدري تفيض كموج « دعني دعني اتركني اريد ان افرجيه اتركني » . اليدان تمتدان بصخب وتشيران . وقف الآخر يضع يده على شفته ويتحسسهـــا (الجواد الابيض يركض بجنون عبر براري لا نهاية لها تخفق فـــي سمائها انوار تشرق برفة واجنحة حمائم تتكسر على حد سمـاء ضيقة القطار يتحطم) انه يتحسس شفته . سائل مر ينحدر ويشع (ابتسمت حبيبتي بغبطة ثملة وفتحت عينيها) وجهه يعكس موج البحر الــذي يتدفق دوائر ماء وأشعة . اسند رأسه الى الشجرة (عندما فتحــت عينيها كانت النقاط الحمراء قد تلاشت) سائل ينبثق من عينين اكلهما ذباب المدينة (ضحكت حبيبتي حتى ظننت ان أنهار الخمر قـد مـلات شرايينها) « اتركني » (عندما كف صدرها عن الاهتزاز تعلقت عيناها بالنافذة) « اتركني » كان الصبي الاخر يدق الارض بقدمه ويطلب مرة اخرى ان تطلق يداه لكي يجهز على الجسد الاخر الذي بللته نداءات غامضة واغنية سالت بصمت (ضحكت بارتباك قبلتني بسرعة) « ما هذا لاجل ربع ليرة تضربه . ربما مات . دعه دعه اوقف هذا واوقف ذاك » الحقد يغسله البحر (عندما رأت النافذة كفت عن الضحك) مصابيح الشارع مرت على وجه اضاع منذ قليل انوار السماء . الغضب يغسله دمع مر يسيل الى شفة مجروحة تلعقه وتتذوقه « لا شيء .. لا شيء » يداي تراختا (رأيت مدارا من البياض حول بؤبؤ عينيها انطلقت نظراتها الى جعل قلبها ينبض بثبات حول يدي ترثر الماء على السقف عندمـــا بدأ الليل ينمو دقيقة فدقيقة سمعت بكاءها) « لا شيء لا اعرف كيف ضربته لقد ضربني هو ايضا » الوجه الاخر كان قد اصبح ظلا اســود يرتفع الى السماء عندما اقترب من البحر مفتشا عن سلته واغراضه . ابتعد ضئيلا ضئيلا ولم يتلاش (لمع قميصها كثلج وهي تلقيه عـــلى الكرسي) العتمة تنهزم الزرقة تتلالا (النقاط الحمراء تضيع مـــع قميص وعينين غيبهما البحر) خطواتي تصعد المنحدر ، الاغصان تدور والريح كمدى تصفع الوجوه ، انا ابتعد والموج يموت .

بيروت

عبد الكريم كاصد

الحقائب

لماذا نشد السلاسل عبر الوف من الكيلومترات..؟
نرتاح في غرف مر فيها الوف من الناس ..؟
نبصر اوجهنا في الوجوه ..
ونمضي ..
لنمسح عند المساء غبارا تراكم فوق الحقائب؟
لماذا الحقائب ؟
ثلاث سنين وتوقظنا عند كل صباح ..
فننهض فوق اسرتنا بالمنامات منطفئين
ونقفز نحملها ثم نرجع للباب منكفئين
لنمسح عن راحتينا غبار الحقائب
لماذا الحقائب ؟
تسافر في الليل مجنونة ..
ثم تهدأ بين ضجيج البواخر ..
تجلس صامتة ..
بين وجهي المعذب والبحر ..
بين المدينة والبحر ..
فوق رفوف القطارات ..
ــ سيدتي هل تخاف الحقائب ..؟
تهتز فوق الرفوف ..
ــ انظري البحر خلف الزجاج يسافر دون حقائب
ــ كل شيء يسافر خلف زجاج القطارات الا **الحقائب**
ثم تلمس خائفة شعرها ..
يحضن الراس زند العشيق ..
ــ آنظري ، قفزت للرصيف الحقائب
انها تختفي الان خلف الوف من الارجل المسرعات
.. وتظهر واقفة .
ــ آه .. أين رأيتك .؟
هل تذكرين الحقائب
ــ هل تسافر دون حقائب ؟
ــ من اذن ينفض الصمت عن وجهها والغبار
انها تكره الانتظار
والسلاسل عبر الوف من الكيلومترات ..
ان السلاسل خبأتها في الحقائب
ــ ان ذهني يضج .. تضج السلاسل فيه ..
ــ اشربي الخمر (روز)
ــ اكتفيت ..
سأمسح عن زهرتينا الغبار ..
سأمسح عن شفتينا الغبار ..

ونمضي ..
ــ واين سأودع (روز) الحقائب ؟
. . . .
. . . .
يسقط الزهر ذبلان فوق الحقائب
. . . .
. . . .
يصمت الزهر في الفندق الرطب ..
تطفو الحقائب بين المراكب والجسر ..
احملها للرصيف ..
ــ أفتحي الراحتين على البحر .. تأت الحمائم مسرعة
تأت كل المراكب
ــ أنظر البحر يقلب كفيه للطير تهوي ..
الحمائم تأتي هنا في القطارات ..
ان الحمائم في (سان جرمان) يحملها الناس مذبوحة في الحقائب
ــ انهم يقفون هناك على الجسر ..
هل نعبر الجسر ؟
تعبر كل الحقائب
اعبر الجسر محتشدا في الحقائب .

يهرب الظل .. تهرب من راحتينا الحقائب ..
تصطف بين وجوه رجال الجوازات ..
تفتح احشاءها ..
تتكاثر بين الوجوه الكثيرة ..
يغلقها قادم فجأة .
ــ انها لي .. ويبسم معتذرا ثم يمضي
وابسم معتذرا ثم امضي
لاطرحها في رفوف القطارات ..
يوقظها في الصباح رجال الجوازات ..
يوقظها في المساء رجال الجوازات ..
تفتح .. تغلق .. تغلق .. تفتح ..
تدخل خافتة الصوت
تمسك احشاءها باليدين ..
وتهرع مذعورة في الطريق ..
تقي سلاسلها ثم تجلس بردانة عند اقدامي المتعبات ..
الحقائب

بغداد

الوضع الثقافي الراهن في مصر

١ ـ ازمة مجلة الكاتب

تاريخ حياة مجلة ـ الوثائق ـ شهادات

اعداد : ابراهيم منصور

احدث قرار السيد وزير الثقافة المصري، بتغيير هيئة تحرير مجلة الكاتب ، اصداء واسعة في الاوساط الثقافية المصرية . وفي هذا الملف سنحاول ان نقدم صورة للازمة التي خلقها القرار ، والصدام الذي احدثه ، والخلفية التي وراءه .

يتضمن هذا الملف : الوثائق الخاصة بازمة مجلة الكاتب ، واستطلاعا للراي حولها ، من خلال عدد من شهادات المثقفين المصريين ، جرى اخذ وجهة نظرهم في هذه الازمة ،في ايام قليلة ،

ا . تاريخ حياة مجلة :

١ ـ صدرت مجلة الكاتب عن دار التحرير (التي تصدر عنها صحيفة الجمهورية الان) في اول ابريل (نيسان) عام ١٩٦١ ، وكان رئيس تحريرها انذاك الاستاذ احمد حمروش . وضم مجلس تحريرها الدكتور لويس عوض ، والدكتور محمد مندور .

٢ ـ في اول يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٦٤ تولى الاستاذ احمد عباس صالح رئاسة تحرير المجلة . وضم مجلس التحرير انذاك الاساتذة : كامل زهيري ، محمد عودة ، يوسف ادريس ،نعمان عاشور ، محمد محبوب . وصدرت المجلة تحت شعار : « مجلة المثقفين العرب » ، واتخذت منذ ذلك الحين خطا يساريا قوميا واضحا . واشترك في تحرير اعدادها عدد كبير من المثقفين الوطنيين واليساريين في مصر والعالم العربي .

٣ ـ في سبتمبر (ايلول) عام ١٩٦٤ ، عين الصحفي حلمي سلام رئيسا لمجلس ادارة التحرير ، فقام بنقل الكتاب اليساريين الذين يعملون بدار التحرير الى شركات القطاع العام المختلفة ، ونقل رئيس تحرير « الكاتب » الى شركة لتجارة الاخشاب . كذلك تم نقل معظم اعضاء مجلس التحرير . واغلقت « الكاتب » بقرار من الصحفي حلمي سلام .

غير ان رئيس الجمهورية الراحل جمال عبدالناصر امر بان تصدر « الكاتب » خارج دار التحرير ، وعلى نفقة وبجهد مصدريها ، وهم تقريبا رئيس التحرير واعضاء مجلس التحرير .

٤ ـ في اول اكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٦٤ صدر العددالتالي من « الكاتب » بمجهود اسرة التحرير الذين تضامن معهم بعض العناصر التقدمية في القطاع العام ، الذين ساعدوا المجلة عن طريق تزويدها بالاعلانات .

٥ ـ في اوائل عام ١٩٦٦ اراد الدكتور عبدالقادر حاتم الذي كان نائبا لرئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومي في ذلك الحين ، ان يسيطر على المجلة ، فطلب من اسرة التحرير ان تنضم الى وزارة الثقافة ، ونظرا للمتاعب المالية التي كانت تواجهها المجلة (رغم ان توزيعها وصل الى اثني عشر الف نسخة) قبلت اسرة تحرير المجلة اصدارها عن طريق وزارة الثقافة .

ومنذ اليوم الاول بدأ الصدام المتوقع بين المجلة وبين السيد نائب رئيس الوزراء حين طلب (ايضا !!) ان يطلع على اصول المقالات قبل نشرها ، ولكن اسرة المجلة رفضت ذلك . ولم تمض اكثر من ثلاثة شهور حتى اصدر السيد النائب قرارا بان تكف الوزارة عن تمويل المجلة . وعادت المجلة مرة اخرى الى الشارع .

٦ ـ استمرت المجلة رغم ذلك في الصدور بالمجهود الفردي لاسرة التحرير ، حتى عين الدكتور ثروت عكاشة وزيرا للثقافة (كانت المجلة قد نشرت عدة تحقيقات طويلة عن الاوضاع المتردية في مؤسسات وزارة الثقافة ، وبخاصة في قطاع النشر ، قبلت على اثرها استقالة الدكتور حاتم ، وشكلت ست لجان للتحقيق فيما ورد بتحقيقات المجلة عن هذه المؤسسات). وطلبت المجلة ان تنضم مرة اخرى الى وزارة الثقافة .

٧ ـ في سبتمبر (ايلول) عام ١٩٧١ ، عين الدكتور عبدالقادر حاتم مرة اخرى نائبا لرئيس الوزراء ، واصدر فور تعيينه قرارا باغلاق جميع المجلات التي كانت تصدرها وزارة الثقافة بما فيها مجلة الكاتب .

٨ ـ اصرت اسرة التحرير على مواصلة اصدار المجلة ، وتبرع كتابها ومجلس تحريرها باموال من جيوبهم الخاصة ، وفي مقدمتهم الدكتور عبدالعزيز الاهواني الذي كان يتولى رئاسة التحرير بالنيابة عن الاستاذ احمد عباس صالح لوجوده في الخارج .

٩ ـ اثبتت « الكاتب » بطلان القول بانها تخسر ماديا ، بتقديمها لكشوف توزيع المجلة ، فاضطرت الهيئة العامة للكتاب التابعة للوزارة ، ان توافق على اصدارها بشرط الا تعطي اي مكافاة مالية

من تحريرها . قبلت اسرة المجلة ذلك واستمر هذا الوضع مدة ثلاثة عشر شهرا ، الى ان طلبت وزارة الاعلام العراقية الاشتراك في خمسة الاف نسخة من المجلة ، وكان العراق سوقا رائجة لمجلة الكاتب ، حيث كانت توزع حوالي ستة الاف نسخة عام ١٩٦٤ .

١٠ ـ في مارس (اذار) عام ١٩٧٣ ، عين الاستاذ يوسف السباعي وزيرا للثقافة ، عقب عودته من مؤتمر الادباء العرب الذي عقد في تونس ، والذي اثيرت فيه مسالة الكتاب والصحفيين المصريين الذين فصلوا من اعمالهم . وبدأت من جديد متاعب جديدة لمجلة « الكاتب » .

١١ ـ في فبراير (شباط) عام ١٩٧٤ اصدر الرئيس انور السادات ، قرارا برفع الرقابة عن الصحف . وصدر عدد مارس (آذار) عام ١٩٧٤ من المجلة ، يتضمن باب (شهرية السياسة العربية) الذي كان يكتبه الاستاذ حسنين كروم ، ووردت فيه عبارة حول المساعدات الايرانية للاكراد المتمردين في العراق . اتصل الاستاذ طلعت خالد وكيل وزارة الاعلام لشئون الرقابة برئيس التحرير . وابلغه ان السفير الايراني احتج على هذه العبارة ، وانه لذلك لا بد من مراجعة اصول المجلة قبل طبعها . ولما رفض رئيس التحرير ابلغه الاستاذ وكيل الوزارة المذكور انه سيتولى مراجعة اصول المجلة بالطرق الادارية حيث ان المجلة تطبع في مطابع حكومية . وظلت المجلة على ذلك موضوعة تحت الرقابة حتى شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٤ (وقد تعرضت مجلة الطليعة لنفس الموقف حين طلب الاستاذ علي امين الذي كان رئيسا لمجلس ادارة الاهرام انذاك ، ان يراجع اصول المجلة قبل طبعها) .

١٢ ـ صدر عدد ابريل سنة ١٩٧٤ من مجلة « الكاتب » وبه مقالان للاستاذين احمد عباس صالح ، وصلاح عيسى (انظر الوثائق) . وعقب ذلك ، وفي الرابع من ابريل سنة ١٩٧٤ نشر الاستاذ ابراهيم الورداني (وهو من اصدقاء الاستاذ يوسف السباعي المقربين) مقالا في جريدة الجمهورية طالب فيه باغلاق مجلتي الكاتب والطليعة . وفي الحادي عشر من ابريل ١٩٧٤ رد عليه الكاتبان عباس صالح ، وصلاح عيسى ، في جريدة الجمهورية (انظر الوثائق) .

١٣ ـ وفي نفس اليوم . اي في الحادي عشر من ابريل ١٩٧٤ ، عقد مجلس ادارة الهيئة المصرية العامة للكتاب اجتماعا اثار فيه الاستاذ صالح جودت (الذي عينه الاستاذ يوسف السباعي عضوا في مجلس ادارة هذه الهيئة) مسالة ان مجلة الكاتب رغم انها تصدر عن وزارة الثقافة فانها تهاجمها ، وطالب بان تتوقف الوزارة مرة اخرى عن تمويل المجلة ، ولكن رئيس مجلس ادارة الهيئة الدكتور محمود الشنيطي اقترح كحل وسط ان يكتفى برفع اسم الهيئة باعتبارها جهة الاصدار من (ترويسة) المجلة .

١٤ ـ في شهر مايو (ايار) ١٩٧٤ واثناء مناقشة دارت في نقابة الصحفيين المصريين ، حضرها السيد وزير الاعلام الدكتور احمد كمال ابو المجد اثير موضوع وضع مجلة الكاتب تحت الرقابة ، خلافا لقرار السيد رئيس الجمهورية بسبب موقفها من وزارة الثقافة ، ووعد السيد وزير الثقافة ، والسيد وزير الاعلام ببحث الموضوع .

١٥ ـ في شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٤ عقد مجلس تحرير المجلة اجتماعا برئاسة الدكتور محمد انيس قرر فيه ممارسة حقوقه التي يكلفها قرار السيد رئيس الجمهورية برفع الرقابة عن الصحف وارسل خطابا رسميا الى الهيئة العامة للكتاب يبلغها فيه انه اعتبارا من عدد شهر يوليو ١٩٧٤ سيتولى رئيس التحرير مسئوليته الكاملة عن كل ما ينشر في المجلة (انظر الوثائق) .

١٦ ـ في عدد شهر يوليو (تموز) ١٩٧٤ نشرت المجلة اعلانا عن انها ستصدر ملحقا ادبيا يشرف عليه الاستاذ رجاء النقاش ، وعلى اثر ذلك استدعى السيد وزير الثقافة رئيس التحرير بالنيابة الدكتور محمد انيس وابلغه بعدم موافقته على اصدار هذا الملحق وعلى الشخص المشرف عليه .

وثيقة رقم (١)

« ان تدهورا ثقافيا حقيقيا يزحف كالمرض على عقل هذه الامة ، تحت شعار كراهية السلبيات القديمة ، متهما العلم والجد والاشتراكية بانها المسئولة عن هذه السلبيات .. هذا العبث يجب ان يكف ، فجزء من خسائر هذه الامة راجع الى ان اول ضحايا هذه السلبيات كانت الجدية والثقافة الاشتراكية . وقد نفي من العمل الاجتماعي كل من كان كفيلا بتطبيقات صحيحة وسليمة . وامتلات السجون بالكثير منهم ، ولعل الذين يتصايحون الان من اجل الحرية هم اقل من اصيب ، والحق انهم كانوا يباركون القهر تحت افكار ولافتات لا تختلف عن التي يرفعونها الان » .

احمد عباس صالح

الكاتب ـ ابريل ١٩٧٤

الوثيقة رقم (٢)

الاقلام .. ومن يكتبون ..!

صباح الخير ..

بعض المجلات والاقلام التي يعرف عليها دافع الضرائب المصري .. انتهزت فرصة رفع الرقابة الصحفية .. وانتهزت ايضا فرصة انها متوارية وغير مقروءة .. لترفع عقيرتها في جراة متطاولة عجيبة ، بل متهورة .. ضد اي تنفس او انفتاح .. ضد الحريات واية قرارات .. ضد اية صحوة للفكر الوطني . ضد اي تاسيس او تصحيح للعمل السياسي او الاقتصادي او الاجتماعي . ضد اي تبسط او تبسيط في ساحات الجماهير .. والسبب يا عزيزي القارىء انت تعرفه طبعا .. ناس سد عليهم رزق الطريق ، وليس امامهم الا الزعيق .. هكذا اذن ، فلا تقل عنهم مجازفون شرفاء ، بل قل مسترزقون مستميتون..

وفي القاهرة مثلا .. تصفحت هذا الاسبوع (مجلة) ـ تضع الشعار تحت عنوانها (طريق المناضلين في الفكر الثوري) ـ تخوض السنة العاشرة من حياتها ـ يا عجبي ـ بلا قراء .. انها تلك الباهتة التي لم تجرؤ ، باتت تتهجم على المشاعر الدينية للشعب المصري بل قل الشعب العربي كله ، بان تتباهى في اخر عدد . بوضع برواز منقول عن مجلة شيوعية تصدر في (بيروت) ، تبدي الرأي في العدد الخاص الذي اصدره (الهلال الشهري) عندنا منذ اشهر عن (الجنة والنار) .. ماذا تقول تلك الشيوعية التي تتباهى برايها زميلتها المصرية ؟! .. تقول ـ وارجوك ان تتحمل .. (ان هذا البعث القسري لعصر رسالة الغفران ليس الا عجزا فاضحا عن الاستمرار في عملية التضليل الايديولوجي التي يتبعها (قادة الفكر) في مصر ، هذا العجز يلجا الى مغازلة الخلفية الدينية للجماهير في محاولة يائسة للرجوع بها الى مستوى وعيها الخرافي القديم لصراعها الاجتماعي ، وهي لهذا تسقط في التفاهة) !!

ثم انظر الى (مجلة) اخرى ـ هذا الاسبوع ايضا ـ تهلل لكتاب نقدي نشره ـ رجاء النقاش ـ في بيروت ، عن (العقاد بين اليمين واليسار) ، قال فيه عن العقاد ـ الذخر القومي الكبير ـ انه متعيش ومسترزق ، وبلا مبادىء ، ورجعي ، ومنافق ، وحقير ، وشتام ، ومتعصب .. انظر الى قلم منهم يحيي الكتاب وصاحبه ـ ومرة اخرى عزيزي القارىء ، ارجوك ان تتحمل .. (انه كتاب يجيء ليطمئن بان ـ صمت جيل رجاء النقاش في الفترة الاخيرة ، يعني بعد ١٥ مايو ـ ليس نفادا للطاقة او عجزا عن العطاء ، ولكنه مجرد اشمئزاز مؤقت من نمو الطحالب والحشائش السامة ، وتملق الخبائث والتفاهات.. انه يجيء ليبعث رجفة فرح لانه كتاب جاد جيد في سنوات قل فيها الجاد والجيد ، ولانه زهرة في ارض ادبية ملئت بالحلفا والصبار) !!

.. يا سلام !

وانظر الى رئيس تحرير تلك المجلة ـ وهو مفتاظ وحانق ويفتك به الغل ـ من افساح الطريق للفكر الوطني .. يقول : (نمتلىء صحفنا ـ هذه الايام ـ باراء متعجلة وفكر فج حتى اصبحنا نجتاز ازمة .. انهم يقصد ـ الكتاب الوطنيين ـ يهرولون ضد كل فكر علمي كانه لعنة من السماء ويهجمون بضراوة وشراسة جاهلة على بعض المسلمات ـ يقصد الاشتراكية الماركسية ـ ان تدهورا ثقافيا حقيقيا يزحف ـ الان ـ كالمرض على عقل هذه الامة) !! .. يا ساتر . يا ساتر ..

عزيزي القارىء وتمالك نفسك .. واذا شئت ـ اخيرا ـ ان اعطيك العينة او النوع من (الثقافة الحقيقية) التي يريد حضرة رئيس التحرير هذا ان يذيقها للشعب المصري ـ فخذ تلك الجرعة الخفيفة من مقاله الافتتاحي في اخر عدد .. واغفر لي .. (المنطق الديالكتيكي يتعثر عند التطبيق . وليس معنى هذا ثبوت صحة المنطق الارسطي وبطلان المنطق الجدلي . فان المنطق الصوري يتعثر في تطبيقات اخرى لا ينفع فيها الا المنطق الجدلي . وهكذا يبدو ان الواقع التجريبي يتحرك في اطار النظرية ولكنه يعيد تعديلها وتتبادل الممارسة والتطبيق التاثير والتعديل) !!!!

اعوذ بالله منها ثقافة بروليتاريا !

ابراهيم الورداني

الجمهورية ـ ٤ ابريل ١٩٧٤

الوثيقة رقم (٣)

الزاعقون من شبابيك الحرية !

صباح الخير ..

وصباح الخميس الماضي يا عزيزي القارىء ، ايقظني جرس تليفون لحوح .. وكان المتكلم المذعور هو رئيس تحرير تلك المجلةالشهرية التي اقتبست لك منها فقرات تشتم في ((صحافة ما بعد الرقابة)) وتقول ، انها باتت تمتلىء بكل مرتجل وفج وتافه وجاهل ورخيص .. وتلعن ((صحوة الفكر الوطني)) وتقول ، انه مرض يزحف الان على عقل هذه الامة .. وسباب سباب كثير يا عزيزي القارىء .. حانق وبذيء وهمجي ومبتذل ، نعق به احد صفار ((البوم)) عندهم ـ اتعفف والله عن اية اشارة عنه .. فقرات نقلت اخفها بالنص ، وبالبنط الاسود الجاحظ .. وضعتها امامك وانا اغلق عيني واستغفر .. غير آبه بما يسمونه زمالة او علاقة او صداقة .. وهدفي الواضح الصريح ، ان ارفع يدي نيابة عنك محتجا ونافد الصبر .. وكفاية كفاية امراض للشعب المصري يا ((كوليرا)) الاقلام !

صديقي او زميلي رئيس التحرير هذا .. العقائدي المكتنز .. حنون الكادحين ورمش عين المستنزفين ـ وقبل ان اقول لك عن طريف الحوار الذي جرى بينه وبيني ـ استسمح يا عزيزي القارىء في ان ارفع بعض الماكياج الاشتراكي عن وجه صديقي او زميلي هذا، لاعطيك بعض المعلومات العامة عنه .. المنظر له دائما ـ يذرع شوارع القاهرة بعربته المرسيدس الفارهة ـ وليس في ذلك ملام طبعا ، عندما تعرف انه كثير المشاوير ، متعدد المنافع ، متنوع الاعمال ، شاطر وفهلوي واريب .. فهو مثلا رئيس تحرير تلك المجلة الشهرية ، وله منها مرتب او فوائد طبعا .. وهو ملتحق باحدى دور الصحف الكبرى ، وله منها مرتب كبير طبعا .. وهو صاحب ايراد سنوي ضخم من سيناريوهات افلام الجنس والحقد والاثارة ، التي يرميها له احد المخرجين في عيون الجمهور كل موسم .. وهو منتشر دؤوب ما بين بغداد لبيروت ، في الاستثمار العقائدي الموقون ، ولديه من يسهلون له القبض او من يخزنون له القرش الاحمر لليوم الاسود .. اما عن سلوكه الثقافي ، فهو من نوع ـ فلم بلا قراء ـ يعني من فصيلة هؤلاء الكتاب الذين يفطهدون الشعب المصري لهم سنوات ،بانواعكتابة او ثقافة كالكلاكع .. عقربية اخطبوطية تفزع البني ادم من اي ثقافة او كتابة ،وتنفر من اي فكر او فن !

صديقي او زميلي هذا ، ايقظني ذاك الصباح بصوت مضطرب ومفزوع ومندهش ، وما هذا الذي كتبته عني .. السنا اصدقاء .. السنا زملاء .. واين العاطفية التي احفظها لك وتحفظها لي .. لقد حاولت ان اكتب ردا شديدا عليك ، ولكن راجعتني عواطفي فمزقته .. والله العظيم مزقته ، فهل نعض في بعضنا البعض امام الناس ..

استوقفته متأثرا .. متأثرا حقا .. فقد بدا لي منهارا .. ومثل كل المصريين ذبت معه طبعا في سخونة هذا الطرق العاطفي .. ومعلهش يافلان .. خذ الامور برياضية .. معلهش ارجوك .. اشتمني ما شئت ، واذا كان هذا يهدئك فسوف اشتم نفسي امامك .. خذ الامور برياضية .. المسالة ليست شخصية . نحن في ساحة عمل عام .. وما غاظني الا تلك النبرة التي علت فجاة عندك وعند اصحابك .. لم تعد تطاق يا فلان .. شبابيك الحرية التي فتحها ((السادات)) يقفزون اليها ويزعقون وكأنهم قراصنة او فتوات او بلطجية .. ناصريون متشنجون الان ـ وبلا سبب يدعو ـ واذكرك بالقاب طاردوا بها الرجل في حياته، مثل السفاح والعميل .. متفطرسون ومتبجحون جدا يا فلان ، فاي قلم يكتب ما عداهم ، جاهل ورجعي وتافه وخائن .. متطاولون جدا يا فلان ، ومن ((بغداد)) يكتبون العرائض ضد نصر ٦ اكتوبر ، ومن ((طرابلس)) يزعقون في الميكروفونات ومن ((بيروت)) يبيعون علينا المؤامرات .. خذ الامور برياضية .. المسالة ليست شخصية . نحن في ((ساحة عمل عام .. اعتبرني امامك نهبا مباحا اذا وجدت ما تنهب. قل ما شئت . رد ما شئت .. فقط لا تصغر او تخطىء بمثل هذا المنشور الذي طبعوه ووزعوه ، عن قصاقيص كلام الصقوها ، وادعوا انني كتبته او قلته في عهد فلان وعهد فلان .. هذا العهد المعني يا فلان ـ بصراحة ـ ولا تؤاخذني ، كنتم انتم ابشع ما فيه .. واذا فتحنا له الدوسيه ـ وحتما سوف يفتح ـ فسوف تفوح رائحتكم بما يستفز الناس لردمكم في اي مكان .. انتم انتم نجوم القهر فيه وبقع الكراهية ولطخات البغض الشعبي ..

صديقي او زميلي رئيس التحرير هذا ، المفكر الايديولوجي الجدلي ، حامل عبوات العلمية والمنهجية ـ ولا تعقيب لديه على كل ما قلت الا الطرق العاطفي المتوسل ، وحانعض في بعض قدام الناس.. عجيبة .. كاننا نحن الكتاب نوافذ جد ، والشعب امامنا فرانس.

ابراهيم الورداني

الجمهورية ١١ ابريل ١٩٧٤

الوثيقة رقم (٤)

محاكم التفتيش

من اعجب العجب ان يخوفني ابراهيم الورداني بالسلطة .. وكالمرشدين والمخبرين يبلغ عني .. اضبطوا هذا (ماركسي !) .

واحب ان اطمئنه ـ بادىء ذي بدء ـ انني لا اخشى السلطة ، ولا اتملقها ، ولا ادلس عليها ..

بل اني اقول رأيي بصراحة ولا خوف ، حتى اثناء الرقابة .. واثق ايضا انني ساقول هذا الراي في جميع الظروف ..

والورداني قد يحتاج للتملق الى صفحات مطولة في مديح من قاموا بتعذيب المصريين ومن اهانوا كرامتهم ، ومن كان ينفع مهم التبليغ عن الناس ..

ان الكتابة مسئولية وليست عبثا او استرزاقا ، او ملء صفحات بالفثاء والثرثرة والجهالة ..!

ولن اكتب لاصفق ، حتى عندما يتملكني انفعال التقدير بعمل وطني وتقدمي رائع ، لاني اطمح الى مزيد ولاني اعرف ان امامنا طريقا طويلا .

سانقد دائما ، وساهاجم كل اسباب الفرقة ، وادعاءات الشرف الباطل الذي ليس له تاريخ . ساقاوم مظاهر التدهور في الثقافة لاني يفطهدون الشعب المصري لهم سنوات، بانواع كتابة اوثقافة كالكلاكيع

التفتيش ، ساقاوم الكراهية والحقد والشللية والجهل الاعمى الذي لا يرى بشاعة خلقته !

وسادافع عن الاشتراكية والعدل الاجتماعي وحرية الشعب ، وسانبه الى ما اعتقد ان فيه مخاطر على اقتصادنا او مستقبلنا او تقدمنا .. وليغضب الورداني وامثاله كما يشاء لهم عدم الفهم ، او كما تشاء لهم اوهامهم .

ان الورداني هاجمني لانني قلت عن فترة ماقبل الثورة :« لم تكن هناك حرية ، كان هناك وهم بالحرية والحرية الوحيدة كانت للسادة العملاء والمستغلين ، واخشى ما اخشاه ان الذين يتحدثون عن الحرية الان لا يقصدون الا هذه الحرية ! »

وهاجمني لانني قلت : « ليست المسالة مناقشة بيزنطية حول الاقتصاد الحر او الاقتصاد الموجه بل هي في صميمها مسالة اهداف ولتحقق باية صورة ، ومن لديه خطة لتحقيق العمل الدائم الكريم - كما فعلت ثورة ٢٣ يوليو الى حد كبير - فليتقدم بها وفقا للاصول العلمية لا باسلوب الانشاء الفخيم الذي لا معنى له » .

وهاجمني لانني قلت : « المصري الكريم ، الانسان المحب لشعبه وامته لم يقبل اهدار الكرامة ، ولا زوار الفجر ولا تحويل الناس الى جواسيس بعضهم ضد البعض الاخر ولا الى التعذيب القذر الذي مورس على الانسان المصري ، ولا التكبر والتعالي والزعم بامتلاك الحق الاوحد ، وازدراء الاخرين » .

هاجمني لانني قلت « ان اسلوب الوصاية اسلوب كريه ، حتى لو كان يتضمن خير الامة » .

وهاجمني بصفة خاصة لانني قلت : « ان تدهورا ثقافيا حقيقيا يزحف كالمرض على عقل هذه الامة ، تحت شعار كراهية السلبيات القديمة ، متهما العلم والجد والاشتراكية بانها المسئولة عن هذه السلبيات » .

فهل اعتبر نفسه مقصودا بالتدهور الثقافي الذي يزحف على عقل الامة ، ولذلك انبرى للهجوم علي ، والدعوة الى خلق محاكم التفتيش وتحضير المحارق والمشانق .

وعجب واستغرب لانني تكلمت عن مشاكل خاصة بتطبيقات المنطق الديالكتيكي والمنطق الارسطي او الصوري ، وقال يا لها من ثقافة بروليتارية !!

وللاسف فهو لا يعرف ما يقصد بهذا الكلام ولا يعرف حتى معناه.

لم يطلب احد من الورداني ان يكون اكثر مما هو ، ولم يطلب احد ان يحاكم ، او يمنع عن الكتابة تحت اية حجة ، ومهما تكن المبررات ، اما هو فيطالب بمذابح ومحارق تحت سيل من الاتهامات .

وهو يهلل للحرية ، ومع ذلك يستهل هجومه على ما كتبته ، بانه ما كادت الرقابة ترفع عن الصحف حتى انطلقت اقلامنا تكتب ما اعتقده يستحق ابشع العقاب ..

يا لها من حرية ..!

واحب ان اطمئن الورداني ايضا ، بانني اطمح الى مزيد من حرية الصحافة ، وانني اكتب من اجل هذا وفي سبيله .

وعندما كتبت المقال الذي هاجمني الورداني بسببه ، كنت اريد ان انبه الراي العام في مصر وفي الوطن العربي ، بان ما يكتبه هؤلاء لا يمثل اي فكر رسمي . ولا يمثل حتى المصالح الاقتصادية والاجتماعية لفئة من الفئات ..

كنت اريد ان اقول انه راى شخصي بحت .

ولذلك ختمت المقال « ان القيادة السياسية الحالية لم تات من صلب الامراء ، ولا من صلب العمالة ، ولا من صلب التكبر والتعالي، انها من قلب الشعب ، ومن قلب ثورته ، ومهما قيل ، ومهما يقال ، ومهما يبدو للنظر السطحي ، فانها لن تكون الا في جانب هذا الشعب العظيم الباحث بدأب ، وبالاظافر ، عن حريته وكرامته ووجوده . »

ولم يقل لي مسئول كبير ذلك الكلام ، ولم اسمع به من احد ، ولكن بشيء قليل من التفكير وحساب المقدمات والنتائج ، يمكن التحدي بهذا الكلام .

ولذلك كان اخر سطر في هذا المقال : « وان لم يكن الامر كذلك فعلى المرء ان يلغي عقله ، وان يمحو ما استخلصه عن منطق الاشياء وطبيعة الامور .. »

كتبت هذه الكلمات في مجلة « الكاتب » قبل ان يخطب الرئيس السادات في اتحاد الطلبة بالاسكندرية بعشرة ايام .. ولم اكن اعرف، ولم افكر حتى في ان اخمن ان هناك خطابا للرئيس ..

ولكن عندما استمعت الى الخطاب امتلأ قلبي باليقين والاطمئنان .. ذلك ان منطق الاشياء قائم ، وان ما توقعته قد حدث ، وان ما كنت استنتجه قد قيل ..

والان ..

ارجو ان تكون هذه الكلمة خاتمة جدل لا فائدة من ورائه الا العقم..

كنت اريد الا ارد على الورداني .. فما كنت آخذه ماخذ الجد ، منذ كتب ذات يوم ، انه لا يؤمن بالثقافة ، وبانه لا يقرا ، وبانه يرفض ثقافة اليونان والرومان .. لانها ثقافة عفاريت ..

وكنت اقول لا باس .. فهذا لون من الكتابة على اية حال ..

احمد عباس صالح

الجمهورية ١١ ابريل ١٩٧٤

الوثيقة رقم (٥)

من هم المسترزقون المستميتون ؟ !

كتب السيد ابراهيم الورداني في عدد الخميس الماضي من الجمهورية مقالا بعنوان « الاقلام ومن يكتبون » فاقتبس فقرة من مقال لي نشرته مجلة الكاتب القاهرية - عدد ابريل ١٩٧٤ - يتضمن عرضا ونقدا وتحليلا لكتاب الاستاذ رجاء النقاش « العقاد بين اليسار واليمين » ، ووضعها في سياق مقال ملاه بالسباب تعليقا على كتابات اخرى لم تعجبه نشرت في مجلتي الطليعة والكاتب ، وفيما يتعلق بما نالني من هذه الشتائم ارد بما يلي :

ليس صحيحا ان كتاب الاستاذ رجاء النقاش يصف العقاد بانه متعيش ومسترزق وبلا مبادىء ورجعي وحقير وشتام ومتعصب كما جاء في مقال السيد الورداني ، اذ الواضح انه لم يقرأ الكتاب واراد بهذا الافتراء ان يمهد لهجومه علي لانني مدحت هذا الكتاب الممتاز بما يستحقه .

ولست طرفا في هذه الخصومة القديمة التي بينه وبين الاستاذ رجاء النقاش والتي يصر السيد الورداني على اعطائها بعدا سياسيا باتهام كل من كان طرفا فيها بانه ضد الوطنية ومعاد لحركة التصحيح ولعله يتصور ان الحاحه هذا سيجوز على الدولة فتتدخل للانتقام من كل الذين لا يرضون عن « اعماله الادبية » ولم لا والاستاذ في كل ما يكتب يحاول ان يصور حركة التصحيح كانها من فعله ، وكانه ناضل من اجلها ، وان له فيها ما ليس لاي انسان في هذا البلد ؟؟

ولان هذا هو مربط الفرس في هجوم السيد الورداني على مقالي، فقد حرص على ان يدس لي لغما سياسيا في الفقرة التي اقتبسها من المقال : لقد قلت ان جيل الخمسينات قد صمت في السنوات الاخيرة لما يسود الوسط الادبي والفكري من انتاج هابط ولكنه غير عبارة السنوات الاخيرة الى الفترة الاخيرة واضاف اليها « يعني بعد ١٥ مايو » وزج بتفسيره في المتن ليوحي بانها لي ،وهذا نوع من الارهاب السياسي ، ثم يتهمني وغيري باننا ضد الديمقراطية ودعاة انغلاق .

يتهمني السيد الورداني بين اخرين اننا ضد الحريات وضد اي « صحوة للعمل الوطني » واننا « ناس سد علينا رزق الطريق » ولسنا « مجازفين شرفاء بل مسترزقين مستميتين » ، ولعله مما يفيد في هذا الصدد ان نتحاسب امام الراي العام ليتذكر السيد الورداني اين

كنت قبل ١٥ مايو ١٩٧١ واين كان هو . لقد كنت معتقلا خلال ثلاث سنوات منذ منتصف مارس ١٩٦٨ الى منتصف فبراير ١٩٧١ ، وكنت مفصولا من العمل ومحروما من اي فرصة له منذ اكتوبر ١٩٦٦ والى اخر ١٩٧١ ، لانني طالبت بالحرية والديمقراطية في مقالات لي نشرت عام ١٩٦٦ ، وليس هذا وقت ولا مجال مؤاخذة الذين اعتقلوني ، لكن ما اود قوله انني لم اكن استرزق وجاء ١٥ مايو ليسد علي الرزق ، لكنني وقت كنت مسجونا وجائعا كان السيد الورداني كاتبا ملء السمع والبصر على صفحات هذه الجريدة نفسها ، لم نقرأ له هجوما على من كانوا يحكمون مصر قبل ١٥ مايو ، بل قرانا له مدحا لهم وتشبيبا بهم وغزلا فيهم بعباراته الرشيقة المنتقاة فهذا « خفير مصر القومي » وذاك « ضياء مصر » لم يضطهده احد ، ولم يضبط متلبسا بطلب الحرية او الديمقراطية ، بل حتى لم يصمت وانما تطوع للمدح والغزل وحاز جائزة في الادب ممن يحاول ان يصورهم اليوم بانهم كانوا خصومه ، ولدي بما كتبه سيادته ـ في تلك الفترة ـ ارشيف كامل لعله يسمح بنشره لنحتكم الى الراي العام في قضية «المجازفون الشرفاء» و « المسترزقون المستميتون » ، يومئذ تسود وجوه وتبيض وجوه ويعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون !!

ان الحرية تقبل الخلاف في الراي والاجتهاد فيه بين كل الاتجاهات ، وهي لا تقبل التجزئة ولا الارهاب ولا استعداء السلطات ، ولا اخفاء الخصومات الشخصية والمنافسات المهنية في اردية سياسية. وحرية الصحافة لا تعني حرية السيد الورداني ومن يؤمنون برأيه وحدهم والا ما اصبحت حرية لكل المصريين وانما ديكتاتورية سيادته ومن يلفون لفه .. الحقيقة ان المشكلة ليست مشكلة « الاقلام ومن يكتبون » ولكنها مشكلة « الاقلام وما كانوا يكتبون . وما اصبحوا يكتبون » !!

صلاح عيسى
الجمهورية ١١ ابريل

وثيقة رقم (٦)
كلمات

لست ادري ما الذي اثار الاستاذ احمد عباس صالح على هذا النحو فكتب افتتاحية حادة في زميلتنا « الكاتب » اتهم فيها مجتمعنا بانه لا يزال « يفكر بعقلية القرن التاسع عشر، وما زالت لدينا افكار عتيقة تتشبث بنفسها بعصبية وانغلاق وتعصب مرضي ، وكأن الدنيا ستنقلب راسا على عقب لو تخلينا عن هذه الافكار » .

واتهم الكتاب بالغفلة والجهالة لانهم « يهرولون ضد كل فكر علمي كانه لعنة من السماء ، ويهجمون بضراوة وشراسة جاهلة على بعض الافكار التي اصبحت من المسلمات سواء في المعسكر الاشتراكي او الراسمالي » .. وانتهى الى ان صحفنا تمتلىء بالفكر الفج والاراء المتعجلة ، واطلق صيحة حماسية جاء فيها « ان تدهورا ثقافيا حقيقيا يزحف كالرض على عقل هذه الامة تحت شعار كراهية السلبيات القديمة ، متهما العلم والجد والاشتراكية بانها المسئولة عن هذه السلبيات » .

ومع ان هذه الافتتاحية تمتلىء بكثير من هذه الاحكام الخطابية الحادة المستفزة الا انني لن ادخل مع الزميل في جدل حول اسلوبه الذي يكتب به فمن حقه ان يكتب كما يشاء ، ولكن اريد ان اطالبه : بان يطبق على نفسه اولا ، ما يطالب به الناس . بمعنى ان يكون عالما موضوعيا يتناول ما يحسن من الامور في اسلوب محدد نفهم منه ما يريد ، اما تلك الافتتاحية التي كتبها فهي موضوع انشائي يتناول بعض العموميات « الهلامية » ولهذا لم افهم على وجه التحديد : ما هذا الفكر العلمي الذي يحاربه الجهلاء بضراوة وشراسة ؟ وما هذه الافكار العتيقة التي لا تزال سائدة بيننا ؟ ومن هم هؤلاء الجهلاء المتعصبون المنغلقون الذين يهرولون ضد هذه الافكار العلمية ؟

قد نفهم على وجه التخمين ما هذا الفكر العلمي الذي يريد ، من خلال بعض اشاراته في الافتتاحية ، كاشارته الى الايديولوجية الاشتراكية ، والمنطق الديالكتيكي « الذي دفع بالاتحاد السوفيتي الى آماد بعيدة في فترة محددة » فهل يعني الفكر الماركسي ؟ واذا كان كذلك فهل اصبح هذا الفكر من المسلمات والبدهيات التي لا تحتمل الجدل في المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي » ؟ مع ان مناهج البحث العلمي الحديثة اصبحت تؤكد ان النظريات العلمية ليست يقينية ولا مطلقة وانما هي نظريات احتمالية ، وقد تتغير بعمليات التطور الدائم، وقد اناقش مفهوم احمد عباس صالح للمنطق الديالكتيكي والمنطق الارسطي في مجلة الثقافة حيث يتسع المجال هناك .

ولكنني ما زلت اطالبه بان يحدد ما يريد ، وان يبين لنا مظاهر تلك النكسة الثقافية التي تزحف الان علينا ، وكاننا كنا في ازدهار ثقافي طوال عقد النكسة اللعين ثم انتكسنا هذه الايام ، وانني لاعذر الصديق الاستاذ ابراهيم الورداني عندما انفعل من هذه الاستفزازات ورد عليها باستفزازات احد" وقال عن هذه الكتابات وامثالها انها سباب « حانق وبذيء وهمجي ومبتذل » ووصف الاستاذ عباس بانه « رئيس التحرير العقائدي المكتنز حنون الكادحين ورمش عين المستنزفين » « شاطر فهلوي . اريب .. قلم بلا قراء من فصيلة هؤلاء الكتاب الذين يضطهدون الشعب المصري منذ سنوات بانواع كتابة او ثقافة كالكلاكيع . عقربية اخطبوطية ، تفزع البني آدم من اي ثقافة او كتابة وينفر من اي فكر او فن » .

ومع انني ، لا اقر هذا الاسلوب في الجدل حول القضايا الفكرية ، الا انني اشد على يد ابراهيم الورداني واحييه ، فلا يفل الحديد الا الحديد .

وعندما يكتب احمد عباس صالح باسلوب علمي محدد مفهوم يمكن ان نرد عليه باسلوب موضوعي هادىء .

عبدالعزيز الدسوقي
التحرير ـ ملحق اسبوعي
لمجلة الثقافة ١٩ ابريل ١٩٧٤

وثيقة رقم (٧)

(...) ويبدو التناقض الواضح على الجبهة الفكرية عندما نقرأ لكاتب (١) يقول انه « يتخيل العالم بدون طعام وشراب ولا يتخيله بدون حرية الفكر وحرية العقيدة وحرية الضمير » (التحرير ـ الملحق الاسبوعي لمجلة الثقافة الشهرية ـ ١٩٧٤/٢/٢٢) ، وبعد اقل من اسبوعين يسارع نفس الكاتب ليقول عن مجلة تختلف معه في الرأي انها « تمارس دورا بغيضا في افساد حياتنا الفكرية والادبية وتتصرف كمؤسسة سياسية مستقلة تصدر البيانات وتدين الناس ، وتستخدم الفلول الباقية لمراكز القوى الغاربة التي لا تزال تتلكأ في ساحاتنا الادبية والفكرية » (التحرير ـ ٨ مارس ١٩٧٤) . ان حرية الفكر والضمير والعقيدة هي حرية الكاتب وحده : اما من يمارس حرية رأيه غيره ـ بما يختلف معه في الرأي ـ فلا بد من ابلاغ اجهزة الامن انه من عملاء مراكز القوى : وعلى صفحات الصحف . (راجع امثلة لهذا ايضا في التحرير ١٩٧٣/١٢/٧ وفي الجمهورية ١٩٧٤/٣/٧) ويتزايد الالحاح الان في بعض المنابر لتطهير الصحافة وطرد عدد من الكتاب منها بزعم انهم « ايديولوجيون » وانهم لا يعبرون عن رأي الشعب (لمع هذا التيار لفترة في صحيفة « الجمهورية » وفي « المصور ») ، وهي دعوة تكشف عن مدى اخلاص اصحابها لقضية الديمقراطية ، فضلا عن السخرية الباطنية التي تشعها الكلمات فلا يوجد كاتب من هؤلاء ولا من

---

(١) الكاتب المذكور هو عبدالعزيز الدسوقي نائب رئيس تحرير مجلة الثقافة ، صاحب الوثيقة رقم (٦)

غيرهم قد انتخبه الشعب ، حتى يزعم لنفسه انه يعبر عن رايه .

صلاح عيسى

الكاتب — يوليو ١٩٧٤

وثيقة رقم (٨)

دنيا .. الكتب

وهيئة الكتاب التي تملكها الدولة تنشر كتبا قليلة اقلها جيد او معاصر ، وتسال د . الشنيطي عن الحكاية فيتحدث عن الورق والعملة الصعبة ، فاذا قلت له ان الويسكي موجود . اكد ان ذلك من اختصاص وزارة السياحة . ويبتسم شريكه صلاح عبد الصبور — مبروك «وكالة» الوزارة — ولا يرد . وتشعر ان الكلام مع المسئولين في هيئة الكتاب يحتاج الى مترجم يعرف الاسبرانتو . وتدهش اذ تكتشف ان الهيئة لديها ورق توفره لمجلات يكتبها جيل واحد من الكتاب وتيار واحد من تياراتهم ، وان الادباء الشبان عندها هم صحفيون — لا ادباء جاوزوا السبعين . وفي هذه المجلات مقالات كانما تسعى الى تحريض وزير الداخلية على اعتقال عدد وافر من كتاب مصر ووضعهم في السجن . في حين ان مقالات هؤلاء السادة يعاقب عليها المساكين الذين يقولونها دون ان يكونوا محررين في مجلات الوزارة بمقتضى قانون حماية « الاداب » لانها تخدش الحياء العام ومع ذلك فهي تعتبر عند المسئولين عن هذه المجلات نقدا « ادبيا » !. وهكذا يضيع الورق يا هيئة !..

صلاح عيسى

الجمهورية ٤ يوليو ٧٤

وثيقة رقم (٩)

ازمة مجلة .. وازمة وزارة !

تثير الازمة التي تتعرض لها مجلة « الكاتب » اهتمام وقلق كل المثقفين المصريين والعرب ، خاصة انها تاتي في وقت يكثر فيه الكلام عن تعدد كل المنابر وحرية كل التيارات في التعبير عن نفسها .فتشكك في جدية ما يطرح من افكار وممارسات . وحتى الان فان القرار الرسمي الذي ابلغ للمجلة هو ان وزارة الثقافة ستتخلى عن تمويلها بعد صدور عدد اكتوبر .

وقبل اسبوع اصدر وزير الثقافة تعليمات شفوية بتاجيل الملحق الادبي الذي كانت « الكاتب » تعتزم اصداره ، وهدد بابلاغ المطابع بعدم الطبع اذا صدر الملحق . وفي لقاء بين الوزير وبين اسرة تحرير الكاتب ، عرضت تصورها للموقف في ثلاث نقاط :

- ان وزارة الثقافة ، ليست طرفا في الصراع بين تيارات الادب والفن والثقافة والفكر ، وينبغي الا تنتمي لاحد التيارات والا تعطيه فرصة على حساب اخر .
- ان الكاتب مجلة يسارية ، وهي تعبر عن رؤية اقسام من اليسار المصري والعربي في ظواهر الفكر والادب والفن والثقافة وانها مارست هذا الدور منذ اكثر من عشرة اعوام ، وينبغي ان تبقى لتمارسه .
- ان صدور مجلة ما عن وزارة الثقافة لا يعني انها منبر مخصص للدعاية لسياسات الوزارة وان من حقها ان تنقد هذه السياسات ما دام النقد موضوعيا وهادئا ويلتزم ادب الحوار وتقاليده ..

ومع موافقة الوزير على هذا التصور ، فقد تحفظ بانه محايد كوزير ، ولكنه غير محايد كشخص او كاديب ، وهو يعتقد ان اليساريين قد افسدوا الثقافة في مصر عشرين عاما ، الامر الذي ادى الى وفاة اكثر من اديب قهرا « عبد الحليم عبدالله وباكثير ويوسف غراب » . وقال ان من حقه والمجلة تصدر عن الوزارة ان يراجع اوضاعها لانه مسئول عنها ، وانه يفعل ذلك الان وقد ينتهي الامر اما بتخلي الوزارة عن دعمها او بتغيير رئيس تحريرها او مجلس تحريرها . وردا على سؤال عن مدى مسئوليته عما ينشر في مجلة « الجديد » مثلا ، قال ان رئيس تحريرها هو المسئول ..

والقرار الذي ابلغ للمجلة ما زال قائما يثير هذه التساؤلات :

- ما هو المبرر الذي يدفع الوزارة للتفكير في تغيير المشرفين على الكاتب : هل فقد عباس صالح مؤهلاته لرئاسة تحريرها بعد عشر سنوات من العمل الناجح ام ان هناك موقفا شخصيا منه ؟ .. هل لدى الوزارة اقتراحات باشخاص يمكن ان يفضلوا مجلس تحريرها الحالي الذي يضم اثنين من الضباط الاحرار هما كمال رفعت ولطفي واكد واستاذا جامعيا محل احترام وتقدير دوائر الثقافة في العالم هو د . محمد انيس . وناقد لامع هو رجاء النقاش . وهل هؤلاء اقل قيمة او علما عن مجلس تحرير مجلة « الثقافة » او « الجديد » مثلا؟..
- بماذا تبرر الوزارة ان الكاتب تطبع ضعف ما تطبعه الثقافة ، واذا كانت المسالة مسالة خسائر فلماذا لا تكف عن تمويل الخاسر ، واذا كانت كل المجلات تخسر فلماذا تتحمل الوزارة خسارة مجلتين تتبنيان نفس الاتجاه هما الثقافة والجديد ولا تغلق احداهما ؟
- لماذا تفكر الوزارة في ذلك الان .. وهل هذا هو تفسيرها لتعدد المنابر وحرية كل التيارات ؟!

صلاح عيسى

الجمهورية ٢٩ اغسطس ٧٤

الوثيقة رقم (١٠)

عن مجلة « الثقافة » ...

(...) على ان الذي زاد في سعادتنا بصورة مضاعفة ما لاحظناه من انزعاج الفلول الباقية من خدام مراكز القوى وبعض اصحاب الانتماءات المعينة الذين فرضتهم الظروف السياسية في عقد الستينات عقد الهزيمة اللعين على قمة الحياة الادبية والفكرية ومن الغريب ان هؤلاء وهؤلاء هم الذين افسدوا الحياة الثقافية وخربوا مؤسسات المسرح والسينما والنشر ، وحولوها الى انقاض ، لا نزال حتى الان نعاني مما احدثوا من دمار ، ونحاول ان نرفع الانقاض ونطهر الارض — ولهؤلاء قصة يجب ان تروى بصراحة وبالاسماء حتى لا يذرف عليهم بعض المخربين دموع التماسيح مرة اخرى .

ولقد حاربت هذه الفلول الضائعة من قطاع الطريق الادبي مجلة الثقافة بكل الاساليب ، بالهمس النجس ، وبالدس الرخيص، وبالهجوم المنظم ، فزادنا هذا رسوخا وذيوعا ، وتجاهلنا كل هذا ومضينا في طريقنا ننشر في كل شهر نحو اربعين مادة كما قلت ، وهذا في حد ذاته سيحدث انعاشا ثقافيا خطيرا سيكون له فيما بعد اعظم الاثار ، وهذا هو هدفنا ، وهذا ما يخيفهم لانهم تصوروا ان الحياة الثقافية عقمت ، وان عليها ان تستقبل فكرهم وحدهم فكانت صدمتهم الاليمة عندما وجدوا التربة العربية ترفض بذورهم وتميتها وتستقبل ثقافتها الاصيلة المتفتحة وتحولها الى ثمار يانعة ناضرة .

ولعل هذا هو سر حملاتهم المنظمة على مجلة الثقافة وشعارها الذي اشاعته على امتداد الارض العربية ، واحيانا كنت اتصور ، من كثرة الهجوم على هذه القيم التي ترسيها الثقافة في حياتنا الجديدة، انها عشر مجلات لا مجلة واحدة فتزداد سعادتنا ونحس اننا نؤدي رسالتنا ، اما يوم ان يرضى عنا هؤلاء فسنفزع لاننا سنكون في طريقنا الى الموت ، وهذا لن يحدث ابدا ، فتربتنا العربية لا تستقبل البذور الاجنبية السامة .

ولكن ما لنا نحن وقطاع الطريق الادبي .. ان علينا ان نحلم احلاما كبيرة نحققها للعام القادم . واذا كانت تجربة الثقافة في عام قد حققت كل هذا فيجب ان يكون طموحنا كبيرا فيما يستقبل من اعوام .

عبدالعزيز الدسوقي

مجلة الثقافة — سبتمبر ١٩٧٤

وثيقة رقم (١١)

ازمة الكاتب الراهنة

بكرت روز اليوسف في مبادرة كريمة تفرضها مبادىء الدفاع عن حرية الراي ، بالتحذير من المصير الذي تردد ان مجلة الكاتب ستنتهي

اليه ، اذ يجري التفكير في وزارة الثقافة بالتخلي عن تمويلها، بعد صدور عدد اكتوبر القادم ، وهو ما دفعني وبعض هيئة تحرير الكاتب الى مقابلة الاستاذ يوسف السباعي وزير الثقافة ، الذي لم ينف ان هناك دراسة لاوضاع الكاتب قد تنتهي بغلقها او تغيير هيئة تحريرها او اي اجراء اخر ، وان كان يأمل الا تضطره الظروف للاقدام على الاجراء الاول .

حقيقة ان ثمة حملة مكثفة طالعتنا بها مجلة الثقافة في اعداد سابقة ومتعددة موجهة الى كتابات الاستاذ احمد عباس صالح. ولست ادري ان كان هناك نوع من الصلة بين التفكير في تخلي وزارة الثقافة عن تمويل الكاتب وبين تلك الحملة الموجهة الى رئيس تحريرها وكانت الحملة تبدو غير موضوعية وتحمل في ثناياها الكثير من الحقد والكراهية للاستاذ احمد عباس صالح ولكني لم اقف كثيرا عندها فكتاب مجلة الثقافة يريدون ان يعبروا عن رأيهم من الموقف الفكري لكتابات عباس بطريقتهم الخاصة . فليكن ، ان المنابر متاحة لكافة الاتجاهات وان كانت نبرة النقد في تناول كتابات احمد عباس صالح تحمل شيئا من العنف لا يرتاح له القارىء .

فالكاتب مجلة يسارية واضحة وقفت بشجاعة للدفاع عن منجزات الثورة وتصدت لكافة التيارات اليمينية المعادية او لاخطرها . والكاتب فوق ذلك تتميز بميزات لا يجاريها فيها غيرها من المجلات المصرية : فهي اعرق المجلات المصرية الثقافية على الاطلاق ولها سمعة مرموقة في العالم العربي بخاصة والخارجي بعامة فقد كان الغرض الاساسي من اصدارها ان تكون منبر حوار واتصال بين دوائر الثقافة في مصر وسائر الاقطار العربية . ومن هنا فان قرار التخلي عنها ربما يحمل البعض على الظن بان الثقافة في مصر تتراجع عن هذا الاتجاه. ووزارة الثقافة قد سمحت بظهور مجلات اخرى جديدة لا يتجاوز عمر بعضها سنة او سنتين على الاكثر تحمل فكرا مناقضا لفكر الكاتب وانا اقصد مجلة « الجديد » ومجلة « الثقافة » . ومهما يكن موقف وزير الثقافة الفكري الخاص فسيحمد له دائما انه ترك كل هذه المجلات تتصارع فكريا .

هذا الموقف من جانب السيد الوزير معقول للغاية ثم هو في نفس الوقت تعبير عن حقيقة ما جاء في ورقة الاتحاد الاشتراكي التي طرحها الرئيس انور السادات والتي تدعو كافة الاتجاهات لكي تعبر عن نفسها .

لكن ما جاء في روز اليوسف كان شيئا يدعو الى القلق حقا . لماذا يراد لمجلة الكاتب التي عاشت ما يقرب من ١٤ سنة والتي تعرضت في حياتها لكثير من المتاعب والمضايقات المالية وغير المالية ان تغلق الان ؟ وبكل المقاييس الوطنية الشريفة فان « الكاتب » قد خاضت اعظم معاركها ضد الاستعمار والرجعية ، وبكل المقاييس المالية ايضا فان الكاتب اكثر مجلات وزارة الثقافة توزيعا في العالم العربي .

ومع ان وزير الثقافة قد اكد لي بشكل قاطع - في جزء اخر من حديثه - ان مجلة الكاتب لن تغلق فانني - بكل ما املك من صراحة - اخذت استرجع تلك الحملة التي كانت تشنها مجلة الثقافة (ورئيس تحريرها وزير الثقافة نفسه) على الاستاذ احمد عباس صالح. وسالت نفسي - ولي الحق في ذلك :

- ما هي اذا العوامل التي تدفع وزارة الثقافة الى اغلاق الكاتب؟

سياسيا كانت ولا تزال اكبر المنابر المدافعة عن اتجاهات الثورة المصرية الراهنة وعن سياسة الرئيس انور السادات - ماليا هي اكثر مجلات وزارة الثقافة توزيعا وبالارقام . ان المجلة تطبع ١٠ الاف نسخة وهو اكثر بكثير مما تطبعه الجديد او الثقافة . ولو كانت الكاتب تطبع هذا العدد وتخسر باستمرار للجات الهيئة العامة للكتاب الى انقاص الكمية المطبوعة من شهور طويلة ، ولكن هيئة الكتاب لم تفعل ذلك .

وهذا يعني شيئا واحدا : انها لم تخسر الى الحد الذي يتحتم على الوزير اصدار امر باغلاقها او التخلي عن تمويلها .

ولست ادري ان كنت على صواب في فهم هذه المعادلة الصعبة : تصريح وزير الثقافة والدكتور محمود الشنيطي بانهما لا يعتزمان اغلاق الكاتب ولكن بتحفظ يذكرنا بالتحفظات الاربعة التي جاءت في تصريح فبراير ١٩٢٢ من جانب انجلترا والخاص باستقلال مصر . اعني انه طالما ان المجلة تصدر من وزارة الثقافة فللوزارة الحق في التدخل في هيئة تحريرها ونوعية ما يكتب فيها . واخشى ما اخشاه ان تكون وزارة الثقافة تنوي الابقاء على مجلة تحمل اسم الكاتب ولكنها تعمل على تغيير هيئة التحرير واتجاه المجلة .

اذا صح ذلك - وارجو ان يكون غير صحيح - فان الكاتب الحقيقية التي ظلت امينة على اتجاهها اليساري الوطني سوف تختفي بالفصل وهنا يحق لروز اليوسف ان تنعي الكاتب كما فعلت .

اننا لا يجب ان نفصل بين هيئة التحرير وبين المجلة نفسها . فقبل كل شيء وبعد كل شيء فان هيئة تحرير وكتاب اي مجلة هم الذين يصبغون هذا الاتجاه .

اغلقوا الكاتب اذا اردتم - وهو امر في سلطتكم - ولكن لا تضعوا سدودا امام اتجاه فكري تقدمي بفصل هيئة تحريرها وطرد كتابها . ان الطليعة مثلا هي طليعة فكرية بسبب وجود لطفي الخولي وابو سيف يوسف ورفعت السعيد وغيرهم من هيئة التحرير والكتاب ، وروز اليوسف هي روز اليوسف بسبب وجود صلاح حافظ وعبد الرحمن الشرقاوي وفتحي خليل وغيرهم - وجريدة الجمهورية جريدة طليعية تطرح فكرا متقدما بسبب وجود مصطفى بهجت بدوي وصلاح عيسى وفتحي عبد الفتاح ومحمد عودة وغيرهم - وكان من الممكن ان تكون الطليعة كالسياسة الدولية لولا وجود لطفي الخولي وزملائه وكان من الممكن ان تكون روز اليوسف اي شيء اخر لولا وجود عبد الرحمن الشرقاوي وزملائه .. والعكس صحيح كان من الممكن ان تكون الاخبار شيئا اخر (وقد كانت) لو كان يتولى رئاسة التحرير فيها خالد محي الدين . وهكذا الى ما لا نهاية . المجلة يحكم عليها ليس باسمها فالاسم لا يعني شيئا على الاطلاق ، ولكن بهيئة تحريرها وكتابها . وليس من قبيل المصادفة ان تفكير وزارة الثقافة في التخلي عن الكاتب يحمل المجلة على ان تفكر في مخاطبة روز اليوسف او الجمهورية لكي تصدر من هذه المؤسسة او تلك .

لي كلمة اخيرة اوجهها بصفة خاصة الى المجلات الشهرية او الاسبوعية او الصحف اليومية التقدمية التي تصدر في مصر : لا تنظروا الى ازمة الكاتب بروح الانفراد وكانكم سوف تستوعبون قراء الكاتب المشردين . هذا خطأ فادح والافضل لتلك المجلات والصحف وليس للكاتب وحدها ان تنظر الى القضية نظرة بداية وليست ذاتية ، فتعي ان ما تتعرض له الكاتب الان سوف تتعرض له حتما كافة الاقلام والمنابر الفكرية ذات الصبغة اليسارية .

د . محمد انيس

الكاتب - سبتمبر ١٩٧٤

وثيقة رقم (١٢)

استقالة هيئة تحرير الكاتب

السيد / الاستاذ يوسف السباعي

وزير الثقافة

تحية طيبة وبعد

فيؤسفنا ان ننهي اليكم ان هناك عدة مظاهر تؤكد ميلكم لتصفية الفكر الاشتراكي التقدمي والوطني من مجال الثقافة منذ توليكم مسئولية هذه الوزارة .

واسمح لنا ان نشير الى بعض هذه المظاهر والتي انتهت الى

ارغامنا على الانسحاب من مجلة الكاتب بعد ان بذلتم جهودا عديدة لشل حركتنا واضطهادنا وارغامنا على قبول تحكمكم المنحاز في اتجاه المجلة بحجة انكم مسئولون عنها كوزير للثقافة .

وقد بدأ موقفكم من المجلة ومن رئيس تحريرها مبكرا جدا وقبل توليكم الوزارة احتججتم بطريقة غير ودية على عبارة صغيرة وردت في مقال للاستاذ نعمان عاشور (١) وهو يحاول تقديم انطباعات عن الحركة الادبية في مصر . وعند احتجاجكم اعلن لكم رئيس التحرير ترحيبه الكامل بنشر اي رد ترسلونه للمجلة على هذه العبارة ، على الرغم من انكم هددتم رئيس التحرير بالحبس والاعتقال نتيجة (الجريمة) بنشر رأي لاحد الكتاب المعروفين في المجلة وعلى كل حال لم ترسلوا اي رد .

وعند توليكم الوزارة كان من اول تصرفاتكم اعادة تشكيل اللجان المتعاونة مع مؤسسة المسرح واستبعدتم كل العناصر اليسارية منها دون مبرر ودون غاية واضحة الا الميل لجعل العمل الثقافي محصورا في اتجاه بعينه ، وكان رئيس تحرير مجلة الكاتب واحدا ممن استبعدوا من هذه اللجان .

ومنذ هذه اللحظة بدأت متاعب مجلة الكاتب فلقد اكتشف مثلا رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب ان نسخ مجلة الكاتب تخرج من المطبعة الى المخازن دون ان تتسلمها شركات التوزيع حتى يمنع تداولها . واضطر رئيس الهيئة الى التحقيق مع المسئولين عن هذا العمل المشين الذي لا يقيم وزنا للجهد البشري ولا للمال في سبيل منع المجلة من التداول ، وبطريقة سرية .

كما ان الكاتب كانت المجلة الوحيدة من بين مجلات الوزارة التي منعت عنها جميع التسهيلات فقد خفض عدد صفحاتها واهملت في التوزيع والاعلان عنها ، وبذل من اجل قهرها وحجبها وتشويهها كل ما يمكن بذله من وسائل غريبة تثير الدهشة والعجب .

كل ذلك والمجلة خاضعة لرقابة الدولة . ولكن ما ان رفعت الرقابة حتى بدأت المتاعب الاكثر حدة بالنسبة للمجلة . ولم يكد يصدر العدد الاول بعد الغاء الرقابة حتى ظهرت مقالات في الصحف تهاجم رئيس تحريرها ويفهم منها انها لا توافق على رفع الرقابة عن مثل مجلة الكاتب وفي الوقت نفسه ظهرت سلسلة من المقالات في مجلة الثقافة التي ترأسون تحريرها تهاجم رئيس تحرير مجلة الكاتب شخصيا ، واسرة تحريرها وكل الكتاب التقدميين بالفاظ تعرض كاتب هذه المقالات للمسئولية وتعرضكم باعتباركم مسئولين عن التحرير للمساءلة القضائية فضلا عن منافاتها لاي تقاليد للخلاف في الرأي . ووضح ان المجلة التي ترأسون تحريرها وانتم وزير الثقافة تتخذ خطا عدائيا للفكر الاشتراكي ولطائفة كبيرة من المفكرين المصريين بشكل سافر وكان اخر ما يشير الى ذلك ما جاء في العدد الصادر في ١٠ سبتمبر من مجلة الثقافة من تهديد للمسئولين عن مجلة الكاتب « بالمصير المحتوم » الذي ينتظرهم ، الامر الذي لا يتفق مع المفهوم من رسالة الوزير في اطار تحالف قوى الشعب العامل ، وفي اطار الوحدة الوطنية وتضامن كل القوى .

وخلافا لامر السيد رئيس الجمهورية ارغمت الكاتب على ان ترسل للرقابة والا تطبع اصولها الا بعد اجازتها من الرقابة .

على ان الكاتب رفضت هذا الموقف المخالف للسياسة العامة التي اعلنها الرئيس السادات والتي طبقها في اعادة تنظيمه للصحف ، والتي وضح منها حرصها على تعدد المنابر ، والتي شرحها للصحفيين والكتاب السيد الدكتور احمد كمال ابو المجد وزير الاعلام في وضوح يقطع كل التباس ، غير ان اسرة الكاتب فوجئت منذ عدة ايام باوامر من رئيس مجلس الادارة العامة للكتاب الى رئيس مطبعة الهيئة بعدم جمع اي مقال للكاتب دون ان يكون موقعا عليه من رئيس هيئة الكتاب ومعنى هذا في الواقع الغاء سلطات رئيس تحرير المجلة وفرض رقابة عليها خلافا لقرار السيد رئيس الجمهورية .

وكان واضحا لاسرة مجلة « الكاتب » ان حصارا متعمدا يلاحق المجلة حتى ابلغنا السيد الدكتور محمود الشنيطي انذاركم لنا بان اخر عدد سنطبعه وزارة الثقافة من المجلة هو عدد اول اكتوبر القادم . واضطر رئيس التحرير لمقابلتكم للتأكد من صحة الانذار فاوضحتم له انكم وراء هذا الانذار فعلا .

وعندما اثيرت ازمة « الكاتب » في الصحف بدأتم تعدلون خطتكم في قهر المجلة وفكرها ، وهي ان تفرضوا عليها اتجاها غير اتجاهها وان تعيدوا تشكيل مجلس تحريرها بما يحقق هذه الغاية وهو نفس الامر الذي اتبعتموه في لجان المسرح . وفي لجان المجلس الاعلى للفنون والاداب ، حيث استبعدتم كل الذين اعتقدتم انهم لا يوافقون على آرائكم .

وعلى الرغم من الجدل الطويل الذي ثار بينكم وبين ممثلين للمجلة ، ورغبتنا في التعاون والتفاهم الا انكم صممتم على موقفكم واردتم ان تفرضوا اشخاصا بعينهم على المجلة ، وان تعطوهم سلطات اكثر من سلطات رئيس التحرير في محاولة للاحتفاظ بالشكل الظاهري مع السيطرة على مضمون ما تنشره المجلة ، والذي لا يمكن ان يعبر عن فكر المجلة وخطتها التي دابت عليها منذ احد عشر عاما .

ان اسرة المجلة ترفض هذه السلسلة من المواقف ، وتتمسك بالمواثيق التي اعلنها الرئيس انور السادات ، وهي لم تفقد يقينها يوما بانها تخدم الخط الوطني العام الذي رسمته القيادة السياسية العليا . والذي يؤكده ان الدولة لم تتخذ منها اي موقف اللهم الا المساندة الفكرية البالغة الوضوح والتي تظهر في خطب الرئيس السادات وفي المواثيق المعلنة .

ولاسرة المجلة الحق كل الحق في ان ترفض موقفكم منها جملة وتفصيلا ، وان ترفض اساسا الموقف الفكري الواحد الذي يظهر واضحا في المجلة التي تراسون تحريرها وفي المؤسسات الثقافية الاخرى التي تتبع الوزارة . انه حصار مضروب على الفكر الاشتراكي والقومي ، وهو موقف شخصي لا يتفق مع السياسة العامة للدولة يهدف الى تفتيت الوحدة الوطنية ويزكي روح العداء والخصومة في وقت نحن احوج ما نكون فيه الى الوحدة والتضامن .

واسرة الكاتب تعلن لكم رفضها التام للتشكيل الجديد لمجلس التحرير ، ولكل الخطوات التي اتخذت ضد المجلة وتنحيها عن العمل بهذه الشروط الامر الذي يوافقها فيه جميع كتاب المجلة ومحرروها ، وتحميلكم مسئولية تصفية منبر هام حافظت عليه القيادة الوطنية الثورية منذ انشاء المجلة .

وتقبلوا تحياتنا

رئيس تحرير مجلة الكاتب احمد عباس صالح

مجلس التحرير : لطفي واكد ، د . محمد انيس ، رجاء النقاش ، صلاح عيسى .

سكرتارية التحرير : احمد القصير ، حسنين كروم .

وثيقة رقم (١٣)

عصا الوزير

لست اريد ان يتفق الجميع على ان هذا الاديب الوزير يدخل الادب من بابين : باب الرواية والكتابة والتاليف ، وباب الادب بمعنى التاديب والتهذيب والاصلاح ـ واغلاق المجلات .

ما بيني وبين وزير الثقافة لحسن الحظ ود معقود ، غير مفقود ! وقد يكون ذلك لانني طوال عشرين عاما لم احترف النقد الادبي ، فاتناول رواياته وافلامه بالنقد والتقييم . لا بالخير ولا بالشر ! وقد يكون كذلك لانني اسمع عن بعض مبادراته الفردية لمعاونة بعض من تصيبهم

---

(١) « ومن كتاب الجنس احسان عبد القدوس ، ويوسف السباعي وامين يوسف غراب » .

من ابناء مهنة الادب بعض المشاكل ، وقد تكرر ما سمعته عنه ، حتى انطبع في ذهني انه يتحلى بنوع من طيبة مواليد (جنينة ياميش) بحي السيدة زينب ، أو بلون من شهامة الفرسان الضباط ، أو الضباط الفرسان . وقد استمر لذلك هذا الود المعقود غير المفقود حتى جاء يوسف السباعي وزيرا . وحتى أصبح هذا الكاتب والصحفي الاديب الذي كان يكتب على استحياء في عام ١٩٤٨ قصصا في مجلة (الهلال) وزيرا للثقافة في مصر .

وهنا اخشى ان اقول ان ما اتخذه اخيرا من اجراءات ادارية في تغيير ادارة مجلة « الكاتب » الشهرية ، وتعيينه لشخصين في ادارة المجلة اجراءات غير مفهومة ، ولا تجد تبريرا معقولا سوى ان الوزير يستخدم عصاه بدلا من ان يستخدم قلمه او قلبه او عقله . ولست اريد للوزير الذي يحبه البعض ويكرهه البعض ، ويؤيده البعض ويندد به البعض ، وليس عليه في ذلك من شيء ، لان هذا الحب وهذا الكره طبيعيان في مهنة الادب والحياة العامة .. لست أريد ان يتفق الجميع على ان هذا الاديب الوزير يدخل الادب من بابين : باب الرواية والكتابة والتاليف ، وباب الادب بمعنى التاديب والتهذيب والاصلاح .. واغلاق المجلات .

فلكم يسوء الصديق حقا ان يقرن اسم يوسف السباعي باغلاق المجلات وخاصة الادبية والفكرية منها . ويسوءني اكثر من ذلك ان يقال انه فتح مجلات عديدة ، ثم اغلقها ، وهو لذلك يفتح المجلات في هدوء بال ويغلقها في هدوء بال ، لا يؤرقه ان يستقر ذات يوم في تاريخ الصحافة الادبية المصرية ان هذا الكاتب الوزير واحد من الذين سجلوا الرقم القياسي في اغلاق المجلات .

فاذا كان الذي يسوء الوزير من مجلة « الكاتب » باعتباره مشرفا ووزيرا ان هذه المجلة لا تجري على هواه ومشتهاه ، او انها لا تتحرك في نفس السياسة التي يعتقد انها السياسة الاصوب والاصح ، فان هذا الاستقلال وهذا الخلاف هما بالذات اللذان يبرران ان يترك الوزير تلك المجلة وشانها . لان ليس حتما ان تصبح كل المجلات التابعة لوزارة الثقافة تابعة للوزير في الادارة والفكر معا . وليس حتما ان تكون كل المسارح التابعة لوزارة الثقافة معرضا لمسرحيات او روايات الوزير ، حتى ولو كان من بين مسرحيات الوزير ما يرقى دون خلاف الى مراتب الروائع . وليس حتما ان تطبع مطابع الوزارة روايات الوزير الاديب . فهناك بالطبع فرق بين الوزارة والوزير . واذا كنا نرفع صادقين شعار دولة المؤسسات ، فارجو الا نغالي في التفسير والاندفاع فتصبح الحكاية « مؤسسات الدولة » بدلا من « دولة المؤسسات » ! لان الحفاظ ــ في سماحة ودون كراهية ــ على استقلالية المؤسسات ، وعلى قدرتها على الحركة الذاتية ، هي مقياس النمو والتحضر ، وليس العكس . ولم نسمع ان اندريه مالرو ــ وزير الثقافة الفرنسي الاسبق ــ قد فرض مثلا مزاجه وفكره وأدبه على المسارح والمجلات والنشرات التابعة لوزارته . وعلى الرغم من ان مالرو ناري المزاج ، وله خبرة لا ينكرها احد في الوان الفنون والثقافات العميقة ، الا انه حين حاول ان يفرض مزاجه الخاص على سقف دار الاوبرا ، فاوكل الى الرسام شاغال ان يرسمه رسما عصريا حديثا ، قامت القيامة بين المثقفين والمتذوقين ، لان شاغال وهو رسام عالمي لا ينكره احد قد « لخبط » بين الطراز الحديث وطراز المعمار القديم في أوبرا باريس ! ولم ينجح مالرو في فرض مزاجه الخاص الا عند تبييض المباني الاثرية في باريس . وصفق له الكثيرون رغم معارضة آخرين ! وحين جاءه بعض المنافقين والمنتفعين ــ وهذه ظاهرة عالمية نشهدها في وزارات الثقافة في العالم ، وحول هذه الوزارات ــ وعرضوا عليه اخراج روايته « القدر الانساني » ، وهي من روائع الادب العالمي التي شهد لها النقاد قبل ان يصبح مالرو وزيرا وبعد ان اصبح كذلك ، رفض مالرو هذا العرض « المغرض » رفضا يشبه التشنج ، وكانما انتابته موجة من الصرع !

وقال مالرو انه سيوافق على المشروع بعد خروجه من الوزارة ان كانوا يريدون حقا تخليد رائعته الادبية على الشاشة البيضاء !

فليس حتما اذن ان يطبع وزير الثقافة كل ما يصدر من كتابات بطابعه الخاص او برايه الخاص او مزاجه الخاص . ومن هذه الزاوية كنت اود أن يسجل الوزير الاديب يوسف السباعي اختلافه مع سياسة مجلة الكاتب ، وان يتركها تصدر . لانه من الاوفق للوزير الاديب ان يسجل اختلافه مع المجلة ويتركها تصدر ، على ان يفرض خلافه ويصادرها .

فكل الوزارات لا تتفق بصورة او باخرى مع كل ما ينشر في المجلات التي تصدر عنها .

وأغلب وزارات الثقافة والاعلام في البلاد العربية اصبحت تفعل نفس الشيء ، فكل الوزارات لا تتفق بصورة او باخرى مع كل ما ينشر في المجلات التي تصدر عنها والنهضة الادبية والثقافية التي تشهدها دولة عربية حديثة مثل الكويت تقوم على تشجيع المجلات الشهرية تشجيعا فائقا ، وتكتفي الحكومة بان تكتب على الصفحة الاولى بأن كل ما يرد من اراء يعبر عن رأي اصحابها ، فاذا لاحظنا ان الكويت تصدر مجلة « العربي » ويترأس تحريرها شيخنا العالم المصري الدكتور احمد زكي منذ اكثر من عشرين عاما ، وقد وصل توزيعها الى مئات الالاف ، فلا بد ان نلاحظ ايضا ان الاغلبية الساحقة من كتابها هم من الكتاب والاساتذة الجامعيين المصريين . وقد أخرجت الكويت مؤخرا مجلة « الفكر » ، ومستشارها هو الدكتور الجامعي احمد ابو زيد وهو جامعي مصري بدأ حياته في جامعة الاسكندرية ، وتكسب هذه المجلة الجديدة سمعة ادبية وثقافية راقية . ونفس القصة في مجلة « المعرفة السورية » التي تصدر في دمشق . ولا أريد ان اشير الا عابرا الى المجلات الثقافية والادبية اللبنانية او التي تصدر في لبنان. فلا زالوا يحافظون على مجلة « الاديب » القديمة العريقة ، ولا تزال مجلة « العلوم » و « الثقافة العربية » و « الاداب » و (حسواء) و « دراسات عربية » وعشرات المجلات التي تصدر في بيروت ، والعجيب ان نصف هذه المجلات او يزيد يحررها ادباء مصريون متفرغون او غير متفرغين . وبينما تنكمش المجلات الفكرية والادبية الشهرية في مصر فتتسع وتزدهر المجلات المماثلة التي تصدر خارج مصر ، وهي تعتمد في الاساس على سمعة او خبرة او اجتهاد الكتاب المصريين .

وبعد هذا نتحدث عن « هجرة الادمغة » أو قل « هجرة الافئدة » من مصر .. ونعقد المؤتمرات ونكون اللجان لتبحث وتتقصى اسباب هذا الهزال والضمور في جانب وهذا الازدهار والانطلاق في جانب آخر !

ولست اظن ان احمد عباس صالح ، رئيس تحرير « الكاتب » ، وهو الذي يتمسك بمجلته ، رغم تقلب العصور وتجدد المصاعب عليها ، وكانه فلاح دؤوب يتشبث بقيراطين من الارض ، وهو امر لا بد ان ننكره من المثقفين الذين فقد اغلبهم هذا العناد الزراعي وذلك الدأب والاجتهاد ، أقول لست أتصور ان احمد عباس صالح سوف يفقد كثيرا حين يترك المجلة ، ولكن المجلة سوف تفقد الكثير . فقد حرص على ان يجتهد في ابراز الخط العربي اليساري غير الماركسي بصفة خاصة ، مع ابراز الشخصية العربية ، والتراث العربي والتاريخ المصري ، وكل ذلك مطلوب للقراء في مصر والخارج . ولاحمد عباس صالح كتاب اسمه « الاسلام بين اليمين واليسار » وجدته معروضا في احدى المكتبات المواجهة لضريح سيدنا علي في مدينة النجف العراقية وسط غيره من كتب الدراسات الاسلامية الرفيعة . وهو كتاب طبعت منه طبعتان ، يدل على أن صاحبه يجتهد في تحليل تاريخ الاسلام ، وهو اجتهاد فقدناه منذ وقت طويل ونفتقده خاصة

بين كتاب اليسار ، ولست أظن كذلك ان الدكتور محمد انيس يحتاج الى مجلة الكاتب كما تحتاجه المجلة ويحتاجه القراء ، فهو من ثقاة المؤرخين الذين نحتوا مدرسة مصرية في كتابة التاريخ المصري الحديث. وأنا هنا ـ غير متحيز لشخصه ـ وأشهد ان كل المؤرخين المعاصرين العالميين في لندن وباريس ـ من برنارد لويس الى جاك بيرك ومكسيم رودنسون ـ يسألون دائما عن آخر مؤلفات محمد انيس كصاحب مدرسة لها ما لها وما عليها ، ولها خصوم وأنصار بالطبع ، ولكن لها دائما وزن وثقل في المحافل الجامعية ، ولا يحتاج الامر ليوسف ادريس ان يبقى او يستقيل . فقد انعقد له لواء القصة العربية القصيرة بشهادة كتاب مصر المحافظين والتقدميين وكتاب العرب جميعا . ولا يختلف كثيرون على ان المجلة سوف تفقد الكثير من طعمها ومذاقها ونشاطها لو ان يوسف ادريس وعباس صالح ومحمد انيس وغيرهم تركوا المجلة وتركوها بهذه الطريقة ـ وأقول بصراحة وود ان المجلة لن تكسب كثيرا اذا انضم من هم اقرب الى الوزير او أطوع لاوامر الوزير . فاذا كان المبرر لتلك التعديلات الادارية التي أجراها وزير الثقافة ان اللذين عينهما أقرب اليه ، أو أفهم لسياسته ، فان هذا أيضا ظلم كبير لهذين الكاتبين الاديبين ، واحراج لسمعتهما ان كانا يحرصان على سمعتهما الادبية .

فلا يعقل ان يجلس على مقعد في مجلس التحرير واحد يتبع الوزير ويطيعه ، وواحد لا يتبع الوزير ولا يطيعه . فيترك الاثنان عملهما ، ليتصاولا ، ويتجادلا ، ويلغي الاول عمل الثاني ، ولا نسمع عن معركة ادبية يحتاجها القراء ويستفيدون منها او معركة فكرية تحتاجها العقول النائمة لتستيقظ ، بل لنسمع عن معارك شخصية او معارك ادارية لا يستفيد منها احد .

***

وبعد .. فقد كتبت من قبل في هذه اليوميات أدعو وزير الثقافة الكاتب الاديب يوسف السباعي الى تحويل دار الكتب الى مكتبة متخصصة لجمع الكتب والمؤلفات التي عالجت تاريخ القاهرة ، لتكون مثل مكتبة مدينة باريس التي تجمع كل الكتب والمؤلفات عن تاريخ باريس ، وطلبت ألا تهدم دار الكتب القديمة ، بعد الانتقال الى الدار الجديدة ، ودعوت معه محافظ القاهرة السابق الى ذلك ، فتفضل بقبول الفكرة ، ويبدو ان وزير الثقافة كان على سفر فلم يرد على اقتراحي ، ودعوته بعد ذلك في اليوميات ايضا الى تشجيع اقامة معرض الفنانين العراقيين في القاهرة ، ثم حدثته في ذلك ، فاستجاب مشكورا ، وبقلب مفتوح ، ويبدو انه اتفق على ذلك في رحلته الاخيرة الى بغداد .. وسيقام المعرض بعد شهر أو شهرين ، ولعل هذا « الود » المعقود بيننا هو الذي دفعني الى الا اترك دون تعليق موضوع مجلة الكاتب وتعديل الادارات فيها . عسى ان يخفض الوزير عصاه ويمسك قلمه ويسأل عقله ، ويستلهم قلبه ، ويعود عن قراره .

فمن الافضل والارقى للوزارة والوزير والقراء أن يترك مجلة تخالفه ـ ان كان هناك اختلاف ، ففي هذا دليل سماحة الفكر والثقة بالنفس ، وليس هذا كله ببعيد على الاديب الكاتب حين يصبح وزيرا يملك ان يخفض عصا الوزير حينا ويملك ان يمسك قلم الاديب والكاتب حينا اخر .

كامل زهيري

الجمهورية ـ ١٧ سبتمبر ٧٤

وثيقة رقم (١٤)

الحقيقة في موضوع مجلة « الكاتب »

نشرت « الجمهورية » يوم الثلاثاء الماضي يوميات كامل زهيري عن موقف وزير الثقافة من مجلة « الكاتب » .. وقد بعث يوسف السباعي وزير الثقافة « للجمهورية » برد على يوميات كامل زهيري ..

ونحن ننشر رد الوزير كاملا .

ردا على ما نشر في جريدة الجمهورية عن موقف وزارة الثقافة من مجلة الكاتب سواء كان ذلك معلنا كما جاء في مقال الصديق الاستاذ كامل زهيري أو مستترا كما جاء في بعض التعليقات .

ارجو ان اوضح الحقيقة في موضوع مجلة الكاتب في النقاط التاليـة :

١ ـ اعلنت بوضوح لرئيس تحريرها الاستاذ احمد عباس صالح اني أريد ان تبقى المجلة كما هي برئيس تحريرها ومحرريها ، والا ينحى أي من اعضاء مجلس تحريرها المنشورة اسماؤهم في صدر المجلة حتى عدد اغسطس وهم : (الاساتذة كمال رفعت ، د. محمد انيس ود. شكري عياد ، وان تعبر عن اتجاه اليسار الوطني في حدود مواثيق الثورة ابتداء من الميثاق الوطني حتى ورقة اكتوبر .

٢ ـ اعلنت بوضوح انه ما دامت المجلة تصدرها وزارة الثقافة فانا لا أستطيع ان أعفي نفسي من تحمل مسؤوليتها ، ومسؤولية التزامها بالخط الوطني ، امام الشعب وامام مجلس الوزراء وامام رئيس الدولة .

٣ ـ اعلنت اني ـ ممارسة لمسؤوليتي ـ سادعم المجلة (دون المساس باحد من العاملين فيها) ببعض العناصر ، وجرت مناقشة بيني وبين رئيس تحريرها الاستاذ احمد عباس صالح (بحضور الاستاذ احمد زين مدير تحرير جريدة الاخبار وعديل الاستاذ احمد عباس صالح والذي كان يصحبه عند زيارته لي واراد ان يستأذن في الانصراف حتى يترك لنا حرية المناقشة ولكني أصررت على بقائه حتى يكون هناك ثالث يشهد على كل ما يدور بيني وبين الاستاذ احمد عباس صالح ، واحمد الله اني فعلت ذلك) وانتهت المناقشة الى الاتفاق على ما يلي :

يشكل مجلس التحرير من الاعضاء الموجودين على صدر المجلة وهم كما قلت الاستاذ كمال رفعت ، ود. محمد انيس ، ود. شكري عياد ، مضافا اليهم الاساتذة د. يوسف ادريس وصلاح عبد الصبور وسعد الدين وهبة وادوار الخراط الذي سيشرف على الملحق الادبي . وان يكون الاستاذ احمد عباس صالح رئيسا للتحرير ، وان يكون الاستاذ عبد العزيز صادق (نائب رئيس تحرير مجلة الادب الافريقي الاسيوي) مديرا للتحرير .

٤ ـ طلب الاستاذ احمد عباس صالح ان يعرض هذا الاتفاق على الاستاذ كمال رفعت باعتباره عضوا بمجلس التحرير فوافقته . وطلب لي الاستاذ كمال رفعت فورا في التليفون ، وعرضت عليه الاضافات المقترحة فوافق عليها .

٥ ـ بعد بضعة ايام ورغم ما اتفقنا عليه وصل الي خطاب من الاستاذ احمد عباس صالح يخبرني فيه ان مجلس التحرير اجتمع وقرر ابقاء الوضع على ما هو عليه ولكنه اضاف الى الوضع الكائن فعلا ثلاثة اسماء لم تكن موجودة من قبل ولا في صدر المجلة ولا ورد ذكرهم في المناقشة التي اتفقنا فيها على مجلس التحرير الذي اقره الاستاذ احمد عباس صالح وهم الاساتذة لطفي واكد ورجاء النقاش وصلاح عيسى .

٦ ـ بعد بضعة أيام اخرى تلقيت مكالمة تليفونية من الاستاذ كمال رفعت عن رغبته في لقائي مع الدكتور انيس . فرحبت بلقائهما وتم اللقاء في مكتبي بوجود الاستاذ احمد عباس صالح .

٧ ـ اعلنت في بداية اللقاء اني سعيد بوجود الاستاذ كمال رفعت حتى اضمن شاهدا آتق فيه على ما سيدور بيني وبين الاستاذ احمد عباس صالح والدكتور انيس ولان تجربتي معهما تجعلني احرص على وجود ثالث بيننا . وعندما تساءلا عن سبب ذلك قلت لهما اني بعد ان اتفقت مع الاستاذ احمد عباس صالح على مجلس التحرير ارسل الي خطابا يناقض ما اتفقنا عليه واني بعد الاتفاق مع الدكتور محمد

انيس على بقاء المجلة على ما هي عليه دون اي تغيير فقد صدر العدد الاخير بمجلس تحرير جديد .

٨ ــ في نهاية المناقشة اكدت اني ملتزم بكل ما اتفقنا عليه وان تستمر المجلة معبرة عن اتجاه اليسار الوطني الملتزم بمواثيق الثورة ابتداء من الميثاق الوطني حتى ورقة اكتوبر والذي ارى ــ من وجهة نظري ــ ان المجلة لم تلتزم به واطرح هذا على الشعب المصري كله محتكما اليه ، معطيا نموذج لما يقر الاستاذ احمد عباس صالح نشره وارى انا فيه انه انحراف عن الخط الوطني وانحراف عن مواثيق الثورة ابتداء من الميثاق حتى ورقة اكتوبر .

في مقال عن مستقبل الديمقراطية في مصر للاستاذ صلاح عيسى (عدد ١٦٣ سبتمبر صفحة ١١ فقرة ٣) بنوه صاحب المقال بان انتصار ٦ اكتوبر انما هو تحقيق لاسلوب الحل الامبريالي وبمساعدته . وكما جاء في المقال بالحرف الواحد :

ومنذ عدوان ١٩٦٧ والرؤى تتنوع تجاه حل قضية الاحتلال الاسرائيلي ، الى ان استقطبت في تيارين رئيسيين :

★ اعتمد أولهما أسلوب حل القضية في اطار الجبهة الامبريالية وبمساعدتها ، حتى أدى هذا الى بعض التنازلات التي يقول بانها غير جوهرية أو مبدئية . وكان هذا يعني لديه تفصيليا : استغلال التناقضات الثانوية في الجبهة الامبريالية والضغط على هذه الجبهة ككل بالجبهة المعادية لها في الصراع العالمي . وحل ما كان يعتبره « مشاجرات » في المنطقة العربية وقد اعتمدت وجهة النظر تلك قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كاستراتيجية لها ، وفي العمل العسكري اعتمدت اسلوب الحرب المفاجئة والمحدودة يقوم بها الجيش النظامي وحده . وحققت اجتهادها ذلك بانتصار اكتوبر ١٩٧٣ .

★ على الطرف المناقض راى اخرون ... الخ . وحتى هذه اللحظة فان هذين الاجتهادين لا يزالان مطروحين في الساحة المصرية والعربية « يعبر كل واحد منهما عن رؤى شرائح اجتماعية محددة وقد اخذ أولهما الذي اعتمد رسميا منذ ١٠ يونيو ١٩٦٧ ــ الفرصة لتجريب نفسه ، بينما ما زال الاتجاه الاخر يصر على سلامة منهجه واسلوبه وان كان بعيدا عن ساحة التأثير العلني » .

وأنا أرى ــ واحتكم الى الشعب المصري في هذا ــ ان هذه محاولة لتدمير كل ما بذله الشعب المصري والجيش المصري من اجل تحقيق انتصار استعدنا به كرامتنا ، وأكدنا به قدرتنا وعبرنا به الهزيمة واليأس ، وان الانتصار لم يكن ابدا تحقيقا لحل امبريالي وانما هو تحقيق لاصالة شعب وقدرة جيش وشجاعة قائد ، وان عبور اكتوبر الذي ضحينا فيه بدماء شهدائنا الابرار .. ورفعنا رأسنا به امام العالم كله .. أيمكن ان يحاول احد اعتباره تحقيقا لحل امبريالي ؟

ان محاولة تشويه انتصار ٦ اكتوبر هو تشويه لوجه مصر ولوجه العرب وانكار لكل ما قام به ابناؤنا الامجاد ونتيجة لايمانهم بوطنهم وبربهم وبقيمهم الخالدة .

وأنا لا أعتبر الخلاف بيني وبين صاحب المقال ورئيس التحرير خلافا شخصيا ، ولكنه خلاف وطني ، لان انتصار ٦ اكتوبر الذي غير كل الموازين في المنطقة بل وفي العالم لا يحتمل ان يقول عنه مصري ولا عربي انه جاء تحقيقا للاسلوب الامبريالي .

واذا كنت كمواطن اعتبر هذا الاتجاه انحرافا عن الخط الوطني فانني أعتبر كوزير تصدر المجلة عن وزارته مسؤولا عن نشر هذا الانحراف وان من حقي أن أضع الضمانات لعدم تكراره . وان رئيس التحرير بنشره لهذا الانحراف لا يشكل ضمانا لعدم تكراره . وان من حقي ان اضع اي عنصر يمكن ان ينبه الى الانحراف قبل وقوعه حتى يمكن مناقشة صاحبه فيه . ولعلي لا اجاوز بهذا حقا لرئيس اي مؤسسة صحفية عندما يمارس مسؤوليته في تعيين مدير للتحرير او رئيس للتحرير لاحدى المجلات التي تصدرها المؤسسة التي يعمل رئيسا لها. ولعل رئيس مجلس ادارة مؤسسة التحرير يعرف ان هذا من حقه وانه يمارسه فعلا .

ولعلني أكتفي بعرض هذه الحقائق المجردة التي ترسم للموقف صورة امينة دقيقة ، دون التعليق على استقالة الاستاذ احمد عباس صالح وبعض زملائه التي وردت في ٤ صفحات تتهمني ــ لمجرد محاولتي أن أمارس حقا مشروعا لضمان عدم الانحراف الواضح في المجلة ــ « بالقضاء على الفكر الاشتراكي » ودون التعليق على كل محاولات التهجم البذيئة التي تتسم بالتواء ساذج وجبن بدائي ، يتسير بالموتى او يقحم من كرمتهم الدولة والشعب ووصلوا الى مرحلة من العمر لم تعد تحتمل التهجم البذيء . وبدلا من جرعات السموم القاتلة ، باتوا في حاجة الى كلمات تكريم حنونة .

أكرر في النهاية ، موقفي الذي يعرفه الاستاذ احمد عباس صالح وزملاؤه حق المعرفة : انني لن أغلق الكاتب وانني لا أفرض احدا ولا انحي احدا ، بل أنهض بمسؤولية وأمارس حقا طبيعيا ومألوفا ، ولم اصل الى قرار بشان « الكاتب » الا بعد المناقشة والحوار ، والاتفاق المشترك بيني وبين رئيس تحريرها وزملائه ، انني لن أصفي منبرا للاتجاه اليساري الوطني الملتزم بمواثيق الثورة ولا أعادي أي اتجاه وطني ديمقراطي بل أحرص كل الحرص على حماية حرية الحوار واشاعة المناخ الديمقراطي السليم .

واني آمل ان يكون هادينا الوحيد في عملنا هو حبنا لمصر ، والتزامنا بشرف المسؤولية في الدفاع عن ثقافتنا التي نريدها جميعا، مزدهرة وفياضة بالحيوية ، وعلى ان نحرص ــ مع التنوع الطبيعي وحرية الحوار ــ على الوحدة الاساسية في مواجهة العدو الصهيوني واعباء بناء الوطن .

يوسف السباعي

الجمهورية ــ ٢٢ سبتمبر ٧٤

وثيقة رقم (١٥)

أعيدوهم .. الى المكاتب

استقالة اعضاء أسرة تحرير مجلة « الكاتب » الشهرية حدث يجب أن نقف عنده طويلا ، فهو تعبير عن احتجاج عملي ، على تدخل بعض المسؤولين بوزارة الثقافة في حرية مجلة اشتهرت منذ عددها الاول بانها مجلة تقدمية لها نهج متحرر في التفكير .

ومحاولة اخضاع اسرة التحرير لظروف ضاغطة في هذه الفترة التي ننادي فيها بحرية الفكر والصحافة ، هو امر يتنافى مع طبيعة المرحلة ، التي تسمح بنشر الاراء المتعارضة .

وواجب وزارة الثقافة ان تتابع هذا التطور برحابة صدر دون محاولة لفرض اتجاه واحد .

ولا شك ان وزارة الثقافة لن تجد كاتبا تقدميا مسؤولا يرتضي لنفسه ان يكون بديلا لمن اجبرتهم الظروف على الرحيل ، فليست القضية قضية اشخاص يتغيرون .. وانما هي قضية مبدأ المحافظة على حرية الفكر والصحافة والالتزام بذلك .

وغياب هيئة التحرير المسؤولة عن مجلة الكاتب يعني انها سوف تغير اتجاهها الفكري وتنضم الى سلسلة مجلات اخرى تصدرها وزارة الثقافة وكأنها تعبر عن مدرسة فكرية واحدة .. وبهذا تضيق حلقة المهتمين بمجلات الوزارة ، وتضمر الرسالة الثقافية التي يجب ان نحرص عليها .

ولست أشك في ان ذلك أمر لا يرضي المثقفين ولا القراء ، ولا المسؤولين عن الثقافة .

وأقول هذا الحديث وفي القلب مرارة شديدة ، لانني شاركت في اصدار هذه المجلة مع المرحوم الدكتور محمد مندور والدكتور لويس عوض ، ورأست تحريرها منذ عددها الاول الذي صدر في ابريل

١٩٦١ عن دار التحرير للطبع والنشر ، بعد ان كانت في بدايـــة الخمسينات هي مجلة انصار السلام التي يرأس تحريرهـا سعـد كامـل .

والى المسؤولين في وزارة الثقافة اقول :

ارفعوا الظروف الضاغطـة عن أسرة التحرير ليعودوا الـى مواقعهم .. ارجعوهم الى الكاتب لتواصل رسالتها في خدمة الثقافة التي تحمل الوزارة اسمها .

احمد حمروش

روز اليوسف ــ ٢٣ سبتمبر ٧٤

وثيقة رقم (١٦)

ليس دفاعا .. عن وزير الثقافة

ان يكـون لكل واحد فكره الخاص .. فهـذه حريـة وحق . وان يتكلم كل واحد ويكتب ليعبر عن هذا الفكر فهذه ايضا حريـة وحـق سواء كان هذا الفكـر ماركسيا او ماديا او راديكاليـا . او حتى فكرا قادما من المريخ .. ولكن ان يطالب صاحب هذا الفكر بأن تستخـدم أموال الشعب في خدمة هذا الفكر فهذا ليس حقا ولا حرية .. لان الشعب ليس في حاجة الى فكر لا ينتمي أولا واخيرا الى مصر .. واذا لم يستطع الماركسيون مثلا ان يوجدوا منبرا لهم بجهدهم الـذاتي فلا يطالبون الشعب ان يخلق لهم هذا المنبر ليقولوا من فوقه كلامـا لا يفهمه الا هم ولا يعبروا فيه الا عن انفسهم .

اقول هذا الكلام بمناسبة القضية التي اثيرت اخيرا حول مجلة « الكاتب » التي تصدرها وزارة الثقافة .. بعد ان قام يوسف السباعي وزير الثقافة باجراء بعض التعديلات في هيكل المجلة ليضع حدا للاتجاه الذي سيطر عليها طوال السنين الماضية . ولكي يعطي الصبغة المصرية والفكر المصري لمجلة مصرية تصدرها وزارة مصرية بميزانيتها من امـوال شعب مصر .

اصوات كثيرة ارتفعت بعد ذلك تهاجم يوسف السباعي وكانـه عدو الحرية ومكمم الافواه .. او كانه فعل ذلك لمصلحة شخصية له .. والذي يثير الدهشة : ماذا يزعج الكتاب الذين استقالوا من الكاتب من الذين اتى بهم وزير الثقافة الى المجلة .. اذا كانوا يؤمنون بحرية الفكر والكلمة ؟.. لماذا لا يتعايشون جميعا ويكتبون جميعا في مجلة يقرأها أدباء ومثقفو مصر ؟ لماذا ؟.. الا يستطيع الفكر الماركسي ان يعبر عن نفسه الا اذا كانت القيادة كلها ماركسية ؟

كلمة حق لا بد ان تقال .. وليست دفاعا عن يوسف السبـاعي : ما نريده هو فكر مصر وتراث مصر .. ومصلحة مصر .. وليس فكـر ماركس او لينين . واموال شعب مصر .. والادوات الثقافية التـي نصرف عليها من عرق ابناء هذا الشعب لا بد ان تكون في خدمة مـن يعرقون وتعبر عن فكرهم وليس عن اي فكر مستورد .

احمد حرك

جريدة العمال الاسبوعية ــ ٢٣ سبتمبر ٧٤

وثيقة رقم (١٧)

عندما يخطىء الوزير .. يتهم

لا ينبغي لوزير الثقافة الذي استامنته القيادة السياسية علـى ادارة سياسة الثقافة في مصر ان يكون غير صريح فيما يرويه عمـا جرى بينه وبين هيئة تحرير مجلة (الكاتب) ونشرته (الجمهورية) أول أمس ان ثمة صداما بين الوزير وهيئة تحرير المجلة قد وقع حول خط المجلة الفكري ، ادى الى استعفاء هيئة التحرير باسرها وهـذا جائز ، اما ما لا يجوز فهو ان يتخذ الوزير من مركزه وهو على قمة وزارة الثقافة معول هدم لكل ما هو مثمر في حياتنا الثقافية شاهـرا اسلحته المتعددة ضد مجلة الكاتب وما تمثله مـن انحياز الى الخط اليساري الوطني . ولو كان الامر قاصرا على تغيير رئيس تحرير هذه المجلة ومجلس تحريرها لهان ، ولكن القضية تخطت هذا البعد الـى قضية الثقافة عامة في مصر ، وسمعة مصر .

ووزير الثقافة ــ فيما هو معروف ــ يعادي الفكر اليساري ، وهذا حقه اذا كنا نتحدث عن جبهة التحالف بين المثقفين ، ولكن ليس مـن حقه وهو وزير للثقافة ان يعادي كافة المنابر التي لا تتفق مع اتجاهاته حتى وان كانت تابعة له من الناحية الادارية . وليس من حقه كـذلك ان يتصور انه يمثل الخط الوطني للقيادة السياسية فيلقي التهم في وجه خصومه من المثقفين حتى بلغ به الامر الى حد اتهام هيئة التحرير بالخيانة الوطنية واستعداء الشعب والجيش عليها .

وهناك بعض الحقائق التي لا يستطيع الوزير او غيره ان يجادل فيهـا :

اولا : لم تعرف مصر وزيرا للثقافة اخذ على عاتقه تغيير هيئـة تحرير مجلة تابعة لوزارته دون الرجوع الى رئيس التحرير ، وهـذا حدث ثقافي يجب ان يؤرخ له وبه للدلالة على بداية فترة من التحكم الفكري مناقضة لاساليب الكتابة الثقافية .

ثانيا : هل ينكر الوزير ان ثمـة حملة على مجلة الكاتب بالذات من داخل مجلس ادارة الهيئة العامة للكتاب يتزعمها الاستاذ صالح جودت اخذت تنادي بضرورة اغلاق الكاتب منذ ابريل الماضي ردا على مقال للاستاذ احمد عباس صالح قال فيه « ان تدهورا ثقافيـا حقيقيا يزحف على عقل هذه الامة » . والحملة لا زالت مستمرة في كل اجتماع لمجلس ادارة الهيئـة حتـى الان .

ثالثا : هل ينكـر الوزير انه قـد تبع تلـك الحملة التي بدات منذ ابريل الماضي رفع اسم الهيئة العامة للكتاب عن غلاف المجلـة .

رابعا : هل ينكـر الوزير أنـه حيـن قرر رئيس الجمهورية رفع الرقابة عن المجلات والصحف ظلت الكاتب الوحيدة من منابر الفكـر التي تفرض عليهـا الرقابة الى ان استطعنـا ان نقنع الاستاذ طلعت خالد وكيل وزارة الاعلام بمساواتنا ببقيـة المجلات والصحف ليتـاح لنا ان نكتب ردا على الذيـن دابوا على المطالبـة بتصفيـة عبدالناصر والناصريـة وكان ذلك في اواخـر يونيو الماضي .

خامسا : وهل من تقاليد الثقافة ان يعطى الوزير امرا لمديـر مطبعـة الهيئة العامة للكتاب بعدم جمع اي مقال للكاتب الا باذن منـه شخصيا دون ان يناقش هذا الامر مـع رئيس تحرير المجلة .

لقد اصر الوزير في كل محاولات التسويـة سواء بالمقابلة المباشرة او الوساطـة على تعيين الاستاذ عبدالعزيز صادق مديرا لتحرير المجلة وهيئـة الكاتب لا تعرف الاستاذ صادق .

وما نعلمه عنه عن قدراته الثقافيـة لا يشجعهـا على ان يتولـى هذا المنصب الهـام والحيوي .

واذا كان الامر فيمـا يبدو وينتهي باغلاق المجلات اليساريـة واحدة وراء الاخرى ، واذا كان الموقف على جبهة المسرح والموقف فـي مجال النشر يدعوان للرثاء ــ اذا كانت كافة هذه المنابر الفكريـة قد تدهورت الى هذا الحد ، فـان هيئة تحرير الكاتب لها الحق كل الحق في ان تعترض على عبدالعزيز صادق مديرا للتحرير بل علـى سياسـة وزارة الثقافة كلهـا . وابسط حقوق هيئة تحرير الكاتب ازاء هـذا الموقف ان تطلب اعفاءها من تحمـل المسئولية التاريخيـة التي سيكـون حسابها على يـد الاجيال القادمة .

ان هيئة تحرير الكاتب استشعارا منهـا بهذه المسئولية قـد قدمت لوزير الثقافة استعفاءها التالـي :

(يلي نص الاستقالة :راجع الوثيقة رقم ١٢)

د . محمد أنيس

الجمهورية ٢٤ سبتمبر ٧٤

وثيقة رقم (١٨)
نداء الى وزير الثقافة

في كلمات محمومة راح وزير الثقافة يستعدي عليّ كل السلطات في الدولة : قوات الجيش والامن والشعب المصري والشعوب العربية ، لكنه نسي ــ اكرمه الله ــ ان يطالب بشنقي !

واظن ان هذه اول مرة في التاريخ يجسر فيها وزير مسئول على ان يتهم كاتبا بالخيانة الوطنية بهذا الاستسهال والتبسط دون ان يراجع قلمه ودون ان يحرص على مسئولية منصب يتولاه ينبغي ان يكون مصانا فوق نزعات الدفاع عن النفس باتهام الاخرين !

ولان احدا لم يعين السيد الوزير مسئولا عن اصدار براءات الوطنية ، فقد كان ممكنا ان اتجاهل كل هذا ، وكان ممكنا ان اكتفي بما سافعله فعلا بان يقف السيد الوزير امام القضاء ليبرهن له على خيانتي ، ليفصل بيننا القضاء وليعلم سيادته ان منصب الوزارة لا يعطيه حصانة ولا يرخص له ان يوزع تهم الخيانة على خصومه في الراي ، وشرف الوطنية على اصدقائه !

لكن القضية ستظل ابعد مدى من هذا ، انها في الحقيقة قضية الديمقراطية في هذا البلد ، قضية النوازع الفاشستية التي تملأ قلوب وعقول كثيرين ، وتدفعهم دفعا الى الضيق بالنقد ، قضية ممارسة السلطة بشكل يتنافى مع قواعد القانون والدستور ، والتعسف في استخدامها ثم الدفاع عن النفس وخنق الحقائق ، ونقسر الكلمات قسرا على ان تقول ما ليس فيها ، وتبرير الخطا بمزيد من الخطا ، واتهام الضحايا بالخيانة ، وبوقوف الجاني موقف القاضي !

ببساطة تجاهل الوزير كل الحقائق ونسى انه يشن حربا على مجلة الكاتب منذ شهور سابقة على نشر مقالي المتهم بالخيانة والعياذ بالله ، تجاهل انه ضاق باي نقد لسياسة وزارته على صفحات المجلة ، واصر على ان يشرف على القسم الادبي منها كتاب يظن انهم اكثر اخلاصا لشخصه واكثر رضى بما يرضى عنه من اعمال ادبية ، بعضهم المرؤوسين له في وزارة الثقافة او في منظمة التضامن الاسيوي الافريقي . نسي الوزير عداءه للفكر اليساري ، وتجاهل انه رئيس تحرير لمجلة اخرى هي الثقافة تناصب « الكاتب » وكتابها ومحرريها عداء لايلين وتشن على كل اليسار المصري حربا صليبية تتهمهم بانهم قرامطة وباطنيون جدد وتهددهم بالويل والثبور وعظائم الامور ، لو تذكر الوزير هذا لعلم على ان اصراره على انه مسئول عما ينشر في مجلات وزارة الثقافة ــ فضلا عن مسئوليته المباشرة كرئيس تحريري للمجلة ــ تعني انه خصم لليسار الوطني بكل فصائله في السياسة وفي الثقافة ، وانه لا يمارس سلطاته بشكل محايد بين تيارات الفكر والادب والفن ، ولكنه يحاول على عكس ما استشهد به من وثائق ثورة يوليو ان يصفي خصومه في الماضي والحاضر والمستقبل !

وزير الثقافة يتجاهل تصريحاته المتكررة بان اليسار افسد الثقافة في مصر طوال عشرين عاما ، يتجاهل انه يصر على ان يدير الثقافة في مصر بشكل منحاز ، وتحكم النوازع الشخصية فيما يتخذه من قرارات وفيما يختار من معاونين .

مشكلة الوزير مع مجلة الكاتب بدات قبل المقال المتهم بالخيانة ، فليبحث لنفسه عن حجة اخرى يبرر بها تصرفاته التعسفية ضد مجلة الكاتب ، ليقل للراي العام انه ضحى بحفنة من كتاب مصر اللامعين من اجل صديق له هو الاستاذ عبدالعزيز صادق ، وهو ضابط فنان ، وصديق قديم للوزير كان يخرج له رواياته قبل الثورة ، وارتبط به في كل عمل تولاه بعدها ، عمل معه سكرتيرا ثم مديرا لتحرير مجلة الرسالة الجديدة ، ثم رئيسا لتحرير مجلة التحرير ، واغلقت المجلتان ، فانتقل الاستاذ صادق للعمل معه في واحد او اكثر من مناصبه المتعددة الى ان استقر نائبا له في بعضها ،

وقد اعترضت اسرة الكاتب على تعيين الاستاذ عبدالعزيز صادق لاسباب قامت لديها لا تمسه في شيء ، وقبلت ان تضم لمجلس تحريرها ثلاثة من الادباء الموظفين يعملون مع وزير الثقافة هم سعد الدين وهبه وصلاح عبدالصبور وادوار الخراط تقديرا منها لقيمتهم الفكرية والثقافية ، رغم ان مبدا وجود موظفين في وزارة الثقافة ــ مع اختلاف المجلة مع الوزارة في سياستها العامة ــ يشكل قيدا على حركتها ، وقد ينتهي بها الى ان تصبح منبرا مخصصا للدعاية لسياسات الوزير ولاعماله الادبية على النحو الواضح الذي تتبعه مجلات الجديد والثقافة والثقافة الاسبوعية والمسرح والسينما .

ورغم قبول كل شروط الوزير ومنها اخراجي من المجلة ــ فقد اصر على ان يعين صديقه الاستاذ عبدالعزيز صادق مديرا للتحرير باختصاصات توازي اختصاصات رئيس التحرير الامر الذي يتنافى مع ما زعمه مسئولون في وزارة الثقافة من ان المجلة تخسر ، لذلك فكروا في غلقها ، ان لا مبرر لتعيين مدير تحرير بمرتب كبير لمجلة تشكو الوزارة من انها لا تربح !!

لقد اكتشف الوزير فجاة بعد شهور من اضطهاد « الكاتب » والهجوم عليها ونية غلقها ، سببا سياسيا ظن مستشاروه انه يصلح لافتعال صدام وهمي مع القيادة السياسية ومع الجيش والشعب ، وهو اسلوب يتبعه كثيرون هذه الايام بقرارات ومنشورات ومؤامرات . ولو راجع الوزير ما قدمه اليه مستشاريه من تفسيرات لعلم ان الذين اقتنصوا العبارة التي استخدمها في مقاله لم يسبق لهم ان تعاملوا مع مصطلحات الفكر السياسي او مارسوها ، اذ لو كانوا كذلك لما فسروها هذا التفسير الغريب بل المضحك ، بل لما نقلوها للوزير مشوهة عن عمد ولاسباب مبيتة . وما قلته ان هناك اجتهادين لحل القضية الوطنية يعملان في الساحة المصرية والعربية منذ حرب ١٩٦٧ والى الان : اجتهاد يحاول ان يحل هذه القضية في اطار الجبهة الامبريالية وبمساعدتها من خلال استغلال التناقضات داخل هذه الجبهة والضغط عليها بالجبهة المناقضة لها وحل الخلافات والمشاجرات في المنطقة العربية ثم شن حرب مفاجئة محدودة بهدف تطبيق قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، وبقدرة قادر نقل مستشارو الوزير عبارة « الحل في اطار الجبهة الامبريالية » ليجعلوه « الحل الامبريالي » ، فاندفع سيادته يتهمني باهانة الشهداء والتشكيك في الحرب ويؤكد انه غضب ــ لا لنقد وزارة الثقافة ــ ولكن لاهانة الوطن ، ولا ادري كيف ينسجم تفسير الوزير هذا مع قولي ان ما حدث في اكتوبر كان « انتصارا » ولا من توصيفي للاستراتيجية السياسية التي على اساسها اتخذ قرار العبور .

لو قرا مستشارو الوزير خطب الرئيس السادات وتصريحاته لما فهموا ما فهموه من العبارة بكل هذا الالتواء المتعمد والتشويه المبيت . ففي كل ما يقوله الرئيس تاكيد بأن حرب اكتوبر قد رسمت لها استراتيجية محددة هدفها الضغط على الجبهة الامريكية والتاثير في الموقف الامريكي بكل السبل بهدف اجبار امريكا على تغيير موقفها المنحاز لاسرائيل ، لماذا لما تغير الموقف الامريكي بمختلف اساليب الضغط ومنها الحرب اصبح ممكنا ان تساعد امريكا على اجبار اسرائيل على الانسحاب وتطبيق قرار مجلس الامن !

والخلاف في الفهم بيني وبين الوزير يؤكد فيما يبدو ان سيادته يظن ان الجبهة الامبريالية شيء .. وامريكا شيء اخر ، فهل يعتبر سيادته ان ما اقوله يختلف مع ما يقوله كل من كتبوا عن الحرب واستراتيجيتها السياسية ؟.. هل يريد ان يقنعني بان الضغط على امريكا ليس ضغطا على الجبهة الامبريالية ؟

هل عبارة الحل « في اطار الجبهة الامبريالية » هي ونفسها عبارة « الحل الامبريالي » ، وهل يمكن ان اصف اكتوبر بانه « انتصار » ويكون رايي انه حل امبريالي !!

ولقد كان كل كلامي في مجال توصيف الاجتهادات السياسة الموجودة في الساحة المصرية والعربية ، في مجال التنبيه الى ان لا تناقض هناك في المطالبة باوسع الحريات الديمقراطية ، وبين قضية تحرير الوطن والاجتهاد الاخر الذي اشرت اليه هو ان حل القضية الوطنية يكون بحرب تحرير شعبية طويلة ،وقلت ان الاجتهاد الاول اخذ الفرص لتجريب نفسه ، لكن الاتجاه الثاني كاحتمال ما زال مطروحا ، وقد كان رأيي وما يزال ان محاولات الضغط على الجبهة الامبريالية لن تحقق لنا كل اهدافنا ،وذاك احتمال لا تنفيه تصريحات الرئيس السادات ، احتمال الحرب في كل الاوقات ، والاستراتيجية السياسية شيء وتضحيات الرجال شيء اخر ، فلا تستخدم دماء الشهداء يا سيادة الوزير لتبرر بها اجراءاتك ،ان تضحيات الجيش والشعب كانت من اجل مزيد من الحرية للوطن والديمقراطية لابنائه .. فهل تصبح « قميص عثمان » تبرر به كل الاخطاء وكل نوازع النفس حتى لو امرت بالسوء ؟!

لو كان الوزير موضوعيا فيما يقول لوجد في عدد الكاتب واعداد اخرى سابقا مقالات عديدة ـ بقلمي وقلم غيري ـ تمجد حرب اكتوبر وتدعو للصمود وللقتال ، ولو صدقه مستشاروه النصيحة لقالوا له ان زمن الارهاب السياسي قد مضى ، وان التخويف بالسلطة لا يخيف الا الخائفين او الذين يستغلون سلطتهم ويسيئون استخدامها .

لو كان الوزير ديمقراطيا حقا لابلغ النيابة ضد ما اعتبره بكل تبسط خيانة وطنية ،اما وهو لم يفعل وآثر ان يتهم بلا سند، واذن فلنحتكم الى القانون ، ولنقف معا امام القضاء ليقول سيادته ما قاله في مقاله المنشور .. وليسمع حكم القضاء علىمن يتهم الناس في وطنيتهم محتميا بمنصبه مبررا اخطاءه .

ليس مثلي من يهين دماء الشهداء او تضحيات الرجال ، وكل ما اكتب عن الذين ماتوا في ثرى هذه الارض ودافعوا عن الاستقلال والديمقراطية وصدوا عن هذا الوطن العظيم الطغاة والغزاة .

اما وسوف نقف امام القضاء ليعرف الشعب والجيش وكل شرفاء العالم من فينا المتجني ، فلا اقل لك قبل ان امضي كلمة واحدة : دع مائة زهرة تتفتح ولو ادمتك اشواكها .. ذلك ابقى من كل منصب مهما غلا واخلد من اي صديق مهما غلا.. صدقني .

صلاح عيسى

الجمهورية ـ ٢٤ سبتمبر ٧٤

وثيقة رقم (١٩) (١)

فهرس الكاتب عدد يوليو ١٩٧٤

---

(١) هذه الوثائق (١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١) فهارس الاعداد الثلاثة الاخيرة من مجلة الكاتب عندما رفعت عنها يد الرقابة تطبيقا لقرار السيد رئيس الجمهورية ، وذلك قبل ان يتدخل السيد وزير الثقافة لتغيير مجلس تحرير المجلة .

وثيقة رقم (٢٠)

فهرس الكاتب عدد اغسطس ١٩٧٤

وثيقة رقم (٢١)

فهرس الكاتب عدد سبتمبر ١٩٧٤

الشهـــادات

(آراء بعض الكتاب المصريين في مشكلـة مجلة الكاتب)

● نجيب محفوظ

١ ـ مجلة الكاتب مجلة ممتازة تمثل تيارا فكريا جديرا بالتعبير عـن ذاتـه .

اولا ـ لانه تيار موجود ، وكل تيار موجود لـه الحق ـ فـي نظري ـ في التعبير عن ذاته .

ثانيا ـ وفضلا عن ذلك فهـو لا يتناقض مع تيار الدولة التي تسير في طريق الاشتراكيـة .

٢ ـ قيل لي ان الاستاذ وزير الثقافة يصر على مصادرة هـذا التيار فاستنكرت ذلك ولم اكد اصدقه ، ثم اطلعت على مقال الاستاذ الوزير في الجمهورية فاقتنعت بـان المشكلـة القائمة بيـن سيادته والمجلة مشكلة رقابية لما يعتقـد انه خروج على الخط الوطني .

٣ ـ السؤال كيف ينبغي ان يتصرف الوزير فيمـا يعتقـد انـه خروج على الخط الوطني ؟

هل يمنعه بوساطة موظف في المجلة من اهل ثقته ؟

انه لحل معقول لو كـان الوزير وزيرا للاعلام مثلا ، ولكن سيادته وزير للثقافة ، والثقافـة :

اولا : نطاقها ضيق للاسف الشديد ، وجميع روادها على درجة من الوعي تجعلهم يفكرون فيما يقرأون .

ثانيا : ان الوزير الاديب لا شك يؤمن بانـه لا حياة للفكـر والثقافـة الا في مناخ من الحرية الكاملـة .

لذلك افضل ان تطلق الحرية للكاتبين كمـا تطلق الحرية للمناقشة والحوار ، فيجيء التصحيح عن طريق القلم والكلمة لا عـن طريـق الرقيب .

٤ ـ اقترح على الوزير الاديب ان يدعو مجلس المجلة القديم الى لقاء جديد ، والا يعتبر التراجع عن قراره هزيمة ، فطالما قابـل هجوم اعدائه بالتسامح الكريم ، فضلا عـن ان التراجـع الـى ما يعز الفكـر والثقافـة يعتبر تقدمـا ونصرا وكرامة .

● يوسف ادريس

ان اغلاق الكاتب ، او فرض مجلس تحرير ورئيس تحرير جديدين على المجلة فرضا ، موقف جد خطير ، خاصة اذا كـان هذا الموقف نابعا من وزيـر ثقافـة كاتب ومسئول . ان الكاتب مجلة اليسار الوطنـي من حقهـا ان توجـد فهنـاك يسار وطني موجود ، ومن حقهـا ان تعبر عن هذا اليسار الذي يمثل في رايي خلاصة العناصر الثورية في مصر . من حقهـا ان تعبر عـن هذا دون ان يكـون الاستاذ يوسف السباعي وزيـر الثقافـة مسئولا عمـا تكتبه ، فهي مجلة وان كانت تصدر عـن وزارة الثقافة الا انهـا لا تعبر عـن راي وزارة الثقافـة او وزيرها ، وانمـا هي تعبر عـن رأي كتابهـا وعـن هـذا الجناح المتقدم من الحركة الوطنية المصريـة والعربيـة .

ومنطق يوسف السباعي هـو انه ، مـا دام وزير ثقافة فهـو مسئول عمـا تصدره وزارة الثقافـة من مطبوعات ومنها الكاتب . وهذا منطق قـد يبدو معقولا لولا ان الصحافة ، باعتبارهـا سلطة شعبيـة لا يمكـن ان يكـون المسئول عنهـا وزيرا تنفيذيا والا لتحولت الى نشرة وزاريـة تصدر دعايـة لوزارة الثقافـة .

ان تحالف قوى الشعب العامل ينص ويعترف صراحة بوجود تيار يساري وطني لا يقل اخلاصا او تفانيا عـن اي تيار يميني ، ان لم يزد بكثير ، ولهذا ومـا دامت ثمـة مجلات ثقافيـة اخرى تصدر عن وزارة الثقافـة ومليئـة بالافكار والتصورات والفلسفات الرجعية والسلفية واليمنية ، ما دام اليمين بكل قطاعاته يعبر عـن نفسـه باقصى مـا يستطيع ، فكيف يحدث ان يمنع اليسار من التعبير عـن نفسه بحجة مسئولية وزيـر الثقافـة عـن هذا التعبير ؟ ان من حق اليسار الوطني المصري ان يكون لـه منبر يعبر به عـن رأيه ويلقي بأضوائه في الساحـة الحافلـة بظلامـات السلفيـة واليمينيـة . هذا حق لا يملك يوسف السباعي او غيره مصادرته . ولهذا فالكاتب ـ الاتجاه باقيـة وان كممت وزارة الثقافة الكاتب ـ المجلة . ان من المؤسف ان يصدر هذا التصرف عن وزير للثقافـة هـو في نفس الوقت كاتبا يعرف قيمة واهميـة وحق الكلمـة . ان قطع اللسان ليس عقوبة .. انه جريمة تقشعـر من حولهـا الابدان .. وان مصادرة الكاتب ـ الاتجاه جريمة في حق تحالف قوى الشعب العامل ولا اعتقـد انه سياسة الدولـة مطلقـا تلـك انني عبرت عـن نفسهـا في ورقـة اكتوبر وغيرها ، انما هـو اجراء من تلقاء ذات الوزير ، اجراء يستهدف ليس حتى الاتجاه وانمـا القضاء على نقطـة مضيئة ذكيـة ثوريـة مخلصة كي يسـود المجلة ما يسود كافة اجهـزة وزارة الثقافـة من تسطيح وغثاثـة وسلفيـة .

يا كتاب العرب ، اتحدوا . فاليـوم قد تغلق مجلة عندنا وغـدا تغلق مجلة عندكم وان لم نهب جميعـا وفي كل مرة للدفاع عن حقنا ، بكل طوائفنا وشرائحنا واتجاهاتنا ، ان لـم نعتبر ان القضيـة قضية كل كاتب وصحفي من الوطـن العربي فـان الكارثة سوف تشملنـا وتشلنـا ان آجـلا او عاجـلا .

ليعتبر كل كاتب عربي ان القضيـة قضيته هـو الشخصيـة قبل اي اعتبار اخر ، فاي عدوان على حق التعبير في اي جزء من اجزاء هذه الامة العربيـة انمـا هـو عدوان على هذه الامة نفسهـا وعلى ابسط حقوقهـا .

لنتكاتف معـا ونوقف هذه المهزلـة !

● ثروت اباظـة :

اعتقـد ان هذه الضجـة حول تعديل مجلس تحرير مجلة الكاتب ضجة لا تنفيأ الحق بقدر ما تهدف الى تجريح وزير الثقافـة . وهو رجل امين صادق مع نفسه ومع هيئة التحرير التي تثير حوله هـذه الزوابع . فالخلاف قائم بشأن تعيين الاستاذ عبدالعزيز صادق في هيئة التحرير وكان يمكـن القول انه لا يمثل الشخصيـة الصالحـة لمجلة ثقافيـة لولا ان رئيس تحرير المجلة قطع على نفسه هذا الطريق حيـن عيـن في نفس هيئة التحرير الاستاذ لطفي واكد وكلاهمـا بثقافـة واحدة لا يختلف احدهمـا عن الاخر الا فيمـا يعتنق من مذاهب .

ومجلة الكاتب تصدر عـن وزارة الثقافة ، فليس عجيبا ان يكوّن الوزيـر المسؤول هيئة التحرير التي يراهـا صالحة . واول ما يجب ان يتوفـر لهذه الهيئـة ان تكون مصريـة تصدر في مشاعرهـا وارائهـا عـن الفكر الوطني . وهنـاك جانب من اليسار ينتمي الـى الشيوعيـة العالميـة التي ترفض الوطنيـة وتطلق عليهـا الشيفونية ، وترى في الوطنية جريمة لا تغتفر . ونحـن قوم ما زلنـا مرتبطين ببلادنا في مشاعرنـا واهدافنـا وافكارنا وامالنـا ، واقصى ما تصبو اليه احلامنـا ان يرمينـا اليسار بالشيفونية ، بل قـد ترقـى احلامنـا ونتمنى ان تصبح المصرية علما على حب الوطـن مثلها مثل الشيفونية .

وبعد فاني احب ان اهمس في اذن المتباكيـن على قرار بتعديـل هيئـة تحرير في مجلة ، اليسوا هم من ظلوا يلحون على وزير ثقافة ان يقفل اربع مجلات ادبية بقرار واحد وهي الثقافـة والرسالـة والشعر والقصـة . وكل ذنب هذه المجلات جميعـا ان واحدة منها تجرأت فهاجمت احد كتاب اليسار ؟

وهمسة اخرى : ترى انسي اليسار انه صادر كتّابا بذواتهم لانهم لا ينتمون اليهم وبعض هؤلاء الكتاب مـا زال مصادر حتى اليوم ؟ ولكن لا يهم ، فما دام الكاتب ليس شيوعيا فهـو ليس بكـاتب ولتنغلق دونه المسالك وليتحمل وحده نتيجـة الجريمة الكبرى بانه يرفـع شعـار الله والوطن والحرية .

وهمسة اخيرة . اليس الاجمل باليسار ان يترك البكاء على الحرية لمن يدين حقا بالحرية ؟

● رضوى عاشور :

ان الصراع القائم حاليا بين هيئة تحرير الكاتب والمثقفين الشرفاء في مصر من ناحية ووزير الثقافة ومواليه من ناحية اخرى ليس سوى القشة التي قصمت ظهر البعير . فالقضية هي اصلا وبدءا قضية الديمقراطية والهجمة الرجعية الشرسة التي تواجه قوى اليسار الوطني بتعدد فرقه .

واشعر ــ واعتقد ان الغالبية العظمى من المثقفين المصريين الشرفاء يشاركونني في هذا الموقف ــ بان وجود يوسف السباعي كوزير للثقافة المصرية امر مهين للغاية . ليس فقط لان هذا الشخص غير قادر بحكم انتمائه الواضح والشرس للرجعية ان يكون محايدا باي شكل من الاشكال التي يتطلبها هذا المنصب ، ولكن ايضا بحكم انتمائه لفئة كتاب المواسم والاعياد والمناسبات التي تتحول رواياتهم الى مسلسلات اذاعية وتلفزيونية وافلام سينمائية تساهم في عملية التخريب المنظم والمستمر لعقل الامة ووجدانها ، فحين يصبح يوسف السباعي وزيرا للثقافة فانه بطبيعة الحال ينحاز « لثقافته » الهابطة ويغلق المنابر الجادة والبناءة ويشجع تجمعات ومنابر ومجلات يفوح العفن منها الى حد ان يصبح مهددا للصحة العامة .

والامر كذلك : يهاجر كتاب مصر طيورا هاربة مذعورة الى بيروت وبغداد وغيرها من العواصم . اما من يصمد ليقول كلمته ،من يصمد ويكون جميلا وشريفا في صموده وكلمته يتهمه السيد الوزير بالخيانة الوطنية !

ويمر بالبال هذا الرجل النحيل الكفيف الذي كان منذ اكثر من ربع قرن على رأس الثقافة والتعليم في مصر .

واقول يرحمك الله يا طه حسين ويرحمنا جميعا من هذا الانحطاط الثقافي !

● ابراهيم اصلان :

ان المشكلة كما نعرف جميعا ، تتعلق بتلك النظرة الدونية الجهولة التيتحكم العمل الثقافي في مصر خلال هذه الايام . واين كانت هذه النظرة قد وجدت ، عقب سلسلة طويلة من الانتهاكات الرخيصة ، تعبيرها الفاجع في تلك المهزلة البشعة التي تعرضت لها مجلة « الكاتب » . واود ان انبه هنا انني لا اتحدث عن اشخاص ، ولكنني اتحدث عن « الكاتب » ــ القضية .

لقد اطلعت على الرد الرسمي الذي نشره السيد وزير الثقافة . وفهمت منه انه لا مانع عنده من ان نفكر جميعا كما نشاء ، على ان يكون تفكيرنا هذا في حدود الوثائق الثورية مثل الميثاق وبيان مارس وغيرهما من الوثائق ،وحتى يمكن ضبط العقول والارواح داخلهذا الاطار يرى ان من حقه « ان اضع اي عنصر يمكن ان ينبه الى الانحراف قبل وقوعه ، ومناقشة صاحبه فيه » (جريدة الجمهورية : ٢٢ ــ ٩ ــ ١٩٧٤) .

ولقد تسبب لي ذلك الكلام ، على المستوى الشخصي ، في قدر لا مزيد عليه من الارتباك . فانا مثلا لا اضع هذه الوثائق في اعتباري مطلقا سواء كنت بسبيلي الى التفكير في شيء او كنت متوقفا تماما عن التفكير . وان كنت ، مثل كثيرين غيري من ابناء مصر ، اعرف ان اللغط يدور كثيرا حول اوراق لها مثل هذه الاسماء . اما على المستوى العام ، فان الفضيحة ما زالت تطرح ، وبالحاح لا ينتهي، مثل هذا السؤال :

هل نتكلم ونفكر بوصفنا رجالا احرارا ام كمستبدين ؟ هل نحب حقا ان نعيش في مجتمع حر مع رجال يختلفون عنا في العقيدة باحثين معهم عن توفيق عملي ام نصر على ان نقتلع كل نظرية او عقيدة تختلف عن نظريتنا وعقيدتنا ؟ وبعبارة اخرى هل يمكن لنا ان نعيش ونفكر ونموت بوصفنا رجالا ونساء نملك عقولنا وارواحنا، لا بوصفنا كتيبة مراقبة مسوقة لا فضيلة لها الا الخضوع ؟

والجواب الاستبدادي على مثل هذا السؤال هو : لا يسمح للناس ان يفكروا او يتخيلوا تخيلا مطلقا ، بل يجب معاونتهم بارغامهم على ان يفكروا ويتخيلوا ويكتبوا ما هو صالح لهم .

وعندما تقول السلطة ذلك فهو الطريق الى الاطاحة بعقول الناس وارواحهم .. وهو الطريق الى السجون وغرف التحقيق.

ومع ذلك فهم لا يكفون عن ان يصدعونا ــ وكاننا ما زلنا بحاجة الى مزيد من الصداع ــ بالحديث عن تعدد المنابر ، والرقابة الملغاة ، والديمقراطية ، وسيادة القانون ،وغيرها من الكلمات.

* * *

ان التعاون مع مجلة « الكاتب » في ظل هذه الظروف الجديدة، وبذل اي جهد من اجل مساعدتها على الاستمرار ، بعد ان اجبر رجالها على الرحيل ، واحدة من الكبائر التي لن يغتفرها التاريخ لاي كاتب عربي ، ذلك انها ليست اقل من خيانة دنيئة في حق كل ما جاهد الانسان من اجله ، عبر سنوات طويلة من المظالم ، والانتهاكات .

● عبده جبير :

.. لا يمكن بحال فصل قضية مجلة « الكاتب » عما يجري منذ فترة طويلة في حياتنا الثقافية .

فمنذ صدور « الجديد » و« الثقافة » و « المسرح والسينما » كان من الواضح جدا ان المخطط المرسوم من قبل المهيمنين على الاجهزة الثقافية الرسمية يعمل على تغليب تيار متخلف عن المرتزقة والجهلة دعاة التجهيل ــ الى حد يجعلنا نتردد فيتسميته باليمين .

وكان هذا واضحا كل الوضوح ، وله بوادره السابقة التي انت على دوريات ساهمت بالفعل في اثراء حياتنا الثقافية كالسلاسل الادبية والمجلات السابقة : الفكر المعاصر ، والمجلة ، والسينما والمسرح وتراث الانسانية ، ومسرحيات عالمية ، ومسرحيات عربية ، هذا علاوة على هدم متحف الفن الحديث وتحولهالى موقف عربات ، الامر الذي استمر فيما بعد ليتخذ شكل سيطرة التيار المجهول على دور النشر والصحافة .. وليس اكثر دلالة على ذلك مما حدث في مؤسسة الهلال : فمجلة الهلال التي كانت منذ امد طويل منبرا للمعرفة الانسانية العريضة ، تحولت الى قبر للغثاء والتخريف ، وهكذا روايات الهلال وكتاب الهلال الى اخره .

لكن صدور « الجديد » و « الثقافة » و « السينما والمسرح » ثم مؤخرا مجلة « القصة » وما حدث في دار الهلال ،كل هذا جعل الكتاب الحقيقيين يدركون خيوط هذا المخطط . وبتلقائية شديدة جمعتهم ، امتنعوا عن التعامل معها ، الامر الذي جعل هذه المنابر تهوي الى مصيرها المحتوم : نعني الفشل الذريع السريع .

وهكذا فوجيء المخطط بالفشل .

وكان لا بد ــ انقاذا للروح ــ من الاستمرار في البحث عن صيغة جديدة لاحياء هذا المخطط الفاشل ، ويبدو انه اخذ مؤخرا يضع في حساباته ، هؤلاء الكتاب الذين وصفناهم بالكتاب الحقيقيين ،والذين نعني بهم جبهة عريضة من الكتاب الموهوبين الجادين والشرفاء .

ويبدو ان البحث قد انتهى بالسيد وزير الثقافة ومستشاريهمن حوله الى صيغة احتواء لهؤلاء الكتاب انقاذا للمخطط اولا واخيرا.

.. فسرعان ما سرت اشاعة باصدار مجلة ثقافية يشرف على تحريرها بعض من الكتاب الذين ينتمون بهذا القدر او ذاك الى ذوي القيمة . لكن سرعان ما اختفت الاشاعة . ثم فوجيء المرء بما حدث في الكاتب . الامر الذي لا يمكن فصله عن صيغة هذا المخطط .

فلا بد ان السيد الوزير ومستشاريه من حوله قد اكتشفوا هذا الحل : لماذا لا نقفز الى الكاتب ، خاصة وانها مؤهلة تماما بعد ان اصبحت خاضعة لتمويل الهيئة العامة للنشر الخاضعة لاشراف السيد الوزير ؟

فهذه مجلة « جاهزة » تحظى بسمعة طيبة لدى القراء، كما تعد المنابر الجادة ذات المستوى والتي تضم كتابا لهم قيمتهم . وهو المطلوب ، لاعطاء المخطط صيغة للاستمرار تحت غطاء القيمة التي يضمها كتاب « الكاتب » .

وكان ان تم طلب كشف حسابات الكاتب . وتم على اثره فرض مجموعة من المشرفين على هيئة التحرير ، ثم فرض اسماء بعينها للاشراف على التحرير ، بل وفرض الا تمر مقالة واحدة دون ان تلقى رضاء السيد الوزير .

واذا كان من الطبيعي ان يتخذ اي كاتب شريف موقفا ضد هذا المخطط الذي يستمر (ويتخذ الان صورا عديدة لتخريب الحياة الثقافية ـ كالتخلي عن قاعة اخناتون ، وتحويل المسافرخانة وبيت السليمي الى كازينوهات وملاه ليلية) فاننا لا نستطيع الا ان نرفع الصوت عاليا بادانة هذا الفرض وهذا التدخل في شئون مجلةالكاتب، الذي يحولها الى « ثقافة » و « جديد » ..منهذا النوعبالذات.الامر الذي يدل على ان السيد الوزير ليس فقط يقف بصلابة في صفهذا التيار المتخلف ، بل وفي موقف معارض تماما للديمقراطية .

● محمود الورداني :

انني ارى ما حدث لمجلة الكاتب امرا طبيعيا الى اقصى حد، وغير الطبيعي حقا ، هو استمرارها بهيئة تحريرها وطابعها الجاد والتقدمي . وعلينا ان نعرف ـ باديء ذي بدء ـ انه وسط الهيمنة الرسمية للسلطة على اجهزة الثقافة ، لم تقف في الساحة مجلة جادة ـ سوى مجلة الكاتب ـ وسط الركام المفزع والشرس من التفاهة والسطحية والعدوان على عقل المتلقي المصري .

وبديهي بالطبع ، ان ذلك ليس منفصلا باي حال من الاحوال ، عن جملة الاجراءات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، التي تم اتخاذها في غيبة الجماهير بمنابرها المستقلة ، عبر ازمة ديمقراطية عنيفة تجتاح المجتمع المصري .

غير ان المسالة هنا تتعلق بجانب واحد من الازمة ، واعني به الجانب الثقافي . علينا اولا ان نحلل جملة الاجراءات التي اتخذت لضرب الحياة الثقافية في مصر . بدءا من اغلاق المجلات الثقافية ، بدعوى انها لا تربح على المستوى التجاري ، وانتهاء باستقالة هيئة تحرير الكاتب . ومن المعروف انه في كل اشكال الفنون ، تم ضرب الاتجاهات الجادة والوطنية والديمقراطية . الامر الذي وضح في السينما (اقتصار دور القطاع العام على اعطاء سلف للقطاع الخاص لانتاج الافلام الهابطة المعادية للشعب المصري ،بيع دور السينما ـ او ردها لاصحابها .. الخ) . وفي الفن التشكيلي (بيع قاعات العرض وتحويلها الى نواد ليلية او فنادق، هيمنة الفنانين الرسميين على حركة الفن التشكيلي) . وفي المسرح (اعطاء الفرصة كاملة للقطاع الخاص الهابط والمعادي بدوره لحساسية وذوق الشعب المصري . وحتى بالنسبة لمسرح الدولة لا نجد سوى المسرحيات الهابطة ايضا ـ تاليفا واخراجا) . وفي مجال النشر والكتاب (تم اغلاق جميع المجلات الثقافية ـ على اعتبار انها من المطابع للمخازن ، وبالنسبة للكتاب كفت هيئة الكتاب عن طبع الكتب بشكل كامل ـ فيما عدا الكتب التي ترغب الاجهزة الرسمية في نشرها).

بضربة واحدة تم تدمير المتلقي المصري . اصبحت المسالة هي تدمير وجدان المتلقي المصري وعقله وحساسيته وذوقه . اعني ان المسالة بالفعل ليست متعلقة بمجلة الكاتب . فانه وسط بعث كل الجثث القديمة وتوليها مسئوليات الثقافة المصرية (مجلات وزارة الثقافة بشكل خاص) تصبح مجلة الكاتب بشكل طبيعي : جسما غريبا ولا تتمكن وزارة الثقافة من احتماله .

ان المسالة الهامة بالفعل هنا ،هي ان العداء ليس من اليمين المهيمن تجاه اليسار بشكل كامل . ان المسالة ـ في رأيي ـ اكثر عمقا . فهي متعلقة بموقف عدمي ومعاد للثقافة الانسانية .انالهجوم الموجه ضد الثقافة المصرية ليس من جانب يميني متبلور ومتنور ومثقف وقادر على المناقشة ومواجهة الرأي المناقض معه ،لا : على الاطلاق . انه ذلك الجانب من اليمين الذي لا يفعل سوى ان يضربك بعنف ـ في غيبة منابرك المستقلة ،وفي غيبة الديمقراطية وقدرة الكتاب على المواجهة .

وتصبح المسالة اكثر وضوحا ، عندما اقول انني ربما اكون مختلفا ـ في حدود معينة ـ مع الكثير مما يكتب في مجلة الكاتب ، على سبيل المثال . غير ان الامر هو بالقطع ليس اختلافك ـ لان ذلك صحيح وطبيعي ـ بل هو دفاعك عن المنبر الاخير والوحيد الممول رسميا الذي لا يمكن الشك في تقدميته وجديته ووقوفه بجانب الشعب المصري ، خلال طرحه ومناقشته للمهام الديمقراطية للمثقفين المصريين.

وهكذا تصبح الحقائق البسيطة والواضحة عارية تماما لا يرقى اليها الشك . ان المهمة المطروحة حاليا هي ضرب الثقافة الوطنية الديمقراطية ، ممثلة في اخر المنابر . ومن ناحية اخرى ، هناك الموقف المحترم الذي وقفه الكتاب الديمقراطيون والوطنيون من مجلات وزارة الثقافة ، والخاص بعدم التعامل معها . وهنا بالضبط سقطت المجلات الرسمية ، واصبحت ـ لانها ولدت ميتة ـ لا تنشر سوى الغث والرديء والهابط . وهنا ايضا تستمر الجثث في كونها جثثا ، تلك التي كانت حتما في زمانها السحيق ، رجعية وشرسة في مواجهة الكتاب الوطنيين ، وها هي ذي تستمر في شراستها .

يتبقى اذن جانب اخير وهام ، واعتقد انه الجانب الملح على الكتاب الوطنيين . ان مجلات وزارة الثقافة (المجلة ـ الفكر المعاصر ـ المسرح ـ السينما ـ الكاتب) قامت بقرار رسمي فوقي ، وتم اغلاقها بقرار رسمي وفوقي ايضا . اي انه على الكتاب ان يكونوا ذيولا للاجهزة الرسمية . حينما ترغب ـ الاجهزة الرسمية ـ في انشاء المجلات ، تقوم بعمل ذلك . وعندما ترغب في اغلاقها ،تقوم بعمل ذلك ايضا . وبالرغم من ان هذه المجلات كانت مهمتها هي ـ بكونها ذات طابع جاد وغير معاد للثقافة الانسانية على الاقل ، وتتولى المسئولية فيها شخصيات جادة ومحترمة من جانب الكتاب ـ احتواء حركة الكتاب الديمقراطيين ، والظهور بطابع وطني ابان المد التحرري . غير ان المسائل تتكشف ، عندما تتجه الظروف الموضوعية (الاجتماعية والسياسية والاقتصادية) الى اتخاذ موقف من جانب الاجهزة الرسمية في مواجهة المد الوطني والديمقراطي للكتاب . هنا تغلق المجلات ، وتكف هيئة الكتاب، وتبعث الجثث ، وتتبدى الشراسة والموقف العدمي من الثقافة ،وتقوم المجلات الرسمية مرة اخرى ، وتسقط المجلات الرسمية ، ولا يتبقى في الساحة ـ رغم ذلك ـ سواها . وعليه فلتغلق مجلة الكاتب بمنتهى البساطة .

والكتاب الوطنيون المصريون ، لم يكن لهم صوت عندما نشات

هذه المجلات (اعني المجلة ـ الفكر المعاصر ـ المسرح .. الخ)، وعندما اغلقت ـ ايضا ـ لم يكن لهم صوت . وعندما اجبرت هيئة تحرير الكاتب على الاستقالة ، لم يكن ايضا للكتاب الوطنيين صوت .

ان المسألة هي غيبة المنابر المستقلة للكتاب الوطنيين منذ البداية . ولا بد ان تستمر هذه الاجراءات ، وبشكل اكثر عنفا وشراسة ، طالما ان الكتاب الوطنيين ليس لهم منبرهم المستقل عن الاجهزة الرسمية . وليس هناك ـ على الاطلاق ـ موقف يمكن للكتاب الوطنيين اتخاذه ، الا اذا قاموا بتكوين اتحاد للكتاب المصريين وطني ديمقراطي مستقل . هذه هي المهمة الملحة التي يجب على الكتاب الوطنيين القيام بنضالاتهم اليومية من اجل انتزاعها انتزاعا . وابان كفاحات الكتاب تلك ، لن نخسر سوى قيودنا ، لن نخسر سوى الهيمنة الرسمية التي تفرض اصواتها وفكرها ومواقفها .

ان تكوين اتحاد ديمقراطي مستقل للكتاب المصريين ، هو الذي سوف يطرح منابرنا نحن ، واصواتنا نحن . لانه ليس كافيا ـ رغم انه موقف محترم وشريف ـ ان نمتنع عن التعامل مع الاجهزة الرسمية الثقافية ، بل ـ واكرر ـ ان المهمة الملحة الان هي ان نقوم بتكوين اتحادنا نحن ، الديمقراطي الوطني المستقل . وهو الذي يضمن لنا ، الا تنشأ المجلات بقرارات فوقية ورسمية ، وتغلق بقرارات رسمية وفوقية ، في غيبة الاصوات الوطنية الديمقراطية .

● سعيد الكفراوي :

ليس دفاعا عن اسرة تحرير « مجلة الكاتب » فالاشخاص وحدهم في ذمة التاريخ لم ما لهم ، وعليهم ما عليهم .

لكن الدفاع ينصب بالدرجة الاولى عن تيار يساري وطني ، وقف بشجاعة ضد تخريب الثقافة المصرية ، وضد نشر نوع غريب من التجهيل الذي يحاول طمس عقل هذه الامة .. تيار يحفظ له التاريخ نضاله الحقيقي من اجل الديمقراطية وحرية الراي والتعبير ، وموقفه الشجاع مع احلام هذا الوطن ، من الحفاظ على روحه والدفاع عن طموحات هذه الامة في المساواة الاجتماعية ، وضد كل القوى التي تستلب روحه .

لكن وزير الثقافة معاديا لليسار المصري ، منطلقا من موقفه الفكري الخاص ، متهما دائما اليسار بتخريب الثقافة والحياة السياسية خلال العشرين عاما الماضية .. متهما اياه بقتل الكتاب « الكبار » (محمدعبدالحليم عبدالله، امين يوسف غراب، علي احمد باكثير ، عبدالحميد جودة السحار) مع العلم ان هؤلاء الكتاب اكثر انتشارا وتعبيرا عن مرحلة كانوا هم كتابها ونجومها .

ليتهم الوزير اليسار بمحاولة ذبحه ككاتب واسقاطه كوزير ، يمثل سلطة يرى ـ سيادته ـ ان اليسار متناقض معها اجتماعيا ، وتاريخيا .

لكن الشيء المؤكد ، انه ليس من حق الوزير ان يعادي كافة التيارات المتناقضة معه ومع فكره ومع اتجاهه .

ليس من حق الوزير ان يترك الساحة لمجلات متخلفة في الفكر والمنهج وضيق الرؤيا .. تتهم خلق الله بالعمالة والخيانة ، والعمل على تحطيم الشعب المصري .

ان مجلة « الجديد » الموظفة لخدمة رئيس تحريرها ومجموعة كتابها الذين لا يعبرون بالضرورة عن القضايا الحقيقية التي تهم هذا الوطن .. بدءا من العفاريت وقضايا الغيب والنجوم وانتهاء برسائل العشق والوجد الموجهة للدكتور رئيس التحرير ، ومجلة « الثقافة » التي تعبر الان وبشكل سافر عن طموحات حزب « مصر الفتاة » الفاشيستي والتي تفرد الصفحات للاشادة بمنجزات وزارة الثقافة ، واحتضان اشباه الموهوبين ، ودفعهم ليتصدوا بحملات ضارية كعصابات سياسية منظمة ، غبية وحمقاء .. يتحركون من منطلق يقف ضد العقل وضد حرية الاخرين . محاولين قتل ذلك المسار الذي خطه كتاب يمثلون الوثبة المضادة ، والذين كتبوا ادبا مصريا حقيقيا ، وان يعبروا بالضرورة عن قضايا الانسان المصري في مسعاه نحو الحرية والديمقراطية والمساواة واستطاع في اقسى عهود الظلم ، وسيطرة مراكز القوى ان يرفع صوته ويتناقض مع تلك العهود ويسجن رافضا البيع والشراء .

ليس من حق وزير الثقافة ان يهب اموال الشعب المصري لسماسرة الانتاج السينمائي .. من شكل سلف .. ودور عرض ... ليغرقوا هذا الوطن في موجة عارمة من الجنس والعنف . والقصص التافهة .

يا سيادة الوزير .. بعد ان اقفرت الحياة الثقافية في عهد د . حاتم وعلا فيها صفير الخراب وشكلت لجان النظام ، وتمت تصفية كل التيارات التقدمية والمعارضة بدءا بحركة الطلبة والعمال ، وانتهاء بعزل المثقفين المصريين الشرفاء والذين لولا ضغوطهم الحقيقية ما كانت اتضحت الرؤيا لدخول حرب اكتوبر المجيدة .. بعد تلك الفترة . جئت انت فماذا قدمت ؟

اتيت الان لتصفي مجلة « الكاتب » محاولا ضرب تيار انت ترى نفسك ضده .. من موقف الوزير المسئول ، واصطنعت لذلك شتى السبل كتغيير هيئة التحرير ، وفرض هيئة جديدة من موظفي وزارة الثقافة ممن يحملون في اعماقهم الولاء لشخصك .. ثم تكليف السادة ملتزمي الاسترزاق وجوقة المداحين التي ترى ضرورة غلق « الكاتب » ... وفي الوقت الذي قرر فيه رئيس الجمهورية رفع الرقابة عن المجلات والصحف كانت « الكاتب » المجلة الوحيدة التي تفرض عليها الرقابة ، ويفرض عليها اشخاص حتى تتساوى مع مجلات الوزارة ، مع بقية الجهات الاخرى في النشر والمسرح والسينما .

يا سيادة الوزير :

لقد اخترت مجموعة من الجياد الخاسرة .. جياد لعقت ـ على طول تاريخها ـ نعال الملوك ووزراء الداخلية والمخبرين .. بالله .. لقد اخترت الناحية الاخرى من التاريخ !.

* * *

٢ • الثقافة الرمضانية والوظيفة الفسيولوجية للفن !

بقلم سامي خشبة

ها هو رمضان الاول بعد حرب رمضان . بحسابنا القمري الذي لا يعرف الثبات يكون عام كامل قد انقضى ، بصرف النظر عما يمكن ان تسجله الشمس ودوران الارض حولها عن الزمان . ولكن سنة قمرية قد تكون كافية هي الاخرى لمعرفة ما حدث وما يحدث ، وهي كافية ايضا للاشارة الى ما سوف يكون .

ونحن نتحدث هنا عن الثقافة ، ومنذ عام كامل كتبنا عن ثقافة مصر ، وعن حالها حين « ضبطتها » الحرب « متلبسة » بما كانت

عليه ، وكيف تغيرت في ايام القتال وفوران الدماء . كتبنا عن مسرح مصر وتليفيزيونها ، وعن «مسارحها و « سينمتها » وعن اغانيها. تساءلنا عن كيف « ضبطت » حرب التحرير اجهزتنا الثقافية والاعلانية هذه « متلبسة » بنسيان كل شيء ، لا عن رمضان والتعبد والزهد وعن الله نفسه فحسب ، بل عن التنمية « الاشتراكية » وصنع الانسان والمجتمع الجديدين ، وعن الارض المحتلة وتراب الوطن والجهاد في سبيلها .. في العام الماضي كانت صيحة التليفيزيون هي « عزوز زوربا » فقط (المعلم محمد رضا ، المخرج محمد سالم) . وكأن عاما يمر على انتصار رمضان مبرر كاف لان « يفك » المعلمان شغلهما ويتوسعا .

هذا العام اصبح للتليفيزيون « مسلسلتان » من صنع محمد سالم. « حارة العوام » التي يبدو ان قدرا من الخجل دفعهم الى تغيير اسمها الى « الليالي الملاح » ، والى جانبها « يتجلى » المعلم في « مجنون السيما » .

وفي المسلسلتين يجمع محمد سالم كافة عموم « عوالم » القاهرة الكبرى (راقصاتها المحترفات في العهود الذهبية التي لا تريد ان تنقضي، اختصاصهن احياء الافراح وملء ادمغة فحول الرجال باحتياجات لا تجيدها ربات البيوت الطيبات) . ويحول محمد سالم الشاشة الصغيرة الى شيء يجمع بين الماخور وعلبة الليل يفخر بانتمائه الى ثلاثينات واربعينات هذا القرن ، عصر اثرياء الحرب الذي انتهى بالنكبة وازالت انقاضه ٢٣ يوليو . (اثرياء الحرب الجدد يجعلوننا ندفع الان في الضروريات ثلاثة اضعاف ثمنها منذ عام ، ولكنهم هم ايضا الذين يتولون تسليتنا بالراقصات والفوازير والنكات وحكايا العشق الخائب والنجاح السهل في الاذاعة والسينما والمسرح ، وهم الذين يطالبون بعودة الاحزاب وبفتح ابواب مصر للخير الامريكي الذي « حرمنا » من نعيمه عشرين عاما كاملة او تزيد .)

وفي العام الماضي ضبطت الحرب عزوز زوربا في التليفيزيون ، و « السيد وحرمه » في الاذاعة (ومعه كثيرين غيره) و « زوزو » في السينما و « ـ الخ .. الخ ، متلبسين بنسيان مجاهدة النفس والاشتراكية والتحرير والارض المحتلة ، منشغلين جميعا بمماحكة الرجال للنساء والنساء للرجال وتدبير المقالب بعضهم للبعض وابتكار وسائل استخدام الحواجب والنهود والمؤخرات في التعبير الدرامي والمسرحي (فنحن الان في زمن واقعي ، وانتهى منذ قديم زمن استخدام آهات التوجع او صرخات الفزع لنفس الغرض) . ولكن اولئك ناس يؤمنون بقول الشاعر : البس لكل حالة لبوسها . فسكتوا جميعا يوما واحدا هو يوم العاشر من رمضان ثم انقلبوا الى خدمة « المعركة » ، بنشر معلوماتهم المدهشة عن الصهيونية اولا ، ثم بالحديث عن ضرورة اطفاء الانوار في الليل ونزول المخابىء ساعة الغارة ثانيا .. وعدم لمس الاشياء الغريبة ثالثا . ودعمتهم فرقة كاملة او فرق كثيرة من منشدي الاذكار والمدائح النبوية راحت توجه الدعوات الحارة الى خالق الكون ان يمدنا بملائكته الذين ايدوا في القتال اهل بدر . وبذلك تحولت ثقافتنا في « موسم الحرب » الى ثقافة « جادة وملتزمة وهادفة » ، وان كانت قد ظلت تطبيقا حرفيا لنظرية احدهم كان قد قال: «ان الشعب المصري ينبغي ان يحارب وهو يقهقه » .

فما الذي سيقنعهم هذا العام بالتخلي عن حارة العوالم ومجنون السيما والفوازير ، وعن « علشان سواد عينها » و « الدوامة » وعن « سنة اولى حب » و « بمبة كشر » وغابات السيقان والاحضان الدافئة ، وعن الست هدى وفار السبتية .. الخ .. الخ .. واي شيء سوف يخدعون طالما انه ليست هناك معركة « ولا حاجة » ، ومن حق الناس في هذا الصيام والحر ان يروحوا عن انفسهم بعد مكابدة الغلاء والزحام « وقلة الشيء » ؟ اليس من واجب الفن ان يساعد على « هضم الطعام » لا ان يسبب التلبك المعوي ؟ وهذه الوظيفة الجديدة للفن ليست من ابتكاري ، ولا انا اتفكه بها ، وانما هي من ابتكار الاستاذ يوسف السباعي ، في حديثه مع صلاح حافظ في « روز اليوسف » منذ اسابيع . ان كل فن جاد متجهم سياسي ، قليل الاضحاك ، مشحون بالمعلومات او يستدعي بذل قدر كبير من الجهد الذهني والعقلي (في موضوعه او لغته) هو فن يؤدي الى التلبك المعوي . اما اذا مزجنا بين « القدر المناسب » من الجدية والمعرفة بالقدر المناسب من الضحك فان الفن سيساعدنا على هضم الطعام » . وبهذا الشكل يمكن ان تنبع نظريات جديدة في الشكل الفني ، وفي الوظيفة الفيسيولوجية للفن ، ويمكن ان يؤكد كتاب هذه النظرية (التي سيشارك في وضعها دون شك عبد الفتاح البارودي وعبد العزيز الدسوقي .. الى اخر المفكرين العظام هؤلاء) يمكن ان يؤكدوا ان هذه هي النظريات المصرية الاصيلة في الفن ، النابعة من واقعنا ، غير المستوردة ، والتي لا ينقلها عملاء ومخربون ، قرامطة جدد وباطنيون وقرامزة وشلليون .. الخ .. الخ ، وانما يضعها بنزاهة وعمق مفكرون كبار مثل عبد العاطي جلال واحمد هيكل والحساني حسن عبدالله وعباس خضر .. الى اخر هؤلاء الاصلاء « العمقاء » ، فيضيفون يدا جديدة الى اياديهم البيضاء على الثقافة المصرية العائدة الى جذورها العريقة . وهكذا ايضا يمكن ان تتحقق على وجه اليقين والتحديد ، اهداف البرنامج الذي اعلن عنه وزير الثقافة في افتتاحية مجلة الثقافة في شهر سبتمبر : بان تقدم « للمواطنين كتابا شائقا عميقا ، وقدمت لهم معرضا فنيا يجلو لهم لوحات فنانيهم وابداعهم الفني الرفيع ، ودعتهم الى دار عرض سينمائي او مسرحي يضيف الى ثقافتهم ما يدعم بناءهم المعنوي ويمتعهم ويمسح هموم الحياة من اعماق صدورهم ، واستحثت خطاهم الى ساحة رقص او قاعة موسيقى تصدح فيها الانغام . »

لست اعتقد يقينا ان وزير الثقافة المصري مقتنع بان ما تقدمه اجهزة وزارته الان (ربما باستثناء جهاز الثقافة الجماهيرية نسبيا) هي من قبيل الاشياء التي حددها لكي تساهم في « بناء الانسان » على حد تعبيره في افتتاحية تلك المجلة في ذلك العدد . ادعوه مثلا الى مشاهدة « اهلا فار السبتية » على مسرح مصطفى كامل ، وليكن مقياسنا المتواضع هو « كلام فارغ » التي تعرض في نفس الوقت على مسرح يوسف وهبي (شريطة ان يذهب متخفيا ، حتى لا تتحول سهير البارودي الى راهبة محتشمة ، وحتى لا يكف ممثلون اخرون عن تبادل اكثر ما يتخيله من كلمات « القافية » بذاءة ، عندما يعلمون بوجود السيد الوزير ، والتخفي من جانب الحكام شيء في تراثنا على ما جاء في الف ليلة) . وادعوه ان يذهب ليتفرج على « بمبة كشر » او « في الصيف لازم نحب » (وليذهب معلنا عن نفسه هذه المرة ، فالشريط المعلب لن يمكن تغييره) وليكن مقياسنا المتواضع (حتى !) هو « خلي بالك من زوزو ! » . وادعوه الى ان يقرأ في عدد «مجلة الثقافة المذكور» الذي كتب هو افتتاحيته ، مقالات من مثل ذكريات عباس خضر الادبية، وكلام نعيم عطيه عن انتقال جاذبية سري من الرؤية الخارجية الى الرؤية الداخلية (!) ـ وكلام الاساتذة عبداللطيف عبد الحليم وعبد العاطي جلال .. واخيرا ملاحظات عبد المنعم الدسوقي .. وليقرأها على ضوء شعاراته واهدافه التي حددها في افتتاحيته ... ادعوه بعد ان يحضر احتفالا في نقابة الصحفيين لاحياء ذكرى شاعر شيلي والانسانية العظيم نيرودا ، وبعد ان يكون قد قرأ او استمع الى بعض قصائد هذا القرمطي الجديد او الباطني او القرمزي (بتعريفات الاستاذ الدسوقي) .. ادعوه بعد هذا الى قراءة قصائد احمد مخيمر او مختار الوكيل او جليلة رضا او روحية القليني او عاتكة الخزرجي او نصار عبدالله . وادعوه الى قراءة القصص المنشورة في نفس العدد كلها ربما باستثناء قصتين (لمحمد الراوي وضياء الشرقاوي) ... وادعوه الى ان يتصفح الاعداد الاخيرة من مجلة السينما والمسرح ... واعتقد ان قراءة كل هذه الاشياء ، حتى ولو متفرقة على عدة ايام لن تساعده على هضم

طعام افطاره مهما تخفف في الطعام ، ولن تساعده حتى في تسلية الصيام !

لقد ادلى الاستاذ يوسف السباعي بعدة تصريحات ، في روز اليوسف وغيرها ، يجمل بنا ان نعرض لبعض منها بشيء من التفصيل، بعد ان نصرف النظر عن مسالة الفن الذي يساعد على هضم الطعام والفن الذي يلبك الامعاء . فمن المؤكد اننا بهذا المقياس سنصرف النظر ـ بامر الطبيب ـ عن كل ما كتبه شعراء العربية من المرقش الاكبر حتى احمد دحبور ـ باستثناء اولئك الذين تنشر لهم وزارة الثقافة ـ وسنصرف النظر عما كتبه ابن المقفع والجاحظ وعبد الحميد ، ونحن نفكر في اعادة اخراج مسرحيات احمد شوقي (وهذه قد تكون من الاشياء التي تلبك الامعاء فعلا) دع عنك مسرحيات عزيز اباظة . ولن نقرا العقاد ولا طه حسين ، ولن نشاهد مسرحيات توفيق الحكيم وخلفائه ... الخ . ولن نتحدث عن المنجزات الفنية للثقافات العالمية «المستوردة» التي تشوه اصالتنا وتفقدنا اعتزازنا بقيمنا وارتباطنا بها ! ..

سنتحدث مثلا عن تصريح لوزير الثقافة ، قال فيه ان الشلل التي سيطرت على الحياة الادبية والثقافية المصرية قبل ١٩٧١ ، هي المسؤولة عن موت محمد عبد الحليم عبدالله واحمد باكثير ... ورغم اننا لا نعرف لماذا تكون هذه الشلل مسؤولة عن موت اديب اصيب بالسكتة القلبية وهو يتشاجر قرب بلدته مع سائق السيارة التي اقلته اليها لخلافهما على الاجرة ، فاننا قد نتساءل : هل يقتضي ذلك ـ حتى ان كان صحيحا ـ ان يوضع على راس اجهزتنا الثقافية وعلى راس فروعها فنانون واداريون فاشلون ، اتيحت لهم الفرص وما زالت متاحة بصورة مضاعفة لاثبات وجودهم الفني ، فلم يملكوا حقا الا تثبيت كل ما هو قبيح ومتخلف ومترع بالجهالة ، ولم يستطيعوا الا اختلاق الاسباب لتوجيه مجرد الشتائم لمن يسمون باليسار ؟ وهل يكفي هذا ـ حتى ان صح مرة ثانية ـ لان يحاكم اناس من هذا النوع في المسرح مثلا اعمال كتاب من مثل نعمان عاشور ومحمود دياب وسعد الدين وهبة، ويوسف ادريس ، ويرفضوها لانها في راي اولئك الناس « تتعارض مع مواثيق الثورة » ، او ترمز الى زعيم من زعمائها او تحت المستوى الفني » ؟ والى اي حد يمكن ان يكون اولئك الرافضون اكثر التزاما بالمواثيق ، او ادق تقديرا للفن من هؤلاء الكتاب ؟ ومن اساتذة النقد الكبار الذين قيموا اعمالهم بالتقدير اكثر من مرة ؟ هل تكون الحكاية حقا هي الثار لموت عبد الحليم عبدالله واحمد باكثير والمحافظة على الالتزام بمواثيق الثورة والمستوى الفني العظيم (مثل ذلك الذي نشاهده الان وشاهدناه في الموسمين السابقين في مسرحيات كتبها اشباه محمد الشناوي ويوسف الحطاب وصلاح راتب .. الخ الخ ...) ام ان للحكاية وجها اخر ؟

لقد شاعت ـ بمناسبة مسالة الثار هذه ومسؤولية اليسار عن موت الاديبين الفقيدين ـ شاعت فكرة تقول ان النقاد اليساريين « قد تجاهلوا في كتاباتهم النقدية اعمال ادباء بعينهم مثل الاديبين المذكورين، ومثل ثروت اباظة ويوسف السباعي واحسان عبد القدوس وغيرهم . وقد يكون هذا صحيحا (فمن المحقق ان ناقدا « متياسرا » واحدا على الاقل قد كتب عنهم اكثر من مرة) ، فما هو وجه الاتهام هنا ؟ الا يحق للناقد ان يختار ما يكتب عنه ، يتفق او يختلف معه لا يهم ، انما المهم ان يستثير لدى الناقد حسه النقدي ؟ اليس الناقد حرا في ان يكتب عما يشاء مثلما كان لكل هؤلاء الادباء حريتهم عندما كتبوا ـ وما زالوا يكتبون ـ ما يشاؤون ؟ هناك ادباء لم يقترب منهم النقد « اليساري » ايضا رغم انهم يساريون ، مثل فتحي غانم وصلاح حافظ وغيرهم، وهم لا يشتكون ـ ولا احسب انهم اذا ـ لا قدر الله ـ اصابهم مكروه ، فسوف يحملون النقاد مسؤوليته . ومع هذا فليس ذلك عذرا للنقاد، انما المطلوب هو ببساطة ان يتخلى الاديب عن « السلطة » وان يكف اديب القرن العشرين ـ الذي يؤمن بالديموقراطية ـ عن ان يكون اديبا وصاحب سلطة في وقت واحد ، لانه في الغالب سيطالب ـ من موقع السلطة ـ بالثار في قضية ادبية ، وسيستخدم السلطة في قضية ادبية تحسم بالمناقشة في ظل الحرية ، ان امكن ان يمتد مثل هذا الظل .

وقد ضرب الاستاذ يوسف السباعي لجرائم الشلل القديمة ، مثلا عن رفض بعض هذه الشلل لمسرحيته «اقوى من الزمن» التي لم تعرض الا بعد سقوط الشلة التي كانت قد رفضتها . فهل عرضت « اقوى من الزمن » بنفس الصورة التي كتبت بها ، ام ان كاتبا « يساريا » اخر قام بتعديلها ؟ وحتى بعد التعديل ، هل نجحت بالمقياس التجاري الذي تحدث به الوزير عن النشاط المسرحي والسينمائي في روز اليوسف ؟ .

***

احسب ان المشكلة اكبر من مجرد اقامة المسؤولين الحاليين على راس اجهزتنا الثقافية ، ولا اظن ان المطلوب هو مجرد « معاقبة » الشلل اليسارية القديمة . واعتقد ان نصف المطلوب هو تحقيق التوازن بين الحجم الحقيقي لليسار القائم وبين دوره الثقافي من وجهة نظر تثبت الواقع الاجتماعي والثقافي معه تثبيتا كاملا ، واعتقد ان النصف الاخر من المطلوب هو اقامة التوازن ايضا بين الحجم الحقيقي للفكر والثقافة التقليديين وبين دورهما ووجودهما في اجهزتنا الثقافية الرسمية من نفس وجهة النظر التي ترى الواقع الاجتماعي والثقافي واقعا ثابتا ولا يحتاج الى ما يحركه الى الامام ، الى العصر الذي نعيش فيه .

فاذا كان ذلك صحيحا ، ونحسبه هو الصحيح ، فان مسالة ثقافتنا الرمضانية بعد عام قمري كامل من حرب رمضان تحتاج في تحليلها الى نظرة اخرى . فهذه الثقافة الرمضانية ليست وقفا على رمضان ، ولا تهدف الى مجرد مساعدة الصائمين على هضم طعام الافطار وتحمل الصيام في الحر . انها تهدف الى مساعدة غير الصائمين ايضا ، قبل رمضان وبعده ، على هضم طعامهم ، ونسيان المعاناة التي يتحملونها في سبيل الحصول عليه . ففي اجابات الاستاذ يوسف السباعي على احد الاسئلة في روز اليوسف ـ وكان سؤالا متعلقا بالسينما يقول ان السينما المعاصرة في كل مكان هي سينما القضية الاجتماعية والمشكلة السياسية ـ اجاب وزير الثقافة : لماذا تصر على الاعمال التي تسبب التلبك المعوي ؟ وقد يحق لنا ان نتساءل: امعاء من هي التي ستتلبك لمشاهدة مثل تلك الاعمال ؟

القاهرة

* * *

٣ . ازمة المسرح المصري ..

بقلم محمد بركات

● ما اكثر ما يقال عن المسرح المصري هذه الايام . المؤلفون والمخرجون والنقاد ، يتهمون هذا المسرح بالسطحية والتفاهة ، ويتهمون القائمين عليه بالقصور والتقصير معا . اما المسؤولون عن هذا المسرح ـ واكثرهم من الاداريين ـ فيتهمون النقاد بالتعصب واللاموضوعية ، ثم ينحرفون بالحوار فيتهمونهم ببعض التهم الشخصية التي لا تستاهل لتفاهتها عناء الرد عليها . ولكن التهمة الاخطر هي محاولة تصوير هجوم النقاد على هذا المسرح المريض على انه جزء من مخطط يستهدف تصفية القطاع العام وانهاء اشراف الدولة على جهاز المسرح . وليس ابعد عن الحقيقة من هذا الاتهام

الخطير والزائف معا . وللرد عليه فاننا ينبغي ان نعلن في كلمة واحدة ما يلي : ان كتاب ونقاد هذا البلد يؤمنون بان المسرح المصري لا وجود له الا في ظل الدولة ، وان لا مستقبل لهذا المسرح الا في حضن القطاع العام برغم كل ما يحيط به الان من عفن البيروقراطية وسيطرة الموظفين . فنحن لا نتصور ان ينتهي الامر بمؤسسة ثقافية عظيمة اسمها المسرح المصري الى اناس من امثال سمير خفاجي ومصطفى بركه وغيرهم من تجار المخدرات البرجوازية كما يحلو لشاعرنا الثوري الطيب بريخت ان يسميهم بحق .

ما القضية اذن ؟!

القضية في كلمة تتلخص في ان المسرح الجاد يتعرض منذ سنوات لهجمة رجعية بربرية جاهلة تستهدف القضاء عليه ، بحيث بدا الامر في النهاية وكان هناك فعلا عمديا مسبقا للاجهاز على هذا الصرح الثقافي الجميل الذي كان يوما ما اقوم صدى للتعبير عن وجدان الجماهير . وامام هذه الحالة فلقد انقسم النقاد الى قسمين: اما بعضهم فقد آثر ان يصمت باعتبار ان كارثة المسرح المصري هي جزء من المأساة العامة التي تحيط بالثقافة المصرية على اطلاقها . واما البعض الاخر فانه يصرخ ليل نهار من اجل استنقاذ هذا المسرح، ولكن صوته من اسف ما ان يتبدد كصدى ضائع في البرية واما ان يواجه اصحابه بالتهم وبالمنشورات وبالتلفيقات الكاذبة !

وهكذا راحت هيئة المسرح والمسؤولون فيها يواجهون الراي العام المثقف في مصر . فبدلا من ان يدعو هؤلاء الى مؤتمر عام للمسرحيين — ولا اقول اجتماعات مغلقة كتلك التي عقدها سرا يوسف السباعي! — تناقش فيه وبصراحة قضايا المسرح المصري على مستوى التاليف والتمثيل والاخراج ، وتطرح فيه قضية انهيار هذا المسرح وانصراف الجمهور عنه .. اقول انه بدلا من ان تفعل هيئة المسرح هذا ، اخذ بعض المغرضين والمستفيدين من الاوضاع القائمة يمارسون هوايتهم في الكذب ، ويخدعون انفسهم ، ويقومون بتضليل الناس ، وهم يزعمون ان المسرح المصري مسرح ناجح فنيا ومزدهر جماهيريا ، واننا نعيش نهضة ثقافية مسرحية كبرى وان هؤلاء الذين لا يعجبهم حال المسرح المصري ليسوا سوى مجموعة من الشيوعيين والافراد شلة وربما كانوا بعض الخونة من العملاء واعداء هذا الوطن (!) (*)

وامام عقول تفكر على هذا النحو فان الحوار قد يبدو نوعا من السخف . لهذا قد يكتفي المرء في هذا المجال باستعراض الحالة على شكل مجموعة من التساؤلات التي يعرف الجميع انها صحيحة ويعرف الجميع ايضا حقيقة اجوبتها .

وقبل ان اطرح هذه التساؤلات البسيطة فانني احتكم الى الراي العام المثقف في مصر . انني احتكم الى المؤلفين والمخرجين والنقاد ، واتحدى صاحب ضمير شريف او قلم صادق او انسان مخلص مع نفسه ان يقول بان المسرح المصري — الان — ليس مسرحا فاشلا على المستوى الكمي والكيفي معا ، وان القائمين عليه قد اعلنوا افلاسهم تماما . نعم . انني احتكم الى الراي العام واتحدى مسؤولا في هيئة المسرح ان يكذب شيئا مما اقول . والا فما معنى هذا الاجماع الكامل على انهيار المسرح المصري ، وهل يعقل ان يكون كل هؤلاء الكتاب والنقاد والفنانين مخطئين في رايهم ويكون بعض المسئولين في هيئة المسرح وحدهم على صواب ؟!

(*) انظر مقال الدكتور رشاد رشدي في افتتاحية مجلة «الجديد» البارودي في افتتاحية الجزء الخاص بالمسرح في مجلة « السينما البارودي في افتتاحية الجزء الخاص بالمسرح في مجلة « السينما والمسرح » في العدد الذي صدر اول اغسطس ١٩٧٤ ايضا .

والان ، لنبدا في طرح مجموعة قضايا المسرح المصري من خلال هذه الاسئلة .

اولا : من الذي سمح لنفسه بنبش قلوب البشر وتصنيف الناس حسب ما تمليه المصلحة والفرض والهوى ؟ يجب ان نعترف ان الكتاب والنقاد والمخرجين والممثلين وجمهرة المتعاملين مع المسرح المصري قد تم تقسيمهم منذ سنوات . فهؤلاء معنا وهؤلاء ضدنا . هؤلاء تعرض مسرحياتهم وهؤلاء لا مكان لهم . هؤلاء يخرجون ويمثلون وهؤلاء لا يمكن ان يخرجوا او يمثلوا . هؤلاء لهم برامج الاذاعة والتليفزيون ومساحات الصحف والمجلات وهؤلاء يصبحون في اسعد الاحوال مشاهدين وقراء . انني اتحدى اي مسئول في المسرح المصري ان يخرج احدى مسرحيات محمود دياب ، كما اتحدى مسئولا منهم ان يقدم المسرحية الاخيرة لعلي سالم . ثم انا اتحدى السيد بدير ان ينكر ان هناك مؤلفين في قائمة الممنوعات وان مسرحياتهم ترفض بمجرد وضع اسمائهم عليها . كنت احاور مسئولا كبيرا في لجنة القراءة حول رفض مسرحية جميلة لاحد الكتاب .. وحين ضيقت عليه الخناق قال منفعلا « بقى معقول كنت عاوزنا نفوت مسرحية ابن الـ ...ده» !! واخرستني الكلمات وما زلت ملجما حتى الان .

ثانيا : اين هذا الجيل العظيم من كتاب المسرح المصري ، الذي صنع امجاد هذا المسرح على امتداد عشر سنوات فيما بين ١٩٥٥ و ١٩٦٥ وهو الجيل الذي يعرف بجيل نعمان عاشور ؟ اين نعمان عاشور نفسه ؟ ثم اين سعد الدين وهبه ويوسف ادريس والفريد فرج وعبد الرحمن الشرقاوي ولطفي الخولي ونجيب سرور ومحمود دياب وعلي سالم ؟ من الذي قضى على هذا الجيل وهو في عنفوان مجده وخصوبته . من الذي اصدر الامر الخائن بابعاد هؤلاء الكتاب عن خشبة المسرح ، وافساح المجال للهواة والعاطلين عن الموهبة من كتاب هذه الايام ؟ يكفي ان نذكر بعض الاسماء لنضحك ، وشر البلية ما يضحك كما يقولون . لقد اقصي الكتاب الكبار ، بل ان محاولات قد جرت لاستئصالهم تماما في تلك المذبحة الثقافية الشهيرة التي وقعت في فبراير ومارس من العام الماضي في اخطر عملية للدس بين السلطة والمثقفين .. وبينما كانت تتم هذه الوقيعة كان فرسان الحلبة في المسرح المصري كتابا من نوع محمد الشناوي ، ويوسف الحطاب ، وسعيد عبد الغني ، وصلاح راتب ، وسعد الفزاوي ، واحمد عفيفي ، وبسيوني عثمان ، وجمال عبد المقصود ... ولا تعليق .

ثالثا : هل يمكن ان يصدق احد ان المسرح القومي العتيد الذي كان يقدم اعمالا من نوع « الفتى مهران » و « الفرافير » و « كوبرى الناموس » و « سليمان الحلبي » و « عيلة الدوغري » و « حاملات القرابين » اصبح يقدم اعمالا من نوع « زيارة غرامية » و « ابن مين فيهم » و « غبي في القضاء » . وان مسرح الحبيب العظيم الذي قدم روائع المسرح العالمي والعربي ابتداء من « اجا ممنون » و « الضفادع » حتى « الفول » و « يا طالع الشجرة » اصبح يقدم اعمالا من نوع « سكان السطوح » و « مهرجان الضحك والبكاء » و « حراس الحياة » و « القرار وجبل المغناطيس » وغيرها مما لا يرقى الى مستوى اي فن ؟ انني اتحدى اي مسئول في هيئة المسرح ان يزعم ان هذه المسرحيات يمكن ان تعكس اي شيء من قيمة الفن او عمق الفكر . انني اريد ان اعرف لجان القراءة التي وافقت على هذه الجرائم الفنية ، كما اريد ان اعرف المعايير الموضوعية والفنية التي احتكمت اليها في السماح لهذه المسرحيات بالظهور . ان مجرد المقارنة بين هذه المسرحيات الرديئة ، وبين بعض النماذج العظيمة التي ذكرناها تكفي للدلالة على ان هناك فعلا عمديا من اجل القضاء على المسرح المصري وتسطيحه والاجهاز على التيار الجاد في هذا المسرح وافساح المجال لكل ما هو سطحي وتافه ورديء .

رابعا : لماذا اختفت الظاهرة الثقافية في المسرح المصري ؟ لماذا اختفت اولا مجلة المسرح ؟ ولماذا قرر كبار النقاد ان يصمتوا ؟ لماذا توقف لويس عوض ؟ ولماذا سافر علي الراعي وعبد القادر القط ومحمود العالم وامير اسكندر ؟ لماذا صمت رجاء النقاش واحمد عباس صالح وصافيناز كاظم ؟ ثم لماذا اخيرا توقفت عن الكتابة هذه المجموعة الكبيرة من اساتذة الجامعة المتخصصين ؟ واقول : لقد صمت هؤلاء او توقفوا او رحلوا لانه ليس هناك ما ينقد ، ولان الاتجاه الجاد في المسرح المصري قد تم القضاء عليه . ولان المناخ العام لا يساعد على رواج كلمة شريفة وصادقة . ولان عبد الفتاح البارودي يكفي ، ففيه كل الخير والبركة !

خامسا : اين هذا الجيل العظيم من كبار مخرجي المسرح المصري ؟ اين كرم مطاوع مخرج « الفرافير » و « الفتى مهران » . اين سعد اردش مخرج « سكة السلامة » و « النار والزيتون » ؟ اين جلال الشرقاوي مخرج « آه يا ليل يا قمر » و « انت اللي قتلت الوحش » ؟ ثم اين كمال ياسين وكمال عيد واحمد زكي ؟ واخيرا اين اباء هذا الجيل مثل عبد الرحيم الزرقاني وحمدي غيث ؟ اين هؤلاء الفنانون الكبار ؟ لماذا ترك بعضهم مصر ويستعد اخرون لتركها، ولماذا توقف البعض الاخر ، ولماذا قرر البعض الاخير ان يهزل كما يهزل الجميع نكاية وسخرية فيما يحدث . (*)

سادسا : اين نجاح هيئة المسرح على المستوى المادي ؟ يتشدق المسؤولون في الهيئة وبعض المستفيدين عن نجاحات جماهيرية وعن مسارح ممتلئة وعن ايرادات خيالية . وانا اتحدى اي مسئول في الهيئة ان يبرز الارقام الحقيقية ، واعني بها تلك الارقام التي تقدم لضريبة الملاهي . انني اتحدى احدهم ان يبرز لي متوسط عدد ليالي العرض ، ومتوسط عدد المشاهدين في كل ليلة ، ثم متوسط الايراد عن الليلة الواحدة ، ولحظتها سنكتشف اي كذبة هائلة يروجونها عن النجاح الجماهيري والمادي . عزيزي السيد بدير : ما هو ايراد مسرحيتي « القرار » و « جبل المغناطيس » ؟ وهل صحيح ان ايراد المسرحية كان في احدى الليالي خمسين قرشا ، وكان هذا المبلغ هو قيمة الضريبة المدفوعة على تذكرتي دعوة قدمهما المؤلف لاثنين من اصدقائه ؟ ما هو ايراد مسرحية « حراس الحياة » ؟ ما هو ايراد مسرحيات « الجدعان » و « زمردة » و « الست هدى » ؟ لماذا توقفت مسرحية « عفاريت من ورق » قبل الاوان مع ان مخرجها نبيل الالفي يحرص على مد عروضه المسرحية الى اقصى ما يستطيع ؟ ان الحقيقة التي ينبغي الاعتراف بها هي ان المسرح المصري قد فقد مليون متفرج في السنوات الاخيرة ، بسبب هذه العروض العظيمة التي تقدم له، وتلك كارثة ولا شك ، لان سمير خفاجي استطاع ان يستقدم ثلاثة ملايين مشاهد لمسرحية « مدرسة المشاغبين » وهو لا يقدم فنا. ومعنى هذا ان هيئة المسرح قد خسرت الجمهور ولم تكسب الفن ، كما انها قد خسرت الفن دون ان تكسب الجمهور . ثم ماذا ؟.. هل نتحدث عن لجنة القراءة الوهمية التي يتقاضى كل عضو من اعضائها عشرة جنيهات في قراءة المسرحية الواحدة ؟ هذه اللجنة التي لا يؤخذ برأيها ابدا ، والتي لم تعلم — مثلا — بعرض مسرحية « حب وفركشة » الا بعد ان عرضت بالفعل . هل نتحدث عن بعض التصرفات المالية في هيئة المسرح ؟ هل نتحدث عن اموال الاعلانات التي تذهب الى صحف بيروت ؟ هل نتحدث عن تاجير مسارح الهيئة الى القطاع الخاص ؟ هل نتحدث عن لعبة المناصب الادارية ؟ هل نتحدث عن النزيف الفني الذي يتمثل في عمل فناني هيئة المسرح في القطاع الخاص ؟ هل نتحدث عن الاخطاء الادارية ؟ هل نتحدث عن المحسوبية وخدمة الاقارب والاصدقاء ؟ لا .. لان هذا كله وكثيرا غيره ينبغي ان يذهب الى لجنة تقصي الحقائق بمجلس الشعب .

وبعد .. فهذه هي مأساة المسرح المصري كما تظهر بشكل مصغر هذه الايام . انه مسرح غني بكتابه ونقاده وفنانيه ، ولكنه مسرح مجهض بادارته والقائمين عليه . لقد لعب هذا المسرح دوره العظيم على امتداد عشر سنوات كاملة من ١٩٥٦ حتى ١٩٦٦ ، ولكن ها هو ذا يسقط تحت اقدام التخلف والرجعية والجهل . ها هم الكتاب والنقاد يتوقفون او يبعدون . وها هم قصار القامة من المؤلفين والمخرجين يصبحون ابطال الحلبة ، وهذه هي الاهواء الشخصية تتحكم في المصائر والعروض . هذا هو المسرح الجاد يقضى عليه في النهاية ، وهذا هو التهريج والجنس وفن المهزلة تنعقد له آيات البطولة والفخار . لقد تمت المأساة فصولا ، وسقط المسرح المصري ، ولكنه — من أسف — لم يسقط شهيدا كبطل تراجيدي عظيم بل مات محزونا مكروبا وحتى بلا كلمة وداع .

القاهرة

(*) اصدق نموذج يجسد هذه الحالة الاخيرة هو قيام المخرج الكبير كرم مطاوع باخراج مجموعة اغنيات ورقصات صيفية خفيفة ظهرت قبل شهرين باسم « حب وفركشة » .

الأمين الخمليشي

الفيل

قال الاب :

ـ هل تحبون ان تروها ؟

ثم قام ، فتبعه الاخ الاكبر ، ثم خيرون (*) ، وكان لا يزال يفكر في خديجة ، وفي القبلة العنيفة التي طبع على فمها عنوة ، هناك ، في عتمة درج العمارة التي تقطن فيها . دفع الاب الباب ، فبدا السرير في وسط الغرفة ، الى يمينه النافذة الخضراء التي تطل على الباتيو ، مغلقة ، والى يساره الصندوق الخشبي المزوق ، تعتليه حقيبتان ، وملابس لاخوته براقة الالوان ، وبقايا ادوية . توقف الاب عند رأس السرير ، وبيد بيضاء ، ازاح الغطاء من على وجهها . لم يعد خيرون يفكر في خديجة ، اختفى وجهها ، وبقي وجه امه ، وحده ، امامه. اخذ خيرون ينظر الى وجه امه ، فلم ير في وجهها ما يدل على انها قد ماتت فعلا. فقط هو الان اكثر هدوءا واكثر بياضا ، كانها اغتسلت بماء سحري ازال عن وجهها كل غبار الهم والسنين الوعرة ، فهي تبدو كطفولة نائمة ، حالمة ، وهي تبتسم ، والوشم الذي على ذقنها عادت اليه خضرته الاولى ، فهي تبدو اجمل من جميع نساء الارض ، بفضل هذا الماء الذي به ، اجمل من جميع نساء الارض ، تبدو . اخذ خيرون ينظر الى وجه امه بامعان ، ان روحها الان في البرزخ ، وغدا ستغادره الى الجنة ، ستجتاز القبر بنجاح ، وستتحول روحها الى طائر اخضر ، وستظل تنتقل من زهرة الى زهرة ، حتى تقوم القيامة. وراى نفسه ، غدا ، واقفا عند قبرها ، بين ابيه واعمامه والفقهاء ، رائحة الكافور والثوب الجديد والتراب المحفور تدخل عبر مناخرهم المشعرة لكنهم لا يشمون ، وهم يرفعونها ليحطوها في الحفرة الضيقة ، وهم يهيلون عليها التراب ، هم يقراون عليها يس وطه ، وهم يلقنونها الاجابة بصوت عال ، عال .. كتلميذ .. لكنها لن تكون في حاجة الى ذلك. ورأى نفسه غدا يطوف تائها في ارجاء دارهم القديمة تترصده عيون النساء وبنات امزدوي واعمامه واولادهم والفقهاء . الفقهاء بوجوههم المغبرة وعيونهم المتفرسة ولحاهم القصيرة وجلابيبهم الصوفية واظافرهم القذرة وضجيج اصواتهم وحركات رؤوسهم وهم يقراون القرآن وهم ياكلون اللحم ويشربون الشاي ويتقاسمون النقود ويتبادلون الاخبار ويحزقون ويفسون ولا يبالون ، هل ياكل معهم ؟هل يشرب ؟ هل يقرا ؟ وهم ينصرفون واحدا فواحدا ، وها هم يعودون ، هو وابوه واخوه ، الى دارهم هذه ، والشمس على وشك ان تغرب ، فلا يجدون في استقبالهم غير ضوء الكهرباء ، وعيون الاخوة ، والفراغ. عيون الاخوة وضوء الكهرباء والفراغ . العيون والضوء والفراغ . وصوت الراديو . وهذه الابتسامة التي على شفتيها . وهذا البياض. وابوه ماذا يقول ؟ واخوه الن يسكت ؟ لم يكن خيرون ليسمع او ليهتم باي شيء من ذلك ، كان فقط ينظر الى هذه الابتسامة ، وهذا البياض ، يفكر في الغد ، وفي المرات القادمة التي سيعود فيها ولن تكون هي التي تفتح له الباب ، وفي القبلة التي طبع على فمها الدموي عنوة وفي نهديها الفائرين وفخذيها الفاجرتين وفمها الاسود. كان خيرون يحب خديجة ، وكان يكتب اليها رسائل لا يستطيع المنفلوطي نفسه ان يكتب مثلها ، رغم اعجاب خيرون بالمنفلوطي وجبران واعتبارهما من احسن الكتاب ، لكن خيرون وقد قرأ الف ليلة وليلة كاملة واكثر من مرة واهتمامه السابق بمغامرات القبطان تروينو وخابطو والفهد الاسود ورفاقهم وحبه لخديجة والاغاني الهندية لم يعد يشك في ان رسائله اليها رغم ما يمكن ان يكون بها من اغلاط ، رسائل لا يمكن لاحد ان يكتب مثلها وهي التي ستجعلها تفسخ سروالها في النهاية مهما مانعت الان . كان خيرون يحب خديجة وكانت خديجة تحب ايليا ابوماضي وكان خيرون قد صمم على ان يكون شاعرا افضل من ايليا ابوماضي .

في الباتيو ، اخذت دجاجة ما تقيق ، التفت خيرون ، كما كان يلتفت وهو في السيارة ، فراى وجهه في المرآة الماثلة ، وكذلك وجه امه ، وجانبا من جسم اخيه وابيه ، وراى ، واقفة بالباب ، الاخت الكبرى ، وعلى ظهرها الرضيعة ، مشدودة بفوطة صفراء ، نائمة ، وزليخة والاخ الاخر ، موسى ، بالقرب منها ، وخلفهم قليلا ، بدت اخت الام ، بوجهها الاحمر ، وجسمها الممتلىء ، هي ايضا واقفة تنظر ، من هناك ، دامعة العينين . وعبدالحق ، أين هو ؟ في الباتيو ، بالقرب من ساق الدالية ، يمنع الدجاج من النوم .

عاد خيرون ينظر الى وجه امه ، لكن الاب ، وقد اثاره انسحاب الابن الاكبر وعيون الواقفين بالباب والكوميدور ، اعاد الغطاء على وجهها . وقال يكفي ، فخرجوا عائدين الى الغرفة الاولى . عادوا الى الغرفة الاولى ، وجلس كل واحد منهم في مكانه السابق ، وعاد الاب يحكي ، والاخ يبكي . كان الاب يحكي لهم عنها ، وكان الضوء معتدلا في الغرفة ، وكان خيرون ينظر الى ابيه وهو يتكلم ، فيشعر بشفقة حقيقية نحوه . كان وجهه شاحبا جدا ، ومن حين لاخر كانت تصيب اصابعه الطويلة ارتعاشة مفاجئة ، واحيانا كانت تزيغ نظراته ، فلا تستطيع ان تعرف الى اي جهة ينظر بالضبط ، وهو نفسه لم يكن بامكانه ان يعرف الى أين هو ينظر ، الى اي جهة بالضبط ؟ كان واضحا ان اله اكبر من آلامهم جميعا ، رغم كل محاولاته لاخفاء ذلك . قبل ثلاثة ايام فقط ، عدت من المدرسة فوجدتها واقفة في الكوزينا ، ولم تكن قد قامت من الفراش ، منذ مدة ، فاستبشرت خيرا وسألتها عن حالها ، فقالت وهي تضحك : بخير ، وعندما عدت مساء ، اخبرتني بانها اغتسلت ، وتفقدت السدار ، ونبهت اختها (هل يمكن ان تصبح زوجته ؟ الا يفكران في ذلك ؟) الى اهمال لاحظته في الدار ، ثم تعشت كما لم ارها تفعل منذ مدة ، ورفضت ان تتناول دواءها ، وقلنا جميعا انها في طريق الشفاء . لكني كنت اعرف انها ستموت . كنت اعرف ذلك ليس فقط مما قاله لي الطبيب ولا من طول مدة مرضها ولا من كثرة الادوية التي دخلت الى جسمها (والله شاهد على انني لم ابخل وما كنت لابخل عليها باي دواء مهما كان ثمنه) ، كنت اعرف ذلك من ذلك ومن

(*) خيرون ، شخصية يتتبع المؤلف تطور حياتها وحياة البيئة التي تعيش فيها في اقاصيص مختلفة .

اشياء اخرى . كنت في المدرسة ، وكنت افكر فيها ، وفي مصير هؤلاء الاولاد اذا ماتت ، واقتربت من النافذة وانا اقرأ في سري آية، وقلت : ساطل ، وما ساراه سيكون فالا عليها . فماذا رأيت ؟حمالا يدفع امامه برويطا في داخلها شكارة بيضاء . وتلك الطائرة السوداء ؟ لم ينفعني معها قرآن ولا برهان . حاولت ان اتهرب منها دون جدوى . لم تتوقف حتى لطمتني على وجهي . وافقت وانا اشعر بوجهي يحترق . وقمت وكنت نائما هنا ودخلت عليها . كانوا كلهم نائمين . واشعلت الضوء فبدا لي وجهها هادئا وعيناها مغمضتين وظننتها نائمة ، غير اني سمعتها تقول دون ان تفتح عينيها : أهو انت ؟ فاجبتها بنعم وسالتها عما اذ اكانت تريد حاجة ، فقالت: نعم ، منذ مدة وانا انادي دون ان يسمعني احد ، اريد كأس ماء ، فاحضرت لها كأس الماء ففتحتعينيها وتناولت الكأس من يديوشربتها كاملة . ثم قالت : اجلس ، فجلست . وقالت هل أنت خائف ؟ فاجبتها بلا . فقالت له اريد ان تخاف ، اسمع ، اذا مت يجب ان تتزوج ، فاردت ان اقاطعها لكنها قاطعتني وقالت : اسمع اقول لك اذا مت يجب ان تتزوج ،انت موظف ولك اولاد ولا يمكنك ان تبقى أعزب ، لكن اياك ان تفرط في اولادي ، فقلت اوليسوا اولادي انا ايضا ؟ فقالت وهي تبتسم : اعرف ذلك لكن من يدري كيفستعاملهم المرأة التي ستاخذها ؟ فقلت المرأة التي يمكنها ان تصرخ في وجه اولادي لم تخلق بعد . وبقينا نتكلم هكذا حتى الصبح ، حتى طلع النهار وذهبت الى المدرسة ، ولم اشا ان اخبرها بالحلم الذي رأيته في منامي . وما زال منظر الطائرة امامي ، كأنني قد رأيته منذ لحظة فقط .

كان الاب يتكلم بصوت يحاول ان يجعله هادئا قدر الامكان ، ومن حين لاخر يرفع يده الى عينيه ربما ليمسح بها دمعة قبل ان تطل في العين . كانت عيناه حمراوين . وكان الاخ ينصت رغم بكائه باهتمام، ينصت ليعرف كيف يقيس فيما بعد . واخذ الاب يحكي عن احلام اخرى . عن امه واخته ومجموعة اخرى من الموتى وزغردتهن هنا. وكان خيرون يرى كل ذلك بوضوح . ودخلت اخت الام بصينية الشاي ، وضعتها على الطاولة المستطيلة وخرجت ، محتقنة الوجه . لا تشبه امي في شيء . طالب الاخ برفع الصينية . لم تكن لديه رغبة فيشرب شيء . قال . وكان الدمع يجري من عينيه بسهولة استغرب لها محمد خيرون . كامرأة ، مد الاب يده الشاحبة الى البراد واخذ يكب ، مع ذلك . هو يعرف ، السفر متعب ، والشاي منعش . وخيرون لا يحب الشاي كثيرا ، ومع ذلك فهو سيشرب هذه الكأس . بخار متصاعد، وخرخرة لا تشبه خرخرة السيارة ، لكنها تذكره بها . لكنه ليس في حاجة اليها ليتذكرها . ان الذكريات مثل العلك . وهي ضد النظام ايضا . وها هوذا في السيارة من جديد . جالسا جنب اخيه ، ملاصقا للنافذة ، والكل صامت ، ما عدا السيارة ، ورائحتها لا تزال عالقة بحلقه ، وهو يتابع بنظره حركات راس رجل نائم ، تتارجح يمينا وشمالا ، تصطدم بالحديدة التي في ظهر المقعد الامامي احيانا ، فينتبه لحظة وسرعان ما يعود الى نومه ، وهو يفكر في خديجة وامه ، تختلط الصور احيانا ، تختفي وتعود ، تتكرر ، تحرن مثل هذه المناظر التي تبدو من النافذة ، وثمة رغبة في القيء وراء ذلك كله .متى ماتت بالضبط ؟ حوالي الحادية عشرة . كنت في المدرسة ،حين انفتح باب القسم فجاة وظهرت اختك . بمجرد ان رأيتها عرفت ، شعرت بغمامة على عيني ولا أعرف ماذا قلت للمدير بالضبط ، وخرجت وانا لا اكاد أبصر الطريق ، ووجدتها تتنفس بصعوبة ، والعرق يغطي وجهها ،وتلك علامة المؤمن ، وعندما انتبهت لوجودي قالت لي بانها تموت ، وطلبت مني ان اسمح لها وان اهتم بكم ، واخذت ابكي ، ولم اكن في حاجة لان اذكرها بالشهادة ، فقد اخذت تستشهد من تلقاء نفسها ،وكان العرق يتصبب منها كما لو انك افرغت عليها بئرا من الماء وشيئا فشيئا ، اخذت حركاتها تقل ، والعرق يجف ، حتى جف تماما،وهدات تماما ، وهكذا ماتت والابتسامة على وجهها كما رأيتم ،والشهادة على فمها ، فرحمة الله عليك يا رحمة وانا لله وانا اليه .

حوالي الحادية عشرة اذن ، وحوالي الثالثة وصلنا التلفون ، دخل دون ليون ، وقبل ان يدخل دون ليون ، كنت اجلس وراءها وكنت انظر الى شعرها الاسود واشعر برغبة لا تقاوم في ان اجدها منه ، ومن حين لاخر انخسها باصبع في ظهرها فلا تقدر ان تلتفت وتنتظر الاستراحة لتوبخني ، لكني كنت اعرف ان ذلك يعجبها وانها تمثل فقط ، ولم اكن انتبه الى حرف مما ينشده مدرس التاريخ ، ثم دخل دون ليون ، فوقفنا جميعا ، فقال لنا بالعربية ، وكان يهوديا يعرف العربية والاسبانية والفرنسية ، اجلسوا ، فجلسنا، وعندئذ رأيته ينظر في اتجاهي ، ثم طلب مني ان اجمع دفاتري وارافقه ، ففعلت ، وانا لا اعرف لماذا ، واثناء ذلك قال لمدرس التاريخ شيئا، ولم يكن بامكاني ان اساله لماذا ، وشعرت بوجهي يحمر وانا اغادر القسم ، دون ان اعرف لماذا ، وقبل ان اصل الى الباب، التفت نحوها ، فرأيتها تنظر الي بوجه جاد ، محمر ، وعندما اصبحنا خارج القسم ، وضع دون ليون يده على كتفي ، ورأيت اخي هذا من بعيد واقفا امام مكتبه وبصوت رقيق جدا قال او عاد يقول ان اباكم تلفن لكم وهو يطلب منكم ان تحضروا حوله لان امكم مريضة جدا .

وفي الرابعة كنا في بلنسيانا .

لكن كيف كان بامكانه ان يعرف انه يراها لاخر مرة ؟

(ولو عرفت ، ماذا كنت تفعل ؟)

كان يوم جمعة ، وكان ابوه قد اخبرهما في رسالة سابقة، بانه سياتي يوم الجمعة ، هو وامهما ، ليراها الطبيب ، هناك، وخيرون ما يزال يتذكر الفرح الذي بدا على وجهها ، وهي تدور بعينيها في ارجاء الغرفة الارضية الرطبة المظلمة التي كان يسكن فيها واخاه ، وهي تفتح الصاك وتخرج منه الدجاجة المقلية والبيض المسلوق وخبزة القمح المدورة الغليظة ، وهي تضع كل ذلك على الطيفور الدائري الاعرج ، وهي تدس في يده ورقة الرسالات العشرة خلسة عن عين اخيه . وقالت له مازحة : لقد كبرت ، ويجب ان تتزوج ، قال خيرون : لا ، انا لن اتزوج ، سالت : لماذا ؟ قال : لن اتزوج حتى اكبر واصبح غنيا ومشهورا . قالت : وماذا تريد ان تكون ؟ قال : وزيرا او سفيرا ، ولم يشا ان يضيف شاعرا ، قالت : وعندئذ ستتزوج ؟ قال : نعم ، قالت : وعندئذ ستنساني ، ستقول لك زوجتك : اما انا واما هي ، وستفضلها علي ، قال خيرون : لم تخلق بعد المرأة التي يمكنها ان تقول لي ذلك . العالم عامر بالنساء. قال الاب مازحا : ابحث لنا عن واحدة اخرى فقط . قالت : وعندئذ ستشتري لي اسنانا جديدة ؟ قال خيرون : ساشتري لك اسنانا ذهبية وخواتم ودمالج وساعة وكل ما تريدين واذهب معك الى الحج كل سنة في الطائرة واتجول بك عبر جميع المدن وفي سياراتي الخاصة . قال الاب : هكذا ، واذن انا هنا غير زائد . قال خيرون: وساشتري دارا ... قال الاب : قل سابني ولا تقل ساشتري ، ... دارا فخمة مليئة بالبيوت فيها السفلي والفوقي وحديقة فيها كل انواع الطيور والزهور وستأتون لتسكنوا معي فيها ، ومن يمرض آتي له باحسن الاطباء . قالت وهي تضحك : قل ان شاء الله . كانت تبدو مرحة طيلة النهار ، لكن حين اقتربت الرابعة ، ووضع ابوه رزمة الادوية في الصاك ، وطلب منها ان تلبس حوائجها ، تبدل شيء ما فيها . فعندما لبست جلابتها ، ووضعت اللثام على وجهها ، ولم يبق لها الا ان تضع النظارة السوداء على عينيها ، والصباط في رجلها ، واقترب منها ليطبع على يدها تلك القبلة التي تعود ان يودعها او يستقبلها بها منذ ان جاء للدراسة هنا ، طوقته فجاة بذراعيها ، طوقته بقوة واخذت تقبله بقوة وغزارة وحرارة ما سبق له قطا ان عهد مثل ذلك منها . وكذلك مع اخيه . وشعر بالخجل

والحرج وهو يتخلص من ذراعيها . ولم يستطع ان ينظر الى عينيها . وانذاك لم يعرف لماذا ، لكنه الان يعرف . الان يعرف ، الان يعرف لماذا اغتسلت قبل ثلاثة ايام فقط ولماذا تفقدت الدار كاملة ولماذا اوصت اباه بهم ولماذا قبلته هكذا . لكن كيف كان بامكانه ان يعرف انه يراها لاخر مرة ؟ . تذكرها وهي جالسة في السيارة الحمراء ، بلنسيانا ، بجوار ابيه ، لا يظهر من وجهها شيء ، مغطى باللثام الاسود والنظارة السوداء وقب الجلابة الاسود ، وهو واخوه واقفان على الطوار ، ينتظران اقلاع السيارة ، وابوه ، بطربوشه الاحمر ، عوض الرزة ، ينظر اليهما عبر الزجاج باسما . فيم كانت تفكر وهي تنظر اليهما عبر زجاج نظارتها الغليظ ؟ وفي الجهة الاخرى من الساحة ، كانت تقوم العمارة التي تسكن فيها خديجة . هناك ، في ذلك الطابق ، تلك النافذة نصف المفتوحة هي نافذة غرفتها . لم يكن بامكاني ان امنع نفسي من التطلع الى النافذة ، فهل كانت تعرف ؟. وكيف كان بامكاني ان اعرف ؟. كان عليك ان تعرف . ثقتك بالطبيب كانت اكبر مما ينبغي . والان ها انت تعرف . فحاول الا تنسى . وتذكرها قبل ذلك ، قبل ان يصبح ابوه موظفا وقبل ان ينتقلوا الى هنا ، تذكرها ايام الجوع . تلك الليلة ، كان القمر يلمع مثل خبزة قمح جهة المشرق ، وكانت هي تجلس امام الكانون تقلي سمكا اتى به ابوه من السوق . زردة . كانت تقلي السمك في صمت ، وكان خيرون يجلس غير بعيد منها يقرأ في لوح ، وعاد ابوه من الجامع ودخل الغرفة دون ان يكلمها . وكان خيرون يشعر بالجوع ويود ان يطلب منها سمكة . وفجأة ، رآها ترفع المقلاة من فوق النار وتلقي بها نحو الحائط ، ثم رآها تنقض على بقية الاسماك مثل قطة مسعورة وتطوح بها في جميع الاتجاهات في الفناء وخارج السور ونحو القمر وداخل الغرفة ، وهي تعوي ، وعندئذ رأى ابوه يخرج من الغرفة بشاميره الابيض وراسه العاري وينقض عليها ، حاولت مقاومته ولكنه بعد ان جرها الى الداخل من شعرها جثم على صدرها بركبتيه العاريتين وكم فمها بيد وباليد الاخرى اخذ يضغط على عنقها وهو يصرخ وعيناه جاحظتان اذا كنت مسكونة بالجن الاسود فانا مسكون بالجن الاحمر وجاء الاخ الاكبر يحاول مساعدتها فدفعه الاب دفعة جعلته يترنح بالقرب من الرحى ، وظل يضغط حتى توقف صراخها ، وحتى بعد ان اغمي عليها ظل يضرب فيها . ظل يضربها في بطنها وصدرها بكلتا رجليه حتى بعد ان اغمي عليها ، وعندما ادرك لا جدوى ذلك ، التفت باحثا عن اخيه ، لكن هذا كان اخف من قط ، وخرج هاربا من الدار الى الليل تاركا الباب الخارجي مفتوحا ، وعاد الاب بعد ان اغلق الباب واخذ يجمع من فناء الدار السمك المشتت وهو يقول : تعالوا لتتعشوا يا اولاد الحرام ، جعل الله عشاءكم سما ، تريدون قتلي ، ولكني ساقتلكم قبل ذلك . تلك الليلة ، لم يكن بامكان خيرون ان ينساها . وفيما بعد ، عرف ان امه كانت حامل في تلك الليلة . وكذلك لم يكن بامكانه ان ينسى ذراعيها وهما تطوقانه لاخر مرة ، وشفتيها ، وهما تطوفان بوجهه ، وهما هناك ، فوق وجهه ، وكأنهما لن ترتفعا ابدا من فوق وجهه . والان ما جدوى ان تصبح سفيرا او شاعرا ؟ ما جدوى ان تحبك خديجة او لا تحبك ؟ ما جدوى كل ذلك ؟ وتذكرها يوم دخل الجنود الخمسة ، هنا ، الى هذه الدار ، بثيابهم العسكرية الجديدة ورشاشاتهم اللامعة ، هذا قريب ، كانت تغطي وجهها بيديها ، وهي ملتفتة نحو الحائط ، وكان الجنود يفتشون في انحاء الدار عن الاسلحة ، ولم تكن هناك اسلحة ، وعندما تأكدوا من ذلك ، اقترب مني احدهم وسالني وهو يضع يده على رأسي : انت خائف ؟ فقلت : جائع ، فابتسم والتفت نحوها قائلا : ابنك جائع ، اعطيه الخبز، فلم تلتفت نحوه ولم ترد ، فقال لاصحابه هيا ، وخرجوا وهم يبتسمون، وتطلعت الى وجهها بعد خروجهم فلم اكد اعرفها . كان وجهها اكثر بياضا مما هو عليه الان . والان ، هي هناك ، ترقد باسمة ، حالمة، تنتظر يوم القيامة ، لنلتقي جميعا مرة اخرى ، في الجنة الخالدة ، بعيدا عن كل هذا الغبار ، هذا الغبار الذي يمكن ان نتذكره من حين لاخر ، حتى ونحن في الجنة ، ويمكن لاي واحد منا ان يحكي ما يتذكر منه ، حتى ونحن في الجنة . تذكر خيرون امه وهي تدور في فناء دارهم الاولى ، حافية القدمين ، تذكرها وهي تقتسم مع ابيه لباس السروال الوحيد ، هي في الداخل وهو في الخارج ، تذكرها وهي تشعل النار في التنور ، وهي تحلب البقرة في المستحم المظلم ، وهي تطحن في قلب الليل ، وهي تنثر الشعير للدجاج ، وهي تغمس السمك في الطحين ، وهي تحرك العدس ، وهي تحاول منع ابيه من ضربه واخوانه ، وهي واقفة بالقرب من المطمورة تنظر الى رؤوس اشجار الليل ، اللوز ، وهي تطلب منه ان يكتب لها حجابا كي يحبها ابوه ، وهي تحت ابيه ، وهي تصرخ من الام الوضع ، وهو يدخل عليها في تلك الظهيرة فيجدها مستلقية على بطنها عارية الساقين فيظنها نائمة فينحني على ساقيها ويأخذ في تقبيلها بقعة فبقعة دون ان يعرف لماذا ، وهي تصلي ، وهي تتوسل الى ابيه ان يذهب به الى الطبيب ، او يكتب له حجابا ، وهي ترش الهندية بالماء ، وهي تمسك بالكلاب وتقلع لنفسها بنفسها الضرسة المريضة ، وهي تنتقل من هذا الكوميدور لهذا الكوميدور، وهي تتشاجر مع اخته ، وهي تفتح له الباب وتسأله اين تأخر ، وهي تسعل ، وهي تبصق الدم ، وهي تطلب منه ان يتزوج ، وهي في السيارة ، وهي تبصق الدم ، وهي هناك مرة اخرى . تذكر خيرون كل ذلك ، تذكره في السيارة ويتذكره الان وسيتذكره حتى وهو في الجنة . هناك ، كان بامكانها ان ترى الشمس طيلة النهار، الشمس والسماء والنجوم والجوع والجبال والاشجار ومداشر بعيدة والابقار والماعز والحمير والافاعي والغربان واللقالق وطيور البنى والدود وكل شيء . هنا ، الكوميدور في الكوميدر ، والبيت في البيت والعتمة في وسط النهار والسقف هو السماء ، والدالية هي الغابة . لكن هنا الزليج والضوء كهربائي والماء في البزبوز . نعم . نعم ونعمة . وتذكرها وهي تلمس زر الكهرباء لاول مرة في حياتها ، مترددة وشبه خائفة ، وكانها تلمس الزر الذي سيفجر هذا العالم في لحظة . وتخيلها وهي لا تزال طفلة ، عذراء ، لا تعرف غير الشلحة ، لم تعرف اباه بعد ، رآها وهي في الطريق الى البئر ، وهي تفتح الباب لابيها العائد من البحر ، وهي تساعد امها على نفض الحصير بالهراوة ، وهي تلعب ، وهي في الحقل تقلع الزرع ، وهي تغني ، وهي تحلم بمن سيكون زوجها ، وهي تفكر في الحياة التي تنتظرها، وهي تضحك مثل عجلة والموت ما هو غير موجود لن اموت ابدا ، وهي تقترب من تلك الشجرة ، وسط مجموعة من البنات ، وانا فوق ، مختبىء بين اغصان الشجرة الكثيفة والاوراق ، وعندما تصبح تحتي مباشرة ، اقلع تينة بيضاء ، واضربها بها ، فترفع رأسها نحو الشجرة وتراني ، فتنفجر ضاحكة وتضحك معها بقية البنات غير اني لا اضحك . ورآها وهي مستيقظة في وسط الليل ، عطشانة ، والضوء مطفأ ، وابوه يحلم بالمدرسة والطائرات السود والموتى العائدين ، وهو راقد بجوار اخيه ، يفكر في خديجة ، وخديجة تفكر في الزواج من كولونيل ، وهي تضع يدا على نهد ، وباليد الاخرى تداعب الشعر الدائر بالجرح الذي بين فخذيها ، وهي عطشانة ، تفكر في حياتها الماضية ، جوفها يحترق ، تريد ان تتقيأ ولا تقدر ، تفكر في اولادها ، وفي المرأة التي ستحل مكانها ، تفكر ، تفكر ، تفكر ، تفكر ، وهي تعرف بانها ستموت ، وهي لا تريد ان يجدها من سيغسلها قذرة ، لذلك فهي تغتسل قبل ذلك ، وهي تريد ان ترى خيرون واخوه قبل ان تموت ، لكنها لا تستطيع ان تعلن ذلك ، هي تريد ان تراهما قبل ان تموت ، لكنها تعرف بان ذلك غير ممكن ، غير ممكن ، غير ممكن ، هي تريد ان تقول له شيئا ، قبل ان تموت ، لكن ذلك غير ممكن ، ورايتكما وانتما تدخلان علي يتقدمكما الاب دامع

العينين وها هوذا يزيح الغطاء من على وجهي ورايتكما تنظران الى وجهي وانتما تبكيان فحاولت ان ابتسم قبل ان اموت . فيا خيرون، لا تنس ان تقرأ علي سورة ، من وقت لاخر . لا تنس ، يا خيرون ، وتذكر كل ما فعلته معك ، تذكر يا خيرون ، تذكر ، تذكر ، تذكر ، ولا تنسى ان تقرأ علي من وقت لاخر ، سورة . فمن قتلك ؟ قال الاب :

ـ مالك تنظر الي هكذا ؟ .

شعر خيرون برغبة في ان يضحك . رآه جاثما على صدرها في شاميره الابيض ورأسه العاري فشعر برغبة في ان يضحك . واخذ الاخ يحكي عن اصوات واحلام قال انه من خلالها عرف بان امه ستموت ، وفكر خيرون بانه يكذب ، وانه في الحقيقة لم ير ولم يسمع اي شيء من ذلك ، انما هو فقط يريد ان يقلد اباه ، وطلب منه الاب ان يقلل من صراخه ، فهذا ما اراده الله ، وقال نعم ، عندها قلنا ذهب زمن الهم ، وفتح الله علينا بباب رزقه ، ها هي ذي تذهب ، لكن ما دمت لكم حيا فانا هو ابوكم وامكم ولن تخصكم ابدا حاجة . وقال انما المنكوب الحقيقي هو انا . وسادفنها بجوار ولديها وابي . وساظل اقرأ عليها حتى الحق بها ، وطلب منهم ان يدفن بجوارها ، وقال هذا ما اراده الله .

ظهر عبد الحق وسط الكوميدور ، حافي القدمين ، يتقدمه القط . اخذ ينظر الى خيرون بعينين واسعتين . قال له خيرون ، ادخل . سأل الاب : من ؟ . رد خيرون بانه عبد الحق . نادى الاب على هذا فدخل وجلس بجوار ابيه . ناوله الاب كأس شاي، وطوقه بذراعه وهو يقول : ما يفتت قلبي اكثر من اي شيء هو البنات ، عندما افكر فيهن اشعر كأن سكينا تشق قلبي ، انتم ، رغم كل شيء رجال ، وستكبرون وتنسون ، انا نفسي عندما ماتت امي بكيت حتى مرضت عيناي وكنت على وشك ان احمق ، لكني نسيتها بعد ذلك ولو اني لم انس القراءة عليها قط ... لكن هؤلاء البنات ...

في الخارج ، الظلمة ، غير ان الاطفال ما زالوا يلعبون في الزقاق وها هي ذي اصوات صراخهم تدخل عبر شقوق خشب النافذة الخضراء وتصل الى اذن خيرون بوضوح ، حتى انه لقادر على ان يتعرف على مجموعة كبيرة منهم ذكورا واناثا فقط من خلال اصواتهم. وشعر برغبة حارة في ان يلحق بهم . وفجأة قام . فرفع الاب نحوه عينين متسائلتين وقال : الى اين ؟. رد خيرون : لا شيء ، فقط اريد ان اراها مرة اخرى . قال الاب : اجلس ، او انتظر حتى اذهب معك . قال خيرون : لا . اريد ان اراها وحدي ، اريد ان اقرأ عليها سورة . قال الاب : لا ، انتظر . لكن خيرون لم يعد يسمع ، وقال: سأراها وحدي . وخرج ، ليلتقي في الكوميدور الثاني ببقية اخوته. وفي الكوزينا كانت اخت الام تهيىء العشاء . اخذ ينظر اليهم وحاول ان يبتسم . كانوا ينظرون اليه بعيون تائهة . قال : اريد ... غير انه لم يكمل ، اشاح بوجهه عنهم فجأة وقصد الباب . دفع الباب ودخل . انغلق الباب خلفه تلقائيا . الغرفة مضاءة ، وروائح الادوية نفاذة . اقترب من السرير ، وكما لو انه في حلم ، مد يده وازاح الغطاء من على وجهها . اخذ ينظر الى وجهها دون ان يصدق . بدا له كل هذا مجرد حلم . بدا له انه يلعب ، يلعب او يحلم . نعم ، مجرد حلم كل هذا ، نعم ، انا احلم ، ليس الا . واراد ان يضحك ، ليتأكد من انه فعلا يلعب ويحلم . مع ذلك ، فهذا هو وجهها ، وهذه هي الغرفة ، وهذا انا . ولا يمكن ان يكون كل هذا مجرد حلم .

هل يمكن ان يكون كل هذا مجرد حلم ؟ وجهها وانا والغرفة والنافذة والكاس والمشط والصندوق والادوية والثياب والاغطية والحصير والكفن والقفة والبطانيات والهيدورة والتليس والمرفع والمرآة والسجادة واليومية وادم وحواء وزليخة ويوسف وسليمان وجنوده واللقلاق والشجرة الغريبة ومحمد الخامس والسقف والكهرباء وصباغة الحائط والحمامتان ـ هل يمكن ان يكون كل هذا مجرد حلم

لا يا الهي اعدها حية وساعبدك طيلة حياتي اعدها الينا حية وساعبدك طول حياتي يا الهي انت قادر على ذلك ولن تخسر شيئا اذا اعدتها الينا فاعدها وساعبدك طول عمري وسانسى خديجة يا الهي اذا شئت ولن اكون وزيرا ولا شاعرا يا الهي فقط اعدها الينا وافعل بي ما تشاء اعدها اعدها اعدها وساعبدك كما لم يعبدك الجيلالي يا الهي امي امي امي . امتدت يده الى عينيها لمس خدها كان كمن يلمس قطعة زجاج . اذن فقد ماتت . نعم . ماذا ؟ . نعم . ولا تحاول ان تصرخ او تضحك او ما شابه ذلك فذلك كما لا تجهل لا جدوى منه. ولكنها لم تعش حتى . لا يهم . يكفي انها ماتت سعيدة ، عش انت. هل حقا ماتت سعيدة ؟. انظر الى وجهها . عاد خيرون ينظر الى وجهها . فما هذه النقطة السوداء التي على جبينها ، كعروس هندية ؟ حوم بيده فطارت ذبابة ضخمة . لكن شعرها ما زال نظيفا، وجسدها ، تحت اللحاف ، ضامرا ، وبدون شك ، نظيفا كوجهها. وشعر خيرون برغبة في ان يخلع ملابسه ، ويرقد بجوارها . يريد ان ينام بجوارها . يطفىء الضوء ، وينام ، عاريا ، بجوارها . وشعر بقلبه يدق بعنف ، وبالحرارة تصعد من جوفه الى وجهه، وعرق ساخن يهاجمه . لا . اخذ قلبه يدق بعنف ، وكان يشعر برغبة في ان يتقيأ ، وها هو ذا وجه خديجة يتراءى له ضاحكا ، تلك الضحكة القوية التي كانت تعيده بها اليها كلما لمست منه فتورا ، فشعر بالحقد نحوها ، حقد غامر وود ان تكون معه في تلك اللحظة لينهال عليها بالضرب حتى تموت ، شعر بالحقد نحوها ونحو كل ما كان يعرف ونحو هذا العالم كله بما ومن فيه . وشعر بالضيق ، وانه ، ولم يدر كيف ادرك ذلك ، على وشك ان يكرر ما حصل لامه تلك الليلة وهي تقلي السمك . وتذكر كيف عانقته لاخر مرة ، ورآها في صور اخرى ، وكان يعرف ان عليه ان يخرج ، فامه ماتت كما يموت جميع الناس ومع الوقت سينساها كما قال ابوه ، فليكن اكثر قوة من ابيه واخوته وليعتبر بما مضى . غير انه كان شبه واثق من انها ستفتح عينيها في اي لحظة ، فلا شك ان الله قد سمع دعوته وهو قادر رغم ان ذلك ليس من عادته ان يعيد اليها الحياة ولو للحظة فقط ليثبت له انه موجود وانه استمع الى دعوته ولم يهملها ، فاجعلها تفتح عينيها ولو للحظة حتى اعرف انك موجود ، هل تسمع؟ اجعلها تفتح عينيها حتى اعرف انك موجود ، هل تسمع ؟ هيه ، هل تسمع او لا تسمع ؟ عندئذ شعر بيد تحط على كتفه . التفت، فوجد نفسه في مواجهة ابيه ، كان الاب ينظر اليه بعينين حازمتين ، وكان وجهه يبدو حليقا جدا ، وبدا ان الحيرة التي كانت تبلل عينيه من قبل قد تبددت نهائيا . كان ينظر اليه بحزم ، وبعينين متفرستين ، وعلى شفتيه ارتسمت ابتسامة شبه قاسية . غير ان صوته كان لا يزال رقيقا ، وهو يقول له يكفي ، ويطلب منه مغادرة الغرفة ، حتى لا تتألم روحها ، وهي تراه على هذه الحال . وسأله : هل قرأت السورة ؟. وبدا في صوت ابيه ما يشبه سخرية . وحدق خيرون في وجه ابيه لحظة ، وكان يقف موليا ظهره لامه ، ثم قال : نعم ، ثم تخلص من يد ابيه ، ومضى خارجا ، ترن في رأسه ضحكة خديجة.

الرباط



علم التاريخ بين الهواية والاختصاص

بقلم عبد الهادي الكرادي

تتزايد في الاونة الاخيرة جموع الكتاب الذين يتطوعون لابداء رايهم في قضايا التاريخ الاسلامي ، مع ازدياد الاهتمام بالتراث ، والعناصر التقدمية فيه على وجه الخصوص . وبسبب الاغراء الذي تثيره المسائل التراثية مآل الكثير من الكتاب الى معالجتها بلهجةالمحترف المختص ولكن دون ان يمتلكوا خلفية وافية تخولهم حق اصدار القراءات في هذه المسائل الشائكة .. تضم هذه المجموعة من الكتاب صحفيين ومسرحيين ونقاد ادب وكتاب سياسة لم يسبق لهم معاناة الدراسة التاريخية ولم يصرفوا الجهد الكافي لدراسة اصول تفسير التاريخ ومراجعة المصادر التي تتميز – بالنسبة لتاريخ العرب والاسلام – باتساع هائل الى الحد الذي لا يسمح بالاحاطة دون التفرغ والتخصص، وهي مهمة قاصرة على المؤرخ المحترف ، الذي يجد من الاستعداد والقدرة على المثابرة ما يمكنه من تحمل المشاق التي تقتضيها مراجعة الاف المطبوعات والمخطوطات المتناثرة في مكتبات الشرق والغرب . من اجل ان يمتلك الاحاطة بمصادر بحثه ويكون على اتصال مباشر بالقضايا التاريخية التي يروم معالجتها .

ان الموجة الجديدة من الكتابات التاريخية تعتمد في الغالب على عدد محدود من المصادر القريبة التناول التي لا تثير قراءتها ضجرا لدى كتاب الصحافة ونقاد الادب ، وعلى اساسها يكون الكاتب وجهة نظر يشعر معها بان له حق التدخل في مشكلات على جانب كبير من التعقيد. وتأتي النتيجة اكواما من الاحكام الانطباعية يضعها الكاتب في مقابل الدراسة المتعمقة القائمة على التخصص والمعاناة .

دفعني الى تسجيل هذه المقدمة تعقيبات للسيد سامي خشبة نشرت في العدد السابق من مجلة الاداب حول بعض المؤلفات التاريخية التي صدرت اخيرا في مصر . والسيد خشبة ناقد ادبي ومسرحي معروف ولم تسبق له ممارسة الكتابة في التاريخ وهو لا يملك – كما يستدل من تعقيباته هذه – احاطة بالمصادر ومعرفة باصول دراسة التاريخ تسمحان له بالتدخل في هذه المشكلات . لقد توقف الكاتب على حدود منهج انطباعي يعتمد على مجموعة منتقاة من المصادر القديمة والدراسات الحديثة واصدر احكاما تحتاج الى وقوف طويل قبل ان تستجيب للحسم واليقين اللذين كتب بهما السيد سامي . وساشير الى الامور التالية كدليل على هذا المنهج المبتسر :

١ – قال الكاتب ان ابن ابي الحديد شيعي متطرف وانه اختلق بهذا الدافع بعض الاخبار التي يقصد منها تزكية علي بن ابي طالب في صراعه ضد معاوية . وهو هنا يعني رأيا لابي جعفر الاسكافي حول بعض الاعتبارات الاقتصادية التي تدخلت في الصراع . وقد فاته ان ابن ابي الحديد معتزلي لا شيعي ولكنه كان من ضمن المعتزلة الميالين الى علي وربما كان ذلك تحت تاثير راعيه ابن العلقمي . وبسبب شرحه لنهج البلاغة واتجاهاته المائلة لعلي وصفه احمد امين بانه « شيعي معتدل » وهو اقصى ما يمكن ان يوصف به مؤرخ معتزلي حاول الدفاع عن علي ابن ابي طالب دون ان يظهر ميلا للانتقاص من خصومه التقليديين : الخلفاء الراشدين والصحابة كما يفعل الشيعة في المعتاد . ومن المحتمل ان السيد سامي خشبة اطلق هذا الوصف على ابن ابي الحديد قبل ان يكمل قراءة شرحه المطول لنهج البلاغة لياخذ فكرة صحيحة عن موقفه الاعتقادي .

اما راي الاسكافي فهو ليس النص الوحيد الذي تحدث عن الاعتبارات الاقتصادية في الصراع بين علي ومعاوية . ولو اتيح للسيد خشبة ان يتوسع قليلا في دراسة تاريخ صدر الاسلام لوجد من الاثار والروايات حول هذا الموضوع ما يتجاوز اطار الشيعة والاسكافي وسيغنيه ذلك عن اتهام ابن ابي الحديد بصنع خبر له ما يماثله في العديد من المصادر العربية التي تناولت تاريخ الخلفاء الراشدين وصور الاسلام وتواريخ الفرق .

٢ – يقول سامي خشبة جازما ان نهج البلاغة من تاليف الشريف الرضي . وهذا الرأي ماخوذ من بعض المستشرقين الذين اعتمدوا على رواية ترجيحية لابن خلكان . وهو يرجع الى عدم الاطلاع على اصول نهج البلاغة في المصادر التي تسبق الشريف الرضي . ولو اتيح للقائلين بهذا الراي ان يتعرفوا هذه الاصول لامتنعوا على الاقل عن اتهام الشريف الرضي بتاليفه ولبحثوا عن مؤلفين اخرين يسبقونه بزمن اطول . ولمراجعة اصول نهج البلاغة في المصادر السابقة للرضي احيل الكاتب الى : كتاب مصادر نهج البلاغة واسانيده لعبد الزهراء النجفي وهو في اربع مجلدات والى بحث للكاتب الهندي امتياز علي عرشي بعنوان : استناد نهج البلاغة نشرت ترجمته العربية في مجلة ثقافة الهند لعام ١٩٥٧ . وهناك اشارات حديثة حول نهج البلاغة يتعين الرجوع اليها اذا اريد تكوين وجهة نظر متكاملة تستند على اساس علمي وهي متفرقة في مباحث المؤرخين المعاصرين يمكن للباحث ان يعثر عليها من خلال قراءاته .

٣ – عبر الكاتب عن شكه بكل ما في المصادر العربية الى الحد الذي يستحيل معه القيام باي بحث تاريخي بالاستناد الى هذه المصادر. ان هذا التشكيك هو في الحقيقة من نتائج الاطلاع على دراسات مجموعة معينة من المستشرقين الى جانب اننا نلمح فيه اثرا للفكرة العامية التي تقول (ان التاريخ كله كذب) وان المؤرخين القدماء كتبوا كلهم لارضاء السلطة . من الواضح ان المصادر العربية هي المرجع الوحيد لدراسة تاريخ الحضارة الاسلامية وعن طريقها وحدها استطعنا معرفة هذا التاريخ ، وبالاستناد اليها يتكلم المشككون فيها ، لانهم لا يملكون اي وسيلة اخرى على الاطلاق . ترى ماذا سيكون لو اردنا الغاء هذه المصادر بهذا الاسلوب الاعتباطي ؟ بالتاكيد اننا سنضطر الى الغاء هذه المرحلة من تاريخ البشرية وانكار وجودها التاريخي اصلا . وهذه نتيجة يمكن أن يصل اليها التشكيك في المصادر العربية تبعا للطريقة السائدة بل هي قد تجلت جزئيا في احكام غريبة اصدرها المستشرقون من وراء ظهر المصادر ، من ذلك مثلا انكار وجود محمد واعتباره شخصا وهميا اخترعه الامويون لايجاد سند ديني لحكمهم ومن هذا القبيل انكار تاريخ الامويين والادعاء بانه غير معروف ، استنادا الى ان التاريخ كتب في ظل العباسيين وهم خصوم الامويين (تاريخ الطبري كتب في ظل العباسيين وفي عاصمتهم بغداد) وقد كرس للامويين منه ما مجموعه مجلدان وللعباسيين مقدار مقارب اي بالمناصفة بين العباسيين واعدائهم ؟) ومنها ايضا انكار وثائقية القرآن . والقائمة تطول . والواقع ان التشكيك في المصادر يتيح للباحث الطعن في اي حادث او رواية يحريه لا يفيدها سوى مزاجه الشخصي . وقد عانى التاريخ الاسلامي من هذه الانتهاكات الشيء الكثير .

ان تحقيق وثائقية المصادر العربية هو بحد ذاته احد فروع علم التاريخ الاسلامي وهي مهمة تخرج عن اختصاص السيد سامي خشبة ما لم يتفرغ لدراستها وفق الاصول المتبعة في هذا الفرع .

ارجو ان تكون هذه الملاحظات كافية لحجب الكتاب عن استسهال دراسة التاريخ الاسلامي الى هذا الحد ، ودفعهم الى احترام حدود الاختصاص .

بغداد

النشاط الثقافي في العالم

انكلترا

من : شفيق مقار

اليهود وأوربا :

ما جوهر العرض المسرحي ؟ التواطؤ بين جمهور المشاهدين ، من جانب ، والمخرج وممثليه ، من جانب اخر ، يقوم اتفاق غير معلن . فهؤلاء وأولئك يقفلون على أنفسهم أبواب حيز مسقوف او مكشوف ، ينعزلون عن العالم اليومي وراء جدرانه وقتا ، ليندمجوا في نوع من اللعب الممتع ، يمارس خلاله المخرج وممثلوه عملية من الايهام بحدث يجري على خشبة المسرح ، وشخوص تفعل وتتفاعل على تلك الخشبة ، ويمارس المشاهدون من مقاعدهم عملية تقبل لذلك الايهام ، بالاندماج في الحدث ، وتقمص الشخوص . ذلك التواطؤ على خلق الوهم المسرحي ، وتقبله كما لو كان واقعا يحدث لحظة عرضه ، هو ما انصرف جهد كتاب كبرخت ، وبسكاتور ، وبيراندللو ، ووايلدر ، وغيرهم وقبلهم كثرة من فناني المسرح الصيني والياباني ، الى كسره ، والتخلص منه ، لاطلاق جمهور المشاهدين من اساره ، واتاحة الفرصة لهم كي يستخدموا عقولهم ، ويفكروا فيما يجري امامهم ، بدلا من ان يستوعبوا فيه .

ذلك الجوهر التواطؤي للعرض المسرحي معروف ومستخدم من قديم . فالكنيسة جعلت شعائر القداس الكنسي اشبه بعرض مسرحي كامل يبلغ ذروته الدرامية لحظة تناول القربان (أكل جسد الاله ، وشرب دمه) ، بل ويوقفنا تاريخ المسرح الاوروبي على ان الدراما الاوروبية نشأت أصلا من طقوس القداس ، تماما كما كانت منابع الدراما الاغريقية طقوسا دينية .

ومثلما فطن اليونان قديما ، والكنيسة بعدهم ، الى طبيعة العرض المسرحي ، وامكانيات ذلك العرض في « الاقناع » و « التوصيل » ، فطنت الى أهميته في ذلك المجال العلوم الاجتماعية المعاصرة ، وبخاصة فروعها التطبيقية المشتغلة بالاعلان ، والدعاية ، والاعلام .

ولعل نشاطا اعلاميا ودعائيا مما في عالم اليوم لم ينجح في استخدام العرض المسرحي وفنونه وأساليبه في توصيل الرسالة الدعائية والاعلامية ، والاقناع بها ، قدر ما نجح الاعلام الصهيوني .

ونحن عندما نتحدث في العالم العربي عن سيطرة الصهيونية على وسائل الاعلام في الغرب ، نميل ـ عادة ـ الى تصور تلك السيطرة (وربما كان ذلك بحكم التجربة والاعتياد) باعتبارها نتيجة للارغام والقهر ، عن طريق اصدار التعليمات الى الكتاب ، والصحفيين ، ودور النشر ، واجهزة الاعلام ، أو لوي أذرعة كل اولئك لكتابة وبث ما يريده الاعلام الصهيوني ان يذيع بين الناس ، ويندرج تحت بندي اصدار التعليمات ولوي الاذرع ، في ذلك التصور ، ما يستطيع رأس المال الصهيوني أن يمارسه من ضغط عن طريق ثقله الاقتصادي وشبكة اتصالاته المتداخلة في المصالح .

ولقد يصح ذلك التصور ، من بعض الاوجه ، خاصة ذلك الوجه المتعلق بالثقل الاقتصادي لرأس المال الصهيوني ، وتشابك المصالح . غير ان اليهود ـ فيما يفطن اليه المتتبع لالاعيبهم الاعلامية ووسائلهم الدعائية ، ابرع واعقل وأكثر حنكة وتمرسا من ان يقدموا على تحقيق سيطرتهم الاعلامية ومآربهم الدعائية باتباع تلك الاساليب العارية التي لا يمكن الا ان تنتهي الى صدام ـ مهما طال الوقت ـ مع اعتزاز الغربيين ـ كتابا وقراء ـ بمفهوم حرية القول ، وحرية التعبير عن الراي عن صدق واقتناع ، لا تحت وطأة قهر او ارغام أيا كان نوعه . ولا يسع أحدا ـ بطبيعة الحال ـ ان يقنع نفسه بأنه لا يوجد مرتزقة بالكلمة والرأي ، مثلما يوجد مرتزقة بالسلاح ، في كل مكان من العالم . غير ان الطبيعة الكلبية لمثل اولئك تجعل كتاباتهم ـ في اغلب الامر ـ مكشوفة ومريبة ، وربما ـ في نهاية الامر ـ ضارة للمصالح التي تكتريهم .

وانت عندما تجلس مستمعا لعدد من المثقفين الانكليز ، مثلا ، يتناقشون في شان من شؤون الحرب العالمية الثانية التي لا يكفون عن اجترار اصدائها ومصائبها ، يفجؤك ويذهلك اجماعهم التلقائي اللامتعقل على ان هتلر ـ بالدرجة الاولى ـ هو ذلك الرجل الشرير الذي قتل ستة ملايين من اليهود المساكين ، ولا تملك الا ان تسأل نفسك : « وماذا عن عشرات الملايين من الانكليز ، والفرنسيين ، والروس ، والالمان ، والطليان ، وسائر خلق الله ، من ضحايا هتلر ؟ هؤلاء لم يكن لهم حساب ؟ » ورويدا رويدا وانت تستمع الى اولئك الانكليز المثقفين النبلاء تفطن الى هذه الحقيقة التي لا تصدق : وهي ان هؤلاء الناس ، ابناء هذا الشعب العجيب صعب المراس ، الذي تحمل في جزيرته كل تلك الاهوال في حربه مع هتلر ، نسوا ـ او انسوا ـ تماما ، ان تلك الحرب كانت ، فيما يخصهم ، حربهم هم ايضا ، وان المسالة كانت متعلقة ، وهم محاصرون فوق جزيرتهم ، ببقائهم من عدمه ، ونسوا ـ أو انسوا ـ تماما كل خسائرهم وتضحياتهم ، وما تعرضوا له من مهالك ، ولم يعودوا يذكرون من امر تلك الحرب الضروس الا انها كانت ضد رجل مجنون أساء الى اليهود واغضبهم . ولا تملك الا ان تسأل نفسك : « يا لله . كيف استطاع اليهود ان يسرقوا تلك الحرب من الانكليز ؟ كيف استطاعوا ان يغسلوا لهم عقولهم الى هذا الحد الذي أنساهم تاريخهم القريب ذاته ، ولم يدع في ذواكرهم او ضمائرهم الا ذكر اليهود وهتلر ؟ »

والجواب على ذلك السؤال حكاية طويلة غريبة ، مهزلية مأساوية بحق ، ومليئة بالعبر والدروس ، قد يستطيع من يحاول تعقب بعض مساراتها الملتوية أشد الالتواء ، المتداخلة أشد التداخل ، المعقدة غاية التعقيد ، فيما كتب من أدب (وغير أدب) ، وما أبدع من فن واختلق من دعايات وحكايات منذ سني تلك الحرب ، وما زال ، حتى اليوم ، قد يستطيع ان يضع يده على بعض الوسائل التي اتبعها اليهود في تحويل انظار العالم اجمع عن مأساة من افظع مآسيه في حرب من أقسى حروبه ، ويركزوها على صراع اليهود مع هتلر (رغم كل ما احاط بحقيقة ذلك الصراع بين الفريمين الشبيهين : الصهيونية والنازية ، وغلف ابعاده من خبايا وأسرار لم تفسر غوامضها

المريبة حتى الان) ، بل واصابة شعوب اوروبا قاطبـــة بعقدة ذنب لا تمحى تجاههم ، والتوصل - من خلال ذلك - الى ضرب لم يسبقله مثيل في التاريخ كله من الارهاب الأخلاقي باستخدام السلاح البتار لتهمة « معاداة السامية » التي باتت مرادفة في الغرب لتهمة الخيانة العظمى وأكل لحوم البشر .

لكن ذلك مسعى طويل وشاق قد يتطلب عقودا او أجيالا باكملها ، واغلب الظن انه لن يترك ليوصل الى نتيجة كاشفة الا اذا اضعفت او كسرت قبضة الصهيونية الخانقة على ضمائر كتاب الغرب ومثقفيه وعقولهم ، وعلى جيوب الناشرين ، وان امامنا ، على أية حال ، في متناول اليد ، عرضا صهيونيا مثيرا ، يصلح عينة توقفنا ، بطريقة حية وآنية ، على بعض ما نحاول استجلاءه من اساليب الصهيونية في استعباد عقول الاوروبيين وضمائرهم ، وطمس بصائرهم ، مستغلة في ذلك الخصلة الاوروبية التي وصفها دستويفسكي بانها « عبودية اخلاقية للمشاعر النبيلة » ، ومستخدمة وسائل العرض المسرحي وادوات الاقناع بالعمق ، فكل ذلك ماثل تحت أسماعنا وأبصارنا في المهرجان البهلواني الصهيوني الذي صاحب زيارة فرقة البولشوي السوفياتية للندن .

مسرح خارج المسرح :

قدم البولشوي موسما حافلا ، على مسرح الكوليزيوم بلندن ، في الفترة من ١٢ يونيو ، الى ٢٠ يوليو ١٩٧٤ ، تضمن من روائع الفرقة « بحيرة البجع » ، و « كسارة البندق » ، ثم «سبارتاكوس» ، و « دون كيشوت » ، واخيرا « جيزيل » المغرم بتقديمه باليه القاهرة . ولقد جاء موسم البولشوي كالدرة المتالقة وسط عروض الباليه بلندن ، وهي عروض قدمتها الفرقة الملكية للباليه ، على مسرح نيو فيكتوريا ، وباليه شتوتغارت ، وغيرهما .

ومنذ أعلن عن موسم البولشوي ، وقبل ان تصل الفرقة الزائرة بوقت طويل ، اقام خبراء الاعلام الصهيوني ضجة ما بعدها ضجة حول الزيارة ، بحجة الدفاع عن حق راقص الباليه الروسي (اليهودي) فاليري بانوف وزوجته الروسية الراقصة جالينا ، وغيرهما من اليهود السوفيات ، في الهجرة الى اسرائيل . وبطبيعة الحال ، سارعت نقابة الممثلين البريطانية (Equity) ، فعارضت الزيارة طالما ظل بانوف وزوجته في الاتحاد السوفياتي ولم يسمح لهما بالذهاب الى اسرائيل ليرقصا هناك . والان وقد قال الاتحاد السوفياتي للراقصين : تفضلا ، أريانا عرض أكتافكما ، وطار الاثنان الى « ارض الميعاد » ، باخت الضجة وانكشف سخفها وخواؤها وما فيها من افتعال ، لان الاثنين لم يجدا ما يفعلانه هناك ، وها هما ياتيان الى لندن ، لا « ليقولا للشعب الانكليزي شكرا » (!) كما تصر وسائل الاعلام الغربية باستماتة غريبة ، ولكن (في اعتقادنا) ليبحثا لهما عن عمل في لندن او غيرها من العواصم الاوروبية ، بعد ان اكتشفا ان ذهابهما الى « ارض الميعاد » كان غلطة بلهاء ، وانه لا مكان لهما هناك وهما اللذان تخرجا في مدرسة الباليه السوفياتية رفيعة المستوى . وتلك الهجرة الثانية ، الى عواصم الغرب هذه المرة ، هي ما يجري التمهيد له الان بحرص ، في محاولة يائسة لحفظ ماء الوجه، بعد الضجة الكبرى التي قامت حول حقهما في الهجرة بفنهما الى اسرائيل .

غير ان هذه اشياء لم يكن يفكر فيها احد قبيل زيارة البولشوي او اثناءها ، ولذلك فان قيامة حقيقية قامت حول الفرقة الزائرة ، وانقسم الراي العام الانكليزي حول تلك الضجة ، بين مؤيد وممتعض، ولعل اصوب ما قيل وقتها جاء من قارىء عادي ، كتب الى صحيفة « الغارديان » (١٢ يونيو) يقول : « نشرتم افتتاحية يوم ١٠ يونيو تدعون فيها الى مقاطعة الفنانين السوفيات نظرا لان الروس يحرمون اليهود السوفيات من الحق في الاختيار بين البقاء في الاتحاد السوفياتي او الهجرة لاسرائيل . ولما كان الحق في اختيار الحياة داخل فلسطين او خارجها محرما على الفلسطينيين ، فهل ترون اننا يجب ان نقاطع الفنانين الاسرائيليين ؟ المخلص ك.ف. جونس - موردن - صري » .

والحقيقة ان موقف أجهزة الدعاية ووسائل الاعلام المحتدمة غضبا « لحق » ذلك الراقص وامراته في الحياة داخل روسيا او خارجها بدا قميئا ومكشوفا وزريا ، لان ادعاء الدفاع عن الحريات والقيم الانسانية افصح عن سخرية كلبية مقيتة ، خاصة وان تلك الاقلام التي كتبت وانتفضت غضبا كانت قد هللت قبلها بقليل لطائرات الفانتوم الاسرائيلية وهي تتنزه رائحة غادية فوق مخيمات اللاجئين الفلسطينيين بجنوب لبنان لتحصد الفلسطينيين ، ومظاهرات الفنانين والمثقفين الانكليز وقتها ، كمظاهرة نقابة الممثلين التي سار فيها جيلجود وغيره دفاعا عن بانوف كانت صارخة في تعبيرها عن اخذ الامور بمعيارين اخلاقيين . وكما كتب قارىء انكليزي اخر لصحيفة « التريبيون » : « يقتل الالاف ، وتموت الملايين جوعا ، فلا يحرك احد ساكنا ، ويريد راقص ان يهاجر من وطنه ، ولان الراقص يهودي، تقوم الدنيا فلا تقعد ؟ » .

لقد حرك الصهيونيون المظاهرات ، وحاصروا المسرح ، ودخلوه واثاروا الشغب به ، وأشعلوا حرائق بالقرب منه ، وساقوا عددا من بنات الهوى في ثياب السجن المخططة ليستقبلن فناني البولشوي بلافتات تدعو الى اطلاق سراح اليهود المحبوسين في سجن الاتحاد السوفياتي ، واقاموا حول زيارة الفرقة السوفياتية سركا حقيقيا ، ومسرحا خارج المسرح ، لم يكن أهون من ظهروا على خشبته شانا الصحفيون والكتاب والفنانون الذين جندت اقلامهم ومواهبهم في عملية « بلطجة » مشينة ضد فرقة من الفنانين جاءت تعرض فنها على الجمهور البريطاني ، ومع ذلك ، فهل نجح الصهيونيون ، وهل خسر البولشوي ؟ اعتقادنا ان العكس صحيح . فمن ناحية ، يبدو ان بانوف وامراته لن يقيما بفنهما في اسرائيل ، وتلك في ذاتها هزيمة لمن خططوا لهذه العملية ، اللهم الا اذا قبل الراقصان التضحية وظلا ، بغير فن ، في اسرائيل ، لاغراض الدعاية . ومن ناحية اخرى ، فان الامتعاض الذي أحسه كثير من البريطانيين ازاء ما حدث كله أتاح لهم ان يعاينوا ، وان يناقشوا - ربما لاول مرة - حق اليهود في الامساك بعنق الضمير البريطاني وقطع الطريق على عقول البريطانيين بهذه الطريقة ، وبتواطؤ من الصحف ووسائل الاعلام . والحقيقة انه لو كانت للعرب قدرة على الاعلام المستنير في أوروبا (خاصة وان اموال العرب المتدفقة كالسيل على بنوك اوروبا تدحض حجة التواري وراء القول بالسيطرة الكاملة لرأس المال اليهودي الان على وسائل الاعلام الغربية) لكان ذلك الاعلام قد وجد في كل ما أقدم عليه الصهاينة من بهلوانيات اثناء زيارة البولشوي مادة خصبة لكشفهم وتعرية جانب من اساليبهم امام الراي العام البريطاني . لكننا نحلم ، فيما نظن .

والاهم من ذلك كله ، في حساب المكسب والخسارة في معركة البولشوي هذه ، ان الفرقة الزائرة خلبت ألباب البريطانيين ، رغم كل ما أثير حولها وما وضع من عراقيل في طريقها ، وقدمت موسما ناجحا ومشرفا . ومما ينبىء عما اثارته الفرقة من اهتمام لدى الجمهور البريطاني ، ان راقص الباليه البريطاني ريتشارد كولينز ، خريج ايتون ، واكسفورد ، ومدرسة الباليه الملكية ، نشر في أعقاب الزيارة كتابا بعنوان « وراء ستار البولشوي » ، الناشر (Kimber) يروي فيه تجربته اثناء فترة تدريب قضاها في صفوف الفرقة السوفياتية العظيمة . ورغم ان الكتاب يباع باربعة جنيهات ، وانه واضح من اسلوب كاتبه التعجل ، وعشوائية اختيار المادة ، عملا على ركوب الموجة الاثارية التي خلقتها الزيارة ، فان الاقبال على شرائه يكاد يضعه في قائمة الـ Best Sellers

بحيرة البجع :

كان حفل افتتاح البولشوي بمسرح الكوليزيوم يوم ١٢ يونيو اشبه بمعركة داخل مدينة محاصرة . فقد تحلقت طوابير اليهود حول المسرح بلافتاتها قبل بدء العرض ، وطواله ، وقام الطلبة الفلسطينيون

والعرب بمظاهرة مضادة لاعلان ترحيبهم بالفرقة العظيمة ، وتكاثر الحراس المسلحون على ابواب المسرح ، رغم ان الحراسة المسلحة هذه نشاز غريب في لندن ، وداخل المسرح ذاته اقيمت حواجز في الالواج الجانبية والامامية ، واتخذت احتياطات عديدة لمنع المشاغبين من الصعود الى خشبة المسرح ، او اثارة متاعب في الصالة . غير ان ذلك لم يمنع من استمرار المسرحية الصهيونية داخلا ، في تلك الليلة، وفي ليال اخرى . والحقيقة انه بدا ان الذين نظموا ذلك السيرك المزري لم يكونوا مهتمين بازعاج الفرقة الروسية قدر اهتمامهم بالقول للشعب الانجليزي : ((انظر ! نحن اصحاب اليد الطولى هنا !)) ولقد نفذ ذلك المعنى الى بعض العقول التي لم تطمسها الدعاية الصهيونية التي لا تهمد لحظة ، لان اصواتا كثيرة ارتفعت معترضة على كل ذلك الذي دبر ونفذ ، غير ان السواد الاعظم من الذين شهدوا ذلك العرض الصهيوني كانوا مندمجين فيه تماما ، ومتواطئين مع مخرجيه وممثليه .

ولم يكن غريبا ان يبدو العرض الاول ، في تلك الليلة الحافلة، لباليه ((بحيرة البجع)) ، مهزوزا بعض الشيء . وقد قدمت الفرقة رائعة تشايكوفسكي المشهورة بالعرض ، الذي وضعه مديرها الفني ، يوري جريجوريفيتش عام ١٩٦٩ ، وشهده جمهور لندن لاول مرة، وقام بدور الامير فيه الراقص ميخائيل لافروفسكي ، وقامت بدور ملكة البجع ، الاميرة المسحورة ، وبطبيعة الحال ، بدور بنت الساحر ، الراقصة ناتاليا بسميرتنوفا ، وقام بدور الساحر ميخائيل جابوفيتش.

وبينما موسيقى تشايكوفسكي تملا القاعة ، وتستوعب المشاهدين، وتأسرهم ، وترفعهم ، والعرض يبهرهم وينقلهم الى عالم اخر من الصفاء والمتعة ، تراجع وانسحب وغام كل ذلك الذي ظل يجري خارجا ، وباتت الكراهية التي كان ينطق بها اشبه بحلم رديء . ورغم ان العرض لم يكن فائق الروعة ، فان التصفيق الحاد المتواصل الذي قوبل به ، والحماس الذي ابداه الجمهور الانجليزي الذي يبدو في معظم احواله مكبوح الجماح ، كانا تعبيرا حيا عن ذلك الاحساس عينه، احساس التوحد ، من خلال الجمال ، والافلات ، لمدى لحظات بالغة العمق والشدة ، من الدارج المبتذل الكابي الذي يطمس كل حس ، والاطلال على عالم ارحب ، واكثر صفاء واشراقا ، تبرق فيه ، خطفا، كومض شرار ، امكانية مبهمة غير محددة ومترعة بالشوق ، يهفو اليها القلب المثقل بكل ما يحوطه من قبح ، وكراهية ، وشر ، لا تهمد كلها لحظة . غير ان اولئك الذين رفعهم النغم والحركة بالداخل لحظة ، ما لبثوا ان سكبت صفوف اولئك الممثلين الاخرين الذين وقفوا في انتظارهم خارجا ، ماء باردا على لحظتهم المتوهجة فاطفاتها بين صيحات ميلودرامية متشنجة تردد ((يا للعار)) !

وباليه ((بحيرة البجع)) من التجارب المتكررة الجميلة في حياة من يستهويه ذلك الفن ، تماما كبعض حكايات الطفولة التي يظل الصغار يسمعونها ، ويطلبونها ، ويسمعونها من جديد ، فلا يملون من تكرارها، لانها تبيت جزءا مشرقا من عالمهم . ومثلما يحور كل رواية ، ويبدل ، ويتصرف ، ويضيف ، وهو يروي تلك الحكايات ، يفعل من يعدون عروض الباليه ويخرجونها . والعرض الذي شهدته لندن من اعداد يوري جريجوروفيتش اتصف بكثير من ذلك التحوير والتصرف . ولقد اشتكى جريجوروفيتش ، في مؤتمره الصحفي الذي عقده قبل عرض الافتتاح ، من ان متعهد الحفلات الانجليزي تمسك بتقديم عروض بعينها من ريبرتوار الفرقة ، وان تمسكه اتصف بالمحافظة و ((الخوف من المغامرة)) . ولقد بدا جريجوروفيتش كما لو كان مستاء من ذلك ، وربما اراد ان يقول لجمهور لندن انه لو ترك وشانه لقدم الى ذلك الجمهور باليهات افضل واجمل . وربما كان ذلك السبب في تصرفه الذي لم تخطئه العين في بحيرة البجع . واعتقادنا انه تصرف اساء الى الباليه ولم يخدمه . وربما تصور جريجوروفيتش انه بذلك التصرف اقترب من مفهوم الباليه المطور الذي يقترب من الاساليب التجريبية للمسرح الحديث ، لانه اوشك ان يلعن ((الحدوته)) تماما، بحيث بدا الباليه اقرب الى عدد من اللوحات الراقصة التي لا يربط بينها الا خيط شديد التراخي من العناصر الاساسية ((للقصة)) . وكما تصرف جريجوروفيتش في المعمار الدرامي للباليه ، تصرف في الرقصات ، وفي تقديم الشخوص وتاخيرها (كشخصية الساحر التي اوشك في هذا العرض ان يغتصب دور البطولة من الامير) .

القصص

تابع المنشور على الصفحة ١٦

بالذات . لقد جعل مثلا لوحة المظاهرة تضم الكادحين ((الذين لوحتهم الشمس)) والذين تفضح عيونهم ((مخاوف تنتشر كالماء)) ، كما تضم الشباب المتحمس والكهول والصبيان وحتى الاطفال . خارج اللوحة، على شرفة ـ من فوق ـ ، جلست امراة هانئة تستند الى سور حديدي تراقب وتسأل الخادمة عن ((قالب الكيك .)) . لقد رسم الكاتب هذا المشهد ، ولم يعلق عليه . ولكن هذا التمايز بين المستويين ، في اللوحة الواحدة يفضح عقائدية الكاتب : ان الطبقة المنعمة، ستظل خارج هموم الرفض ، خارج المظاهرة وبالتالي خارج الثورة .

ثم ان الكاتب ـ بالرغم من حياده الظاهري ـ لا يبدو مباليا ازاء عملية الرفض . ان نواياه تتسرب الى الشاب الذي هو المحرك العضوي لتطور القصة والمحرك الفعلي لروح الثورة في آن واحد ، تلك الثورة التي تطفو كحلم ضبابي ، كملامح غائمة ، يختلط فيها الوف الرجال الذين سقطوا في الماضي ، في مظاهرات مماثلة مع الوف المتظاهرين الان مع الوف الذين سيتظاهرون ((ليدقوا ابواب المستقبل)) .

هذا الاسلوب في التعبير ، يحمل مغامرة . فالكاتب ، ابدا كان معرضا للسقوط ، معرضا للتدخل . ولكنه يحافظ ، حتى النهاية على حياده . من اجل ذلك هو يعتمد على الايحاء ، وعلى التركيز الشديد ، وعلى القاء اضواء سريعة وباهتة ، تاركا للقارىء تنوير الاحداث واكتشاف ابعادها وما وراء تلك الابعاد . واهم عناصر الايحاء يتركز هنا في الحوار الموجز ، اللاهادف ظاهريا . من ذلك مثلا ، الحوار الدائر بين الرجل الخمسيني والطفلة . الطفلة تحب الاشتراك في المظاهرة . ولكنها لا ترى شيئا . الرجل يساعدها ويرفعها ((فتستقبل الطفلة مكانها بفرح غامر)) . بذلك الايحاء الرائع، يدخل الكاتب جيل المستقبل في عملية الثورة . كذلك يجعل بهذا الجواب ((نعم ، انظري الى هناك ، كيف يصعد ذلك الشاب ليهتف)) خلفية الثورة ، واسسها الراسخة في الجيل القديم من الكهول ، واعتبار الشباب الجدد امتداد طموحهم القديم ، وتحقيق الحلم الذي من اجله شردوا وسجنوا وعذبوا واستشهدوا . كذلك يعبر الشاب الثائر عن رؤيته الثورية بهذه الكلمات القليلة ، المشحونة بالرموز : ((انني اتذكر ما حدث في الماضي)) .

ان هم هذه الامة ، يتغلغل حتى اعماق الفنان . لذلك، وبالرغم من الطريقة الفنية التي استعملها الكاتب ، والقائمة في الاساس على الكتابة من اجل الكتابة او الكتابة من اجل لا شيء بالرغم من هذه الطريقة ، فقد ظل ملتزما . ان الحياد التكنيكي لم يستتبع بالضرورة حيادا في الرؤية . ان محسن الخفاجي يعيش عصره ، في هذه القصة ، موضوعا وتكنيكا . وقد بلغ به التاثر ، الى حد لم يعد باستطاعته ان يظل متفرجا : فتدخل في اخر سطر من القصة حين قال : ((قال الشاب في نفسه ((سلاما ايها النافخون على ابواب المستقبل)) .

صحيح ان هذه العبارة قد نطق بها ((الشاب)) في القصة ، ولكننا لا نستطيع ان نستبعد منها طيف الكاتب نفسه ... وقد كان من الافضل ، فنيا ، ان يستغني عنها ...

بيروت

النشاط الثقافي في الوطن العربي

مراسلي «الآداب»



شؤون الثقافة في لبنان

اقام اتحاد الكتاب اللبنانيين مساء ٢٢ آب الماضي حفلة تكريمية لرئيس الحكومة الاستاذ تقي الدين الصلح لمناسبة منح الاتحاد مساعدة مادية لاقامة « ندوة المجلات الادبية في اسيا وافريقيا » في بيروت ، اوائل كانون الاول ، ديسمبر ، القادم .

وقد القى امين عام الاتحاد الدكتور سهيل ادريس الكلمة التالية التي رد عليها دولة الرئيس الصلح .

يريد اتحاد الكتاب اللبنانيين ، في هذا اللقاء العائلي ، ان يحيي دولة الرئيس تقي الدين الصلح على بادرة ايجابية قلّما تنبه الى مثلها المسؤولون عندنا ، وهي الاهتمام بالشان الثقافي والادبي في لبنان .

وقد تجسد هذا الاهتمام في الاستجابة السريعة لمطلب تقدم به الاتحاد حين زار وفد منه دولته ليعرض معه بعض الهموم والشؤون التي تشغله ، وكان صديقنا وعضو الاتحاد الاستاذ منح الصلح قد مهّد لذلك بدافع من غيرته على الاتحاد وحماسته للنشاط الثقافي .

ان ندوة « المجلات الادبية في اسيا وافريقيا » التي يسّر دولته للاتحاد ان يقيمها قريبا في لبنان ، بفضل المنحة المالية التي اقرها مجلس الوزراء منذ فترة ، ستكون حدثا ثقافيا تسترد للبنان مظهرا من مظاهره التي لم تكن دائما موضع اهتمام المسؤولين ،على اهمية هذا المظهر في الحياة اللبنانية ، وهو مظهر لبنان الانفتاح الثقافي والاهتمام الادبي .

وسوف يجتمع على الارض اللبنانية في تشرين الثاني او كانون الاول القادم زهاء ثلاثين من رؤساء تحرير كبريات المجلات الادبية في قارتي آسيا وافريقيا ، يتناولون بالدراسة والتحليل دور هذه المجلات في النضال من اجل التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ، ويتداولون في المشكلات التي تواجهها الصحافة الادبية وسبل التعاون فيما بينها ، وهو موضوع هام لم يسبق لمؤسسة او جهة رسمية ان طرحته للبحث والتحليل . وسيكون للبنان ، عبر اتحاد الكتاب اللبنانيين ، وبتشجيع من الدولة ، فضل اثارته ، ليكون مظاهرة ثقافية هو بها جدير .

ولكن اتحاد الكتاب اللبنانيين لن يقتصر هنا على الثناء والتكريم، لانه يعرف ان هذه البادرة الايجابية هي دون مطامح لبنان الثقافية بما لا يقاس . فلا بد هنا من ان نعترف ونتصارح بما يشكوه المثقفون اللبنانيون من قلة اهتمام الدولة اجمالا ، ولا سيما في العهود السابقة ، بالشان الادبي عامة . ولئن كان بعض هذا التقصير يستدرك الان بما يحاول المسؤولون من تشجيع المؤسسات الثقافية ومنح الجوائز السنوية ، وان كان ذلك يتسم احيانا بعدم الدقة ، فان اي قطاع في الحياة اللبنانية يلقى من الاهتمام اضعاف ما يلقاه قطاع الثقافة والادب، وهو عنوان رئيسي من عناوين مجد لبنان في الداخل والخارج .

اننا نفتقد في لبنان تخطيطا ثقافيا يجند طاقات الابداع ، وهي غزيرة وفيرة ، في خلق ثقافة وطنية تكون على مستوى دور لبنان، منذ عقود كثيرة ، في النهضة العربية المعاصرة . ولسنا بحاجة الى التذكير بان هذا الدور الذي اضطلع به بلدنا منذ آل اليازجي والبستاني وجبران وشعراء المهجر حتى عمر فاخوري ورئيف خوري والياس ابي شبكة والاخطل الصغير ، يتقلص منذ ربع قرن تقريبا لاسباب ليس اقلها اهمال المسؤولين للشان الثقافي .

سيدي دولة الرئيس

ارجو ان تعذرنا ، وانت المثقف الذي لا بد ان يتحسس بما يعانيه المثقفون عندنا ، اذا استغللنا هذه الحفلة التكريمية لدولتك ، لنطالبك ونطالب المسؤولين من خلالك ، بايلاء الوضع الثقافي في لبنان مزيدا من الاهتمام والعناية . ان هناك مجالا واسعا لوضع تخطيط ثقافي سليم يمكن المثقف عندنا عامة ، والاديب خاصة ، من استغلال مواهبه كلها لخلق ابداع لبناني جديد يدعم البنيان الشامخ الذي اقامه مفكرو النهضة العربية الحديثة .

ان بالامكان وضع قانون لتفرغ الادباء يحول دون ان يبذروا طاقتهم في طلب وسائل العيش على حساب الانتاج الفني . وان بالامكان انشاء ادارة خاصة او حتى وزارة للثقافة تهتم بتشجيع آثار الادباء بنشرها وتوزيعها ، على غرار ما يجري في جميع البلدان العربية الشقيقة ، وان بالامكان تعضيد المؤلفين باقتناء مؤلفاتهم للمكتبات العامة التي وعدنا كثيرا باقامتها في كل قرية وضيعة ودسكرة ، فيتاح لنا بذلك ان نشرّع القراءة عندنا والمطالعة حاجة ضرورية لا يكون الانسان بغيرها انسانا سويا . بدلا من ان تظل واحدة من الكماليات التي لا يلجا اليها الانسان الا سدا لفراغ او دفعا للملل .

ان هناك اقتراحات كثيرة ليست هذه الا نموذجا لها ، وكنتم قد وعدتم يا سيدي الرئيس ، بتكوين لجنة تهتم بوضع مثل هذا المخطط الثقافي لمدى بعيد ، فحبذا لو بادرتم الى ذلك ، لا سيما وان فخامة الرئيس متجاوب ، كما نعلم ، مع كل بادرة في هذا الميدان .

شكرا لكم يا دولة الرئيس على ما قد تم من قبل ، ولكن الشكر سيتضاعف لدى جميع المثقفين اللبنانيين ، على ما ستقدمونه من بعد والسلام .

كلمة الرئيس الصلح

اراني سعيدا بان اكون بينكم ، هذا المساء ، لا انسا بجو الخلق والابداع وجمال الفن الذي تعيشونه فحسب ، بل استقواء بتلك الذخيرة من الصدق والمثالية وروح المبدا ونفحة الفكر والرؤى المستقبلية التي تلازم بالضرورة حياة القلم .

واية مهنة مسلوبة الرواء هي السياسة ان خلت ، في متاعبها وتقلباتها ، وفي هذا الاتصال اليومي الدائم بالمشاكل والاحداث ، من اشعاع تلك القوى المعنوية القادرة دون غيرها على ان تمنح الانسان الماء الذي يروي .

لقد رفضنا في الماضي ونرفض دائما اي مفهوم للسياسة لا يجعلها ذات مهمة قيادية في بناء الحياة الوطنية وفي خدمة الحرية والعدل .

نتطلع معكم الى المستقبل ، ولا يحد من هذا التطلع حتى الرضى عما حققناه من خطوات كنتم دائما طليعة المطالبين بها .

فالصفاء في علاقة لبنان بالبلدان العربية الاخرى ، الذي نسهر عليه باستمرار والذي يجيز لنا كما له ان نقول انه ليس هناك دولة عربية واحدة لا تقوم بيننا وبينها اليوم افضل الروابط ، هذا الصفاء ليس في نظرنا اكثر من اعادة للاوضاع الى طبيعتها ، بل انه الجو المطلوب لينطلق لبنان في القيام بالادوار الكبيرة ، التي يطمح اليها لنفسه وللعالم العربي باكمله .

وكذلك الاخوة المطلقة التي تطبع بصورة مضطردة علاقتنا بالمقاومة الفلسطينية وممثليها الشرعيين لم تكن بالنسبة الينا مجرد انجاز تطيب له النفس ، بل المناخ الضروري ليخدم لبنان فلسطين وحقوقها وامانيها

اجل خدمة .

اما الخطوات التي خطتها الدولة على الصعيد الاجتماعي كتعديل قانون العمل بما يكفل حقوق العامل ، والقضاء على المفهوم البالي للفظة فلاح واعتباره عاملا زراعيا مكفول الحقوق بقوة القانون، وتوسيع الضمان بحيث يشمل فئات واسعة جديدة من المواطنين ، ولتثبيت تكاليف المواد الغذائية الرئيسية كسياسة لانعاش القرية وتثبيت الانسان في الارض وبناء اقتصاد متوازن ، كل ذلك وغيره مما حققته هذه الحكومة يدخل في صميم طموحنا جميعا الى تجديد لبنان ذلك التجديد الحقيقي الاصيل الذي يتناول لا مظاهر التقدم فحسب ، بل طبيعة العلاقات القائمة بين فئات المجتمع اللبناني وبيئاته وطوائفه .

وعندما الغينا نظريا وعمليا طائفية الوظيفة فجعلنا كل الوظائف لكل الطوائف ، وعندما طبقنا في السنة الماضية للمرة الاولى مبدأ لكل تلميذ مكان في المدرسة الرسمية ، فلم يبق خارج المدرسة تلميذ واحد بسبب رفض المدرسة له ، كنا نطمح الى ان نسير خطوة ضرورية باتجاه تجديد لبنان .

اننا نشعر ان لبنان لا يستطيع ان يواكب ثورة الطاقات المادية والمعنوية القائمة اليوم في المنطقة العربية الا اذا جدد نفسه ولم يقتصر في فهم التحديث واللحاق بالعصر على الامور المادية وحدها .

فالمنطلق هو التجديد في العلاقات الاجتماعية من اجل تجاوز مرحلة الوحدة الوطنية بالمعنى التقليدي المعروف الى مرحلة الحياة الوطنية بالمعنى الصحيح والكامل .

والمنطلق على الصعيد الثقافي هو التفتح الحضاري من ضمن التراث الوطني وعلى افاق التراث الانساني كله .

ونحن حريصون على ان نقيس انفسنا لا بما فعلنا اليوم بل بما نفعل كل يوم ، بالتعاون مع كل القوى الخلاقة والمبدعة في المجتمع ليكون لبنان وطن الاصالة المتجددة ، او التجدد الاصيل .

وبديهي ، خاصة في العصر الذي نحن فيه ، وامام نماذج التحديات وطبيعة العدو الصهيوني على حدودنا ، ان القوة الحقيقية لاي مجتمع هي ، في النهاية ، قوته الثقافية ، بصفتها القاعدة لكل قوة اخرى . والاهتمام بالثقافة والمثقفين هو الميزان الادق لعمق ارادة الاصلاح والتطوير .

بيد ان المثقف نفسه يبقى ذا مهمة رائدة في هذا الحقل بالذات. وقضية الثقافة هي مسؤولية المثقف اولا ثم هي مهمة الدولة والمجتمع. لذلك نتطلع الى اتحادكم والى سائر اهل الفكر والقلم لنتقاسم معا شرف خدمة الثقافة وقضيتها في هذا الوطن . فلبنان المثقف هو البعد الاول للبنان السياسي ولبنان الاجتماعي ولبنان الاقتصادي بل للبنان بكل ما فيه من قيم واماني .

واذا كنتم تعتبرون مثلما اعتبر ان الحرية هي اسمى القيم في لبناننا وفي كل مكان ، فانني اقول لكم : ان الناس جميعا يستطيعون ان يشيدوا بالحرية ويتغنوا بها ، ولكن وحدهم الاوفياء للمثل العليا وللرؤى المستقبلية يستطيعون ان يخدموا الحرية ، ويملأوها بالمعنى الوطني والانساني النبيل الذي يجعل منها بالفعل ذلك الجناح القادر على الارتفاع بالاوطان والانسان الى اسمى المراتب .

ان الحرية لا تقوى وتضعف بمقدار ما يطلقها او يمنعها ذو سلطان ، بل بمقدار ما يعطيها الاحرار من نفحات القيم والمثل وبمقدار ما يخلصون في ظلها لخدمة الحقيقة والحق ولقضية بناء الانسان والوطن .

والمثقف لا يكون ذاته ولا يعيش صفته اذا لم يخفق قلبه لحس المنعطف التاريخي في مجتمعه ووطنه .

ولبنان يعيش اليوم العبور من الماضي الى المستقبل فلنعطه الزاد الذي يحتاج اليه من حسنا جميعا بما يضطرب في اعماقه من عناصر النضج والنمو ، وما يعتلج في صدره من خلجات الطموح .

ثم اعلن الرئيس الصلح انه سيبعث مشروعا كان قد تقدم به عام ١٩٦٥ ، وهو وزير للداخلية ، بانشاء مكتبات في البلديات تؤخذ مخصصاتها من موازنة هذه البلديات ، ثم اعلن ان دارا للمسرح ستنشأ قريبا في منطقة من مناطق بيروت ، كما ان مشروع انشاء دار للادباء هو قيد الدرس ، وان الحكومة تفكر بانشاء دائرة خاصة للثقافة .

وقد شارك الادباء الحاضرون في مناقشة الشؤون الفكرية والادبية .

***

السودان

رسالة من حسب الله الحاج يوسف

المهرجان الاول للآداب والفنون

في أواخر تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل ستقيم وزارة الثقافة والاعلام المهرجان القومي الاول للاداب والفنون ، وذلك تحت اشراف المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون . وقد أشرك المجلس للتحضير لهذا المهرجان مجموعة كبيرة من الادباء والفنانين تجمعهم لجنة عليا شكلها واختار وجوهها وزير الثقافة والاعلام .

والغرض من هذا المهرجان هو القيام بمحاولة مسح تاريخي لحركة الادب والفن في جمهورية السودان والتوصل الى ابعاد الموقف الراهن للحركة الادبية خلال اتجاهاتها الجديدة ، على ان يتخذ المسح التاريخي في المهرجان أشكالا عدة ، منها دراسات يقوم بها متخصصون في مختلف فروع الثقافة ، وتشتمل هذه الدراسات والابحاث على المعالم الادبية البارزة في الثقافة السودانية بين التراث والمعاصرة .

وفي الدراسات الادبية سيقدم بعض الباحثين والنقاد الذين كلفوا بانجاز هذه المهام موضوعات عن : تاريخ الادب العربي الفصيح « الشعر ، القصة ، النقد » كما يقدمون دراسات عن المسرح السوداني « نشأته . معوقاته ، ومطامحه وتطوره » وفي الادب الشعبي يقدم باحثون بعض الاوراق التاريخية ، ولاول مرة يكتب بعضهم عن قضايا الفن التشكيلي في السودان .

كل هذه الدراسات وغيرها تقدم للمهرجان مطبوعة ، ومتوفرة للنقاش ، وخاضعة للحوار في الندوات العامة ، وفي مختلف اجهزة الاعلام .

اما بالنسبة للفنون التشكيلية والتطبيقية فان معرضا كبيرا سوف يقام في قلب الخرطوم (ميدان ابو جنزير) وسيحتوي على أعمال الفنانين التشكيليين المترسين الكبار وكذلك الشبان ، وقد يشتمل ايضا على نماذج من اعمال الطلاب في المعاهد ، وسوف يقام ايضا في هذا المعرض جناح خاص للكتاب الادبي السوداني ، لاعطاء صورة عن حركة التاليف والنشر « واهتمام الدولة الاشتراكية بالادب والادباء » وعن فن صناعة الكتاب السوداني في تطورها ، ولا شك في ان هذا المهرجان هو الاول من نوعه وسوف يعطي المراقبين صورة متكاملة عن نهضة السودان الادبية .

والجدير بالذكر ان بعض الادباء المصريين من (كهول) الادب وشبابه برئاسة صالح جودت ، كانوا قد ابدوا الرغبة بزيارةالسودان، ومعظم هؤلاء من الشعراء ، بقصد الاشتراك مع ادباء السودان في لقاءات (شعرية) تتناول موضوعين اساسيين (صممهما) وقدم الاقتراح بهما الاستاذ الشاعر صالحجودت وهما : (العبور) و (منوحي النيل) . وقد رؤي ان يستضاف الوفد المصري اثناء هذا المهرجان ، وان يدعى ايضا لحضور هذا المهرجان محررا مجلة « الآداب » ومجلة « الاديب » البيروتيتين .